



رواية

غائبة

ندوب

سميحة سيمو

## الفصل الأول

عندما يخطف القدر منا شخصا عزيزا فإنه لا يستشيرنا، لا يمنحنا الفرصة للوداع، لا يتلطف ويمنحنا الوقت لنحضر أنفسنا لما سنفقده بل تأتينا صفعته ونحن غافلون...

وهناك في تلك الغرفة التي اتشحت جدرانها بالأبيض الكئيب كما يراه دوما القابعون في المستشفيات، كان يجلس هو بجانب سرير زوجته، تلك الشابة التي مازالت في مقتبل العمر فلم تر من الحياة غير القليل ورغم ذلك هي الآن تتمدد على ذلك السرير غائبة في عالم آخر، شبيه بعالم الموت... غيبوبة لم تفق منها منذ الحادث الذي تعرضت له، فلم يعد يربطها بهذه الحياة سوى تلك الأسلاك والأنابيب والأجهزة الطبية المتصلة بجسدها والتي تتابع علاماتها الحيوية...

من قال إن الرجال لا يكونون؟ بلى هم يكونون... عندما يكون الألم أكبر من أن يحتمل، عندما يكون الحزن أشد من أن يدارى خلف الأقنعة المتقنة... وخسارته هو كانت زوجته، حبيبته وشريكة حياته لذلك لم يكن له على دموعه سلطان فانهمرت في صمت وهو يمسك بيدها، قلبه يناجيهما أن تعود

فلم ينتبه إلى تلك التي اقتحمت خلوته لتذكره كما تفعل كل مرة بما ينكره ويرفضه رفضا قاطعا...

اقتربت منه أكثر وقد ارتسم على ملامحها الأسف لحاله فهو ليس مجرد زوج لمريضة ما لديها بل هو أيضا صديقها منذ زمن، ورغم أنها بذلت كل ما في وسعها لكنه لم يكن كافيا....

حاولت اجلاء صوتها والتحدث بنبرة حيادية وهي تناديه:  
- "حسام ... حسام...."

لكنه كان شاردا تماما تكاد تجزم أنه هو الآخر في غيبوبة حتى وضعت يدها على كتفه فانتبه أنه لم يعد وحده فالتفت إليها بعد أن كفكف تلك الدمعة المتمردة قبل أن تراها ليجيبها بصوته الخشن ببخته المعتادة:

- "لقد كنت شاردا قليلا.... منذ متى وأنت هنا؟"

كيف تستطيع أن تخبره أنها شهدت أشد لحظات ضعفه وأنه مهما حاول فلن يستطيع إخفاء آثار دموعه.... لا لن تفعل، فأي حق تملكه مهما كانت قريبة منه في أن تتطفل على حزنه...

- " منذ برهة فقط، جئت أخبرك أن الوقت قد تأخر كثيرا.....  
يجدر بك العودة الى البيت..."

وكعادته طبعا أعطاها الجواب نفسه رغم أنه يعلم سياسة  
المستشفى جيدا بخصوص مواعيد الزيارات لكنه ضرب كل  
قواعدهم عرض الحائط حتى

اقتنع الجميع بأن الجبال قد تلين لكنه لن يفعل فالتزموا  
الصمت حتى يتفادوا المشادات التي كانت تحدث في الأيام  
الأولى وتسبب الإزعاج للمرضى والموظفين

- " سأنام هنا الليلة..."

قال جملته وكأنه أمر واقع وعليها تقبله لأنه لن يخضع  
لأوامرها وهنا لم تستطع التحكم في ثورتها أكثر لتهتف في  
وجهه

- " هذا يكفي يا حسام .....أنظر الى نفسك، أنت في حالة  
يرثى لها، أنت لا تنام ولا تأكل جيدا منذ الحادث، تمضي كل  
وقتك هنا، رغم أنك تعلم جيدا أن بقاءك بجوارها لن يغير  
وضعها.... حالتها لن تتحسن إلا بمعجزة من الله..."

وكانه عزل نفسه في قوقعة لا ينصت إلى ما تتفوه به فرد  
عليها بكل ثقة

- " سوف تعود إلي أنا متأكد... ندى لن تستسلم لقد مرت  
بظروف صعبة من قبل وتجاوزتها.. كلانا فعل... "

كان واضحا لها أنها وصلت معه لطريق مسدود والحل  
الوحيد كي يستوعب الوضع هو إلغاء مشاعرها كصديقة  
ووضعه أمام الواقع كطبيبة فلتقسو عليه الآن كي لا  
يعاني أكثر في المستقبل، وبنبرة عملية رمت كل الحقائق في  
وجهه

- " حسام اسمعني ... ندى تعرضت لإصابات خطيرة في  
الدماغ وباقي أعضائها الحيوية... صمودها إلى الآن هو  
معجزة في حد ذاته... لكنك شهدت انهيارها عدة مرات... "

وأشارت إلى الأجهزة أمامها حيث تخطيط القلب والدماغ  
وغيرها من العلامات الحيوية وهي تواصل كلامها

- " تأملها جيدا واحفظها وسترى أنها في كل مرة تنخفض  
أكثر... راقب في كل مرة ينتزعها الأطباء من بين يدي  
الموت بمعجزة الهية لكن ليس في كل مرة سينجحون لأن

قدراتهم محدودة... لذلك أقنع نفسك منذ الآن وتقبل  
واقعك..."

وكان عبارتها الأخيرة أيقظت كل مشاعر الغضب التي كانت  
كامنة تحت سحب الحزن فانتفض بعنف ممسكا ذراعها بقوة  
وعيناه مثبتة عليها تقدح شرا، كأنه لم يعد حسام الذي تعرفه  
بل وحش جريح لم يعد صوت العقل وسيلة للتواصل معه أمام  
صراخ قلبه الذي يرفض أن يسلم بخسارة حبيبته

- " أقسم بالله يا ريمة ان سمعتك تتفوهين بهذا الكلام مرة  
أخرى أن أجعلك تلفظين أنفاسك قبلها.. "

ظل ممسكا بها ولم تلتن ملامحه المحتدة حتى خيل إليها أنه  
سينفذ قسمه في تلك اللحظة خصوصا مع توحش نظراته  
أكثر بلون عينيه المحمر، فكيه المتصلبين بقسوة وأوداجه  
المنتفخة توأزر همجيته... أي همجية قد يمتلكها هذا الكائن  
الذي لم تخف منه يوما لكنه لحظتها لم يكن يمت لصديقها  
بصلة وخشيت فعلا من تهوره...

اعتصرت عينها بشدة وهي تضغط شفثتها قبل أن ترفع إليه  
عينها عليها تخترق ذلك الجدار الذي نصبه بينهما لتهمس  
بألم

- " اترك يدي حسام... أنت توّلمني... "

بعد لحظات بدأ يستوعب ما كان يفعله خصوصا وهو يرى تعابيرها المتألّمة والدموع التي بدأت تتجمع في مقلتيها ولولا طبيعتها القوية لكانت انهارت باكية.. دفعها أخيرا لتصطدم بالسريير خلفها وهو لا يزال على صدمته قبل أن يزفر بغضب وهو يفرك وجهه بيديه ليخرج بعدها كعاصفة هوجاء صافقا الباب خلفه ولم يسعفه لسانه حتى ليعتذر للتي تركها خلفه تمسد ذراعها التي شهدت لمحة من ثورته...

\*\*\*\*\*

كان يعلم جيدا أنه تمادى كثيرا فيما فعله ولولا البقية الباقية من عقله لا يدري ماذا كان فعل أيضا فهو لا يستطيع تقبل ما تقوله ..... كيف تطلب منه التخلي عن ندى بتلك البساطة وهي أعلم الناس بمكانتها في قلبه..... ووسط أفكاره الثائرة وهو يقود سيارته على غير هدى وسط الشوارع عله يهدأ رن هاتفه ليجده صديقه أحمد فأسرع بالرد كأنه كان ينتظر تلك المكالمة بالذات

- " هل وجدته؟ "

لتكون الإجابة مجرد جملة مقتضبة علم أن متلقيها سيفهم ما المقصود منها

- " لقد عثرنا عليه.. "

لكنها كانت كافية لترسم على شفثيه ابتسامة انتصار مشبعة  
بكراهية لا حدود لها قبل أن يأمره بصوت جليدي

- "أنا في طريقي إليك... خذوه إلى المخزن القديم..."

ما أن أنهى المكالمة حتى أدار مقود السيارة عند أول منعطف  
لينطلق بأقصى سرعة فما كان ينتظره منذ الحادث أخيرا  
سيتحقق... أخيرا سيحقق الخطوة الأولى من انتقامه  
لزوجته وابنته .... نعم ابنته فندى كانت حامل عندما تعرضت  
للحادث أو بمعنى أصح محاولة القتل... فخرس ابنته التي لم  
يمنحها القدر فرصة لتري نور الحياة وندى أجبرتها اصابتها  
الخطيرة على الدخول في غيبوبة لم تفق منها منذ عدة  
أسابيع....

طول الطريق إلى المكان المتفق عليه لم يكن يرى أمامه  
سوى ذكرياته مع زوجته .....ومن بينها يوم عرفا جنس  
الجنين عندما رافقها إلى العيادة بعد إصراره رغم رفضها  
للأمر لأنه في كل مرة يجلب اهتمامه الزائد بها أنظار الجميع  
إليهما وهي بطبعها خجولة مما يجعلها تتوتر.... يومها عرفا  
أنهما سيرزقان بطفلة لتتوج حبهما وتكتمل سعادتهما حينها



التفت الى ندى ليقول لها أنه سيكون أسعد شخص في الدنيا  
إذا كانت مثلها في جمالها وبراعتها وأخلاقها .....

عند تلك النقطة انتبه حسام أنه قد وصل إلى المخزن ليعود  
إلى أرض الواقع فمسح ذلك الحزن الذي اعتنقه وهو يعيش  
ذكرياته فهو لن يسمح بأن يضعف في منتصف الطريق ولن  
يظهر ذرة من الرحمة بعد الآن.....

أسرع بالنزول من سيارته متجها نحو الداخل ليجد صديقه  
أحمد في انتظاره فبادره بالسؤال مباشرة

- " أين هو؟ "

رغم ترده إلا أنه لم يجد بدا من الإجابة

- " في الداخل مع الرجال... "

وقبل حتى أن ينهي كلامه كان الآخر قد اندفع إلى هناك غير  
آبه بنداءات أحمد من خلفه، فقد كان الغضب يسد كل الطرق  
إلى عقله...

ما أن وقع نظره على الشخص الذي كان يتوق ليقع بين  
يديه حتى يذيقه من كأس العذاب أشدها مرارا حتى انهال  
عليه بالكلمات دون توقف، ولم يسلم أي مكان في جسده من

وابل ضرباته حتى سقط مع الكرسي الذي كان مقيدا به  
 ووجهه قد تضرج بالدماء، لكنه لم يتوقف عن ضربه وظل  
 يكرر مع كل لكمة يوجهها له كأنه يصرخ وجعه خارجا لولا  
 الغضب الذي غطى عليه

- " لم فعلت ذلك... لم؟؟ "

لكنه لم يهتم بالإجابة عن تساؤلاته ولا حتى بتلك الضربات،  
 بل كان ينظر إليه بعيون فارغة ميتة كأن هناك طبقة من  
 الجليد قد كستها وهذا ما زاد من استفزاز حسام وخروج  
 جنونه عن السيطرة... فلم يكن من أحمد إلا أن يتدخل وهو  
 يرى ذلك المشهد الدموي وهو من اعتاد حل كل قضاياها  
 بالنقاش الديبلوماسي في قاعات المحاكم وقلما يلجأ للعنف  
 خارجها فنادرا ما يكون هناك ما يخرجها عن طوره...حاول  
 ومعه بعض الرجال ابعاده عنه لكن لا فائدة فقد كان كالمنوم  
 لا يميز أي أحد أمامه رغم هتافات أحمد وهو يحاول تكبيل  
 حركته

- " هذا يكفي يا حسام... توقف ..... بالله عليك سوف  
 يموت بين يديك "

أخيرا بعد أن تكالب عليه أغلب الرجال تمكنوا من إنقاذه من بين يديه بعد أن أفقده الوعي تماما...

رغم كل ما فعله به إلا أن شحنة الغضب بداخله كانت لا تزال مستعرة فاندفع إلى الحائط يلكمه بأقصى قوته بعد أن تخلص من خناقهم حوله، غير مبال بإصابات يده...

لم يتدخل أحد ليمنعه عما يفعله بأمر من أحمد حتى هدا قليلا فأمر كل الرجال بالخروج حتى ينفرد به وبمجرد أن فعلوا حتى اقترب منه ممسكا بذراعه ليلفه نحوه ليهتف فيه بحنق فتهوره الذي كان من الممكن أن يفسد كل شيء

- "هل جنت؟ لقد كدت تقتله... لم يكن هذا اتفاقنا... لقد أحضرتة الى هنا لاستجوابه لا أكثر.... لن أسمح لك بأن تصبح مجرما ولا أن تجعلني شريكا معك في مثل ذلك الفعل.."

ليجيبه الآخر وقد غلب التهكم على نبرته

- "هل قلت مجرما؟؟؟؟ عن أي جريمة تتحدث؟ قتل هذا الحقير هو العدل في حد ذاته، أنا آخذ بحق زوجتي وابنتي لا أكثر... إنه القصاص يا أحمد..."

رغم أنه يتفهم موقفه وشعوره بالسخط والرغبة بتحقيق العدالة بنفسه إلا أنه لم يكن يسمح له بالانزلاق إلى تلك الهاوية فيلطح يديه بالدماء....

بينما تابع حسام بصوت صار المرار واضحا في كل حرف ينطق به

- "إنه السبب فيما حدث لندي... ندي يا أحمد.."

ثم سكت ليبتلع الغصة التي علقت في حلقه ليردف قائلا

- "لن أتركه ليسجن بضع سنوات ثم يخرج ليتابع حياته كأنه لم يفعل شيئا.."

واتجه إليه ليكمل ما بدأه إلا أن أحمد أمسكه من ذراعه مهدئا محاولا مخاطبته بصوت العقل

- "دع القانون يتولى أمره يا حسام لقد خان كل مبادئ الجيش بفعلته...."

ثم تابع بنبرة يشوبها الترجي

- "لا تتورط أكثر من هذا أرجوك، لقد أعلمت السيد إبراهيم بالأمر وستصل الوحدات إلى هنا في أي لحظة رغم أنني لم

أطلعته على كافة التفاصيل إلا أنه لم يكن راضيا تماما عن تدخلنا و....."

وقبل أن يتابع جاءه الرد مقاطعا من المقابل له

- "لا يهم.... سأصل اليه أينما كان ولن يفلت من العقاب، سيموت على يدي لكن بعد أن أحصل منه على ما أريد.."

واندفع مغادرا الغرفة تلاحقه نظرات صديقه المتحسرة على ما آل اليه الأمر فحسام لم يكن يوما من الأشخاص الذين يطلقون تهديدات فارغة وبما أنه قد وعد فلن يترك الموضوع حتى النهاية ومع أناس كهؤلاء قد تكون نهايته هو قبلهم وما حدث مع ندى لم يكن سوى قرصة أذن بسيطة وإذا استمر في ملاحقتهم سيكون هو التالي ان لم يكن شخصا آخر قريبا اليه وهو ما جربه سابقا ولم يطلعه عليه.....

\*\*\*\*\*

كانت كعادتها تجلس خلف المكتب الصغير في غرفتها في ذلك الملحق الذي تسكن فيه مع زميلاتها من العاملات في ذلك الملجأ الذي يضم عددا هائلا من الأطفال والمراهقين الذين لم تمنحهم الحياة سوى ذلك المكان بعد أن تخلى عنهم

أهلهم دون رحمة ولم يزد لهم المجتمع سوى قسوة  
ونفوراً.....

كانت تمارس عاداتها التي لم تتخلى عنها منذ التحقت بعملها  
هناك منذ سنتين وهي الانشغال بحاسوبها بعد الانتهاء من  
الاهتمام بالأطفال.... لتدخل عليها زميلتها في الغرفة ريعان  
فترأها منكبة فيما تفعله فتهمز رأسها وهي تبتمس قائلة  
- " أذفع كل ما أملك لأعرف ما الذي تفعلينه على ذلك  
الحاسوب....."

لتكمل عبارتها وهي ترفع أحد حاجبيها وهي تتابع بنبرة  
تحقيق

- " أنت بالكاد تكلمين الزملاء هنا لذا لن تخدعيني بقولك  
أنك تتواصلين مع أصدقائك ككل مرة..."

عندما أتمت كلامها كانت تقف عند رأسها تماماً تحاول  
استراق النظر إلى الشاشة لكنها لم تبدي أي حركة ولم  
تحاول إخفاء ما تفعله بل رفعت إليها عينيها وهي ترسم  
ابتسامتها الأكثر برودة من الجليد مجيبة إياها بما سيجعلها  
تراجع فوراً

- "وهل تملكين أصلا ما تدفعينه لي؟؟؟" "

هل كانت فعلا تتوقع جوابا شافيا يشبع فضولها.... بالطبع لا.... زمت شفيتها في حركتها الطفولية المعتادة رغم سنها الذي تجاوز الثلاثين وهي تتجه لتجلس على أحد السريرين في الغرفة مجيبة على السؤال البريء في طرحه لكنه قلب المواجه وذكرها بأصلها

- "معك حق لو كنت أملك شيئا لما كنت هنا...."

لتكمل بحسرة وقد تجمعت الدموع في مقلتيها

- "لقد تربيت هنا..... وحتى زواجي لم ينجح لأنني من هنا.... فعدت إلى مكاني الطبيعي وكما ترين لا شيء تغير منذ قدومك صحيح؟؟؟.... هذا قدرتي ولا مفر منه"

وعند كلماتها الأخيرة كانت دموعها قد انسابت على خديها فأسرعت تمسحها قبل أن تنتبه إليها من صفتها بالحقيقة المرة دون قصد منها.. لكن رغم الواجهة الباردة التي كانت تضعها ليلى إلا أنها كانت تتابع كل حرف نطقت به... كل كلمة كانت مشبعة بآلمها، فقامت من مكانها محاولة الاعتذار عما بدر منها بغير قصد

- " أنا اسفة راينو.... لم أقصد.... تعلمين كيف هو لساني يندفع تلقائيا في حركة هجومية أكثر منها دفاعية... عادة لا يمكن التخلص منها مع الأسف.. "

ابتسمت لمحاولتها في الاعتذار وهي تهمس كأنها تفشي سرا  
- " لسانك دائما مبرمج على حالة الهجوم... "

لتنطلق ضحكتها المجلجلة المعتادة .... دائما تنتقل من  
الوضع الدرامي إلى الكوميدي في لحظات.. هكذا هي راينو...  
فقامت من مكانها وهي تلكزها في كتفها

- "لا تدعيني أرك وضع الهجوم الفعلي فأعصابي متوترة  
بسبب أحداث اليوم وقد ينطلق لساني في أي لحظة فلا  
تستفزيني "

اندفعت أحداث ذلك اليوم إلى مخيلتها فلم تستطع منع نفسها  
من طرح السؤال الذي يجول في خاطرها لتقول  
- "ليلي.... "

وصمتت قليلا لتتظر إليها صاحبة الاسم في تساؤل فتابعت  
- " كيف علمت بما كان يفعله المدير.... لقد عرفته لأكثر من  
عشر سنوات ولم أشك فيه أبدا وأنت..... "



وأتبعته كلامها بنظرات متسائلة لكنها فهمت ما كانت تصبو إليه... كانت تعلم أن ريعان لم تكن لترضى بمجرد إجابة بسيطة....

وقفت أمام النافذة تتطلع الى الخارج وهي توليها ظهرها متهربة من نظراتها المتشككة وهي تجيبها كأن الموضوع بسيط جدا

- " لقد كانت مجرد صدفة عندما سمعته يكلم أحدهم على الهاتف لنقل الأطفال، من الواضح أنه كان يتدرب في كل مرة بهربهم من المكان أو نقلهم الى ملجأ آخر بسبب الاكتظاظ هنا كي يخفي أعماله، لكن شاء القدر أن يقع هذه المرة... "

ليسود الصمت بعد عبارتها تلك.. وعلى الرغم من أنها لم تقتنع بكلامها لكنها تعلم جيدا أنها بصمتها قد وضعت نهاية للحوار كما يحدث كل مرة عندما تحاول معرفة شيء عنها أو عن ماضيها.... تعلم أنها تخفي الكثير خلفها لكن لا جدوى من السؤال... تأملتها قليلا وهي شاردة دون أن تبدي أي تعليق حتى أخرجها صوت ليلي وهي تهتف باسمها فحركت رأسها بشروود وهي تردف بلهجة غريبة - " معك حق.... كان لابد أن يكتشف ذات يوم... "

\*\*\*\*\*

كان حسام يجلس على كرسي مقابل لسجينه الغائب عن الوعي بعد أن أكال له وابلا من اللكمات، كان ينتظر أن يستفيق حتى يستجوبه لكن انتظاره طال وغفا في مكانه جالسا من شدة ارهاقه وعزوفه عن النوم لعدة أيام، وطبعا ككل مرة يسرق فيها النوم لحظة من وقته تزوره هي في أحلامه.... المكان الوحيد الذي صار يسمح بلقائها والشعور بها الى جانبه كما كانت من قبل ..... كانت ندى تقف في المطبخ بفستانها الأصفر المزين بالورود والذي كان هدية منه عندما عاد في اجازته.... كانت منشغلة بتحضير شيء ما.... فوقف يتأملها يشبع عينيه بصورتها التي اشتاق إليها ثم همس لها

- " ماذا تفعلين؟؟؟ "

فابتسمت وهي تجيبه بصوتها الخافت

- " لا شيء.... أحضر القهوة فقط.... هل تريد فنجانا معي؟ "

اقترب منها وهو يحتضن خصرها ويهمس بحب بجانب أذنها

- " لقد اشتقت الى القهوة التي تعدينها كثيرا "

فاستدارت لتقابله وهي لا تزال بين يديه لتطالعه بخبت بالكاد

تستطيع تمثيله وهي تسأله

- "إلى القهوة التي أعدها فقط؟؟؟"

فأجابها ببطء وهو يقربها أكثر منه

- "وإلى حبيبتي التي تعد القهوة..."

فانطلقت ضحكتها التي يعشقها وهي تتمسك به هامسة قرب

شفتيه تكاد تلامسهما

- "إذا لا تتأخر علي.... سأنتظرك..."

ثم اختفت من بين يديه ككل مرة وتركته للوحدة تنهش أفكاره

وللانتقام يتشعب أكثر وأكثر داخله...

كانت الدموع قد غافلتها وهي تطلق العنان لمشاعره التي

كبتها في وعيه فلم تجد سبيلا غير نومه الذي لم يوقظه منه

سوى تلك الضحكات المقيتة التي تردد صداها في المكان

وصاحبها يردف بنبرة متهكمة متشفية

- "القائد يبكي.... أخيرا رأيت اليوم الذي انكسرت فيه

شوكة غرورك....."

وواصل ضحكاته على الرغم من هتاف حسام المحذر والذي

لم يعطه بالا فلم يعد له قدرة على الصبر أكثر فوعده لأحمد

بأن يتمالك أعصابه يقيده ولولا ذلك لجعله يبتلع كلماته مع

لسانه فاتجه الى احدى زوايا الغرفة حيث أحضر زجاجة ماء

ولم يتردد في سكبها على رأسه حتى شهق وقد لسعته

البرودة ليخرس نهائيا عندما أتبعها بلكمة افقدته توازنه...  
فأعاده الى وضعيته وهو يعتصر وجهه بين أصابع يده بينما  
يأمره من بين أسنانه

- "اصمت ولا تفتح فمك إلا لتجيب على أسئلتى... وإلا لا  
يوجد وعد على وجه الأرض قد يمنعني من تمزيقك ورميك  
للكلاب الضالة... هل هذا واضح؟ "

فأوما برأسه ليفلته بعنف جعل رأسه ترتد للخلف فتحرك  
مبتعدا عنه حتى لا يفصل رقبتة عن باقي جسده وماهي الا  
مسافة يسيرة التي تحركها حتى بدأ يبث سمومه كحية وقعت  
في الأسر وبلهجة مستهزئة سمعه يقول

- "لم أكن أعلم أنك لا تتقبل النكت...ماذا أصابك؟؟؟ ..... لقد  
كنت لطيفا من قبل..."

ثم صمت قليلا كأنه يفكر وتابع بنبرة باردة قاسية  
- "اه صحيح..... أنت في حداد على زوجتك الميتة..... حقا  
أسف لقد نسيت الأمر..... تعلم؟ الأمور التافهة دوما ترمى  
في الخلف على رفوف النسيان..."

وأتَم كلامه بابتسامة مستفزة ينتظر رد فعل حسام فكل ما  
يهمه هو رؤية المعاناة في عينيه، تلك هي لذة الانتقام التي  
يسعى اليها حتى وقتل المهم أن يكون وجعه آخر ما يراه....

وقد حصل على مراده فعندما تطلع إليه كان وجهه لوحة  
مجسدة للألم ولكنه سرعان ما تحول لغضب وحقد مستعر  
رآه يحاول السيطرة عليه لكن منظره وقد تخضبت عيناه  
باللون الأحمر وفكه تصلب وهو يضغط على أسنانه... صدره  
الذي يعلو ويهبط... يده المتكورة في قبضة حتى ابيضت  
مفاصله يوحى بانفلات سيطرته في أي لحظة وقد كانت  
حساباته صحيحة فبحركة واحدة كان يضع المسدس بين  
عينيه وهو يهتف

- "قبل أن تموت أخبرني لما فعلت ذلك؟ ما الذي كسبته من  
فعلتك؟؟؟ هل هو المال؟ بما وعدك كمال؟ أخبرني هيا..."  
لم يكن يبالي بالمسدس الموجه اليه ولا للجنون الذي اعتمل  
حسام بل أجابه بكل هدوء وبرود كشخص لا يبعد عنه الموت  
سوى انشأت بسيطة

- "الحقيقة أنا لا تربطني أي علاقة بكمال سوى أنه مجرم  
وأنا كنت مثلكم أبحث عنه وأريد زجه خلف القضبان... أنا  
لست خائنا للوطن يا حسام... مشكلتي معك أنت بالذات....  
أردتك أن تذوق من نفس الكأس التي شربت منها أنا  
وعائلتي عندما قتل لؤي "

أيقن حسام أنه يلومه على ما حدث لشقيقه الأصغر ويحمله  
المسؤولية أيضا فأجابه بمنطقية من كان في الميدان لحظة  
المواجهة

- " لوئي استشهد في المهمة يا خالد... لقد مات وهو يدافع  
عن وطنه "

كأن ما تفوه به كسر جدار البرودة التي كان يحيط بها نفسه  
كي يستفز حسام فانتفض وهو يهتف

- " هذا ما تقوله أنت كي تبرر لنفسك فعلتك وتريح ضميرك  
لكنك تعلم في داخلك جيدا أنك أنت المسؤول عن موته....  
لقد كانت أول مهمة له... لقد كان صغيرا جدا ليموت في هذا  
العمر.... وأنت تجازى بالأوسمة والترقية... فأين العدل في  
كل ما يحدث أجبني....."

## الفصل الثاني

## \* عودة إلى وقت الحادث \*

قاعدة الجيش الوطني وبالضبط مقر فريق العمليات الخاصة... حماة الوطن المجهولين من يضحون بحياتهم كي يهنأ باقي الشعب بحياة مستقرة لا يهددها شيء.... منفذو المهمات الخطيرة دون أن يعرف الخوف طريقا إلى قلوبهم....

كان المكان يعج بالمجندين الكل مشغول بتنفيذ مهامه وكل اهتمامهم منصب على تلك الخرائط وصور الأقمار الصناعية حين دخل المكان أحد كبار الضباط، السيد إبراهيم وهو رجل قارب الستينات من عمره لكنه رغم ذلك لا يزال يحتفظ بهيبته ووقاره الذين اكتسبهما على مر السنوات ومعه حسام الذي كان ينافس في الصرامة والجدية إضافة الى الثقة في النفس الشديدة، فهو رغم صغر سنه إلا أنه وصل الى مركز أفنى غيره سنوات من حياتهم حتى يصلوا إليه.... لقد حصد لقب رجل المهمات المستحيلة التي لطالما كانت من نصيبه هو وفرقته وهو لم يكن يتراجع عن هدف وضعه نصب عينيه.... لقد مضى على انضمامه للجيش أكثر من عشر سنوات ارتقى خلالها في منصبه بسرعة فوضته ليكون ما هو عليه اليوم....

انضمنا الى باقي أفراد الفرقة العسكرية في قاعة الاجتماعات حيث كانت تعرض صور لأشخاص مشبوهين وكل المعلومات التي تخصهم وصور للأقمار الصناعية خاصة بمنطقة يتم من خلالها تهريب الأسلحة والمخدرات قريبة من الحدود الجنوبية...

ودون أي مقدمات وبصوت صارم تحفزت له كل الأجساد الموجودة بعضها احتراما وبعضها خوفا سألتهم ابراهيم عن تطور التحضيرات للعملية ليجيبه حسام كعادته بما أنه قائد الفرقة بنبرة عملية

- "معلوماتنا تؤكد أن التسليم سيتم في هذه المنطقة..."

وأشار إليها على الاسقاط أمامه ليردف بعدها وقد اكتسى صوته خشونة واصرارا واضحا والتمعت عيناه بنظرة تحد

- "فرقتنا ستكون جاهزة بالتأكيد.... لن يفلتوا هذه المرة ونحن من نتولى الأمر.... رجال كمال لن يكون لهم فرصة مطلقا....."

كمال سالمى.... دائما ما كان اسمه مرادفا للرعب.... هو أحد أكبر تجار الموت كما يقولون إن لم يكن هو القائد.... سنوات من الجري خلفه سعيا للقبض عليه منذ دخل عالم التهريب



من أسلحة ومخدرات وحتى البشر..... الكل يعلم أنه مسؤول  
 عن كل تلك الجرائم وهو لا يخفي الأمر كأنه مدعاة للفخر،  
 لكن عندما يصل الأمر للقبض عليه فهذا هو المستحيل  
 بعينه..... لا أحد يعترف ضده .... لا أحد يجروء على الاقتراب  
 منه هذا إن وجدوا له أثرا في المقام الأول فهو كالزئبق  
 عندما تعتقد أنه بين يديك يكون قد تسرب وضاع منك.....  
 ورغم كل الجهد المبذول في سبيل القبض عليه إلا أنه لا زال  
 يعثو فسادا .....وهذا هو السبب الذي حمس حسام لطلب هذه  
 القضية بالذات دون غيرها.....

\*\*\*\*\*

انتهى حسام من مراجعة الخطة التكتيكية مع الفرقة لينصرف  
 الجميع بعدها .....

لقد أرهقه الأمر فعلا شهور من التحضير والمراقبة وهو هنا  
 في هذه القاعدة في الصحراء بعيدا عن زوجته ... عن نداء  
 الرقيقة..... لقد اشتاق إليها..... يمني نفسه فقط بسماع  
 صوتها الخجول وضحكتها اللطيفة حتى يزول كل تعب.....  
 كان يأخذ هاتفه للاتصال بها حين وقف أمامه خالد مختص  
 في الأمور التقنية وقطع عليه الطريق متحفزا وعلامات

الانزعاج غطت على ملامحه المسالمة في العادة..... رفع بصره إليه محدقا عليه يفهم ما الذي أصابه فذلك التصرف الجريء لم يكن من طبعه وانتظر منه تبريرا لم يتأخر هو في منحه إياه وهو يقول بجدية ونبرة خشنة:

- "حسام .... هل لديك بعض الوقت؟ أحتاجك في موضوع مهم..."

ارتفع حاجباه لتلك النبوة التي خاطبه بها للتو والتي استفزته لكنه تحكم في نفسه وهو يجيبه

- "إن لم يكن الأمر مهما جدا فأجله لوقت لاحق فأنا مشغول..... علينا الانطلاق للمهمة بعد ساعات قليلة..."

لا يهم ما الذي عليه فعله لكنه سيقنعه مهما كلف الأمر هذا ما كان يدور في عقله.... تتحنح ليجلي صوته الذي خرج مرتجفا رغم كل تلك الصلابة التي كان يحاول أن يبديها منذ البداية والتي بالكاد يستطيع الصمود لوقت أطول مبديا إياها

- "الموضوع يخص المهمة..."

وهنا استرعى كامل اهتمامه فهو لن يسمح بأن يفسد أي  
تفصيل مهما كان صغيرا ما خطط له ليتابع الآخر وقد قطع  
الخطوة الأولى

- "أريد منك سحب أخي لؤي من المهمة..."

هكذا قالها بصيغة أمرة قاطعة ليصمت بعدها تاركا الآخر  
مندehشا من جراته لكن لا بأس فليصل معه الى لب الموضوع  
- "لماذا؟؟؟"

أخذ خالد نفسا عميقا كأنه الأخير في حياته فملاح الغضب  
التي يعرفها جيدا بدأت في الفكاك من عقالها وتسيطر على  
حسام رغم محاولته في التصرف ببرود ليس قريبا أبدا من  
صفاته لكنه لن يستسلم الآن فتابع يشرح رأيه

- "لؤي ما زال صغيرا وهو لا يملك الخبرة الكافية للمشاركة  
في مهمة يمثل هذه الحساسية والخطورة ..... أرجو أن تعفيه  
منها فهو لن يفيدكم كثيرا كما أن هناك الكثيرين ممن هم أكفأ  
منه....."

وقبل أن يكمل باقي تبريراته التي كان من الممكن أن تكون  
مقنعة في ميدان آخر لكن في الجيش ما إن تتخذ القرار

وتتضم فإنه لا مجال للانسحاب أو التلكؤ فحياتك لم تعد ملكك وهذا ما لا يفهمه خالد كما يبدو لأنه يخلط عواطفه الأخوية بالعمل، وبصرامة قطع عليه باقي أعذاره مجيبا إياه

- "لؤي جندي كفؤ وأنا متأكد من هذا لأنه كان تحت اشرافي طيلة مدة تدريبه.... هو مستعد لأي مهمة مهما كانت فلا تستهن به ..."

- "كمال ورجاله خطيرين..... وهذه المهمة بالتأكيد ليست كالتدريب أو غيرها من المهمات حاول أن تفهم أرجوك" هتف بها خالد راجيا يكاد يتوسل إليه عله يغير قراره .....

زفر بغضب وقد وصل إلى آخر حدود صبره فهتف وقد احتدت نبرة صوته مما جعل بخته تبدو واضحة

- "هذا يكفي.... لؤي كغيره من الجنود.... لن أقبل أي معاملة غير ذلك.... فلو أتى كل شخص يتوسل من أجل قريبه أو صديقه فمن الأفضل أن نعود لبيوتنا ونلغي الجيش أصلا فلا فائدة من وجوده بهذا الشكل .... هل هذا مفهوم؟ "

أثارت كلماته حفيظته، بالطبع هو يعلم كل المجازفات والتضحيات التي يجب تقديمها لكنه رغم ذلك فقد السيطرة

على أعصابه فامتدت يده لتقبض على ذراع حسام الذي كان يحاول تجاوزه وانطلقت الكلمات من بين شفثيه دون أن يهتم إلى أين سيصل به الأمر

- "اسمعي جيدا.... إن أصاب أخي أي مكروه ستكون أنت المسؤول وحسابك معي لن يكون هينا اطلاقا..."

خفض حسام بصره يتتبع قبضته الممسكة بذراعه ليعيد رفعه وصولا إلى عينيه التي تشع توعدا وارتفعت زاوية فمه في شبه ابتسامة متهمكة تلاها نفضه لليد الممسكة به وهو يسأل ببرود

- "أهذا تهديد؟؟"

سرت في جسم الآخر رعشة لكنه حاول اخفاءها وهو يتلبس رداء الشجاعة الواهية أمامه ليجيبه بثقة

- "هذا ما سيحدث إن أصريت على قرارك..."

وما أن نطق الحرف الأخير من جملته حتى وجد نفسه يدفع إلى الحائط بقوة هائلة حتى التصق به وقبضة من حديد تمسك برقبتة حتى شعر بالهواء يكاد لا يصل إلى رئتيه وهو يهمس له بنبرة أقرب إلى الفحيح

- " إياك أن تتجراً وترفع يدك في وجهي مرة أخرى، هذا أولاً.... أما ثانياً اهتم بعملك ولا تتدخل في قراراتي الميدانية... "

ثم خفف قبضته مفلتا إياه من الخناق ليربت على وجهه وهو يتابع

- " هل فهمت؟؟ " "

ثم تركه واقفا مكانه وهو يوليه ظهره ليتابع سيره ولم ينتبه إلى تلك النظرات المشتعلة كراهية والمتوعدة بالانتقام بعد تلك الإهانة.....

\*\*\*\*\*

انطلق الجميع للمهمة وبعد أكثر من يومين عادت الفرقة للمركز، ورغم النجاح الذي تم تحقيقه والعملية التي تم احباطها مع القبض على المسؤولين إلا أنه كان نجاحاً مشروخاً بعد الخسائر التي تكبدوها والجنود الذين فقدوهم في الميدان، صحيح أنها كانت حصيلة لم يكن في وسعهم تجنبها لكنها تبقى فاجعة مؤلمة رغم ذلك...

كان إبراهيم ينتظرهم من أجل التقرير لكنه قرر أن يهنئهم قبل ذلك

- " أحسنتم شباب ..... لم تخيبوا ظني فيكم يمكنكم

الاستراحة الآن وبعد ساعات سيكون لدينا اجتماع.. "

انتظر حسام انصراف الجميع قبل أن يتكلم بإحباط وغيض من خسر تحد، وكأنه لم يتوقع النتيجة التي صدمته

- " لم نصل لكمال ولا حتى لدليل واحد ضده... كل الرجال

كانوا مجرد بيادق لا يعرفون عنه شيئا... لا بد أنه يتلاعب

بنا... الحقير... "

ربت إبراهيم على كتفه وهو يبتسم مجيبا فهو عكسه تماما

كان يضع ذلك الاحتمال كأولوية

- "لا تحمل الأمر أكثر مما يستحق..... لقد أحببتم عملية

كبيرة وهذا جيد إلى حد الآن أما كمال فسيحين دوره فهو

ليس غرا ليقع في شرك كهذا وليس غبيا ليكشف نفسه في

عملية كان سيكلف نفسه حتى بالاهتمام بتفاصيلها، كان يجب

عليك معرفة ذلك، لا تترك ثقتك بنفسك تصل إلى الغرور،

والان هيا انصرف لترتاح قليلا... "

عندما كان يهم بالرد كان خالد يقتحم المكان ثائرا كالإعصار، صراخه يزعرع المكان وهو يهتف باسم حسام لينتبه له الاثنان.... كان محظما بعد أن خسر أخاه الأصغر الذي لم ير من الدنيا شيئا سوى أنه يريد أن يكون مثله ليموت وهو في ريعان شبابه....

اتجه مباشرة إلى حسام دون حتى أن يمهل الوقت لاستيعاب الموقف وأمسكه من بدلته وهو يدفعه أعقبها بكلمة مباشرة وإبراهيم يحاول ابعاده دون جدوى.... واصل هزه وهو يصرخ بكل جوارحه --- "لقد مات لؤي أيها الحقير.... لقد قلت إنك ستحميه.... لما لم تفعل أجبني لما؟؟؟" "

ثم صمت وهو يلهث ليردف بعدها بنبرة مبعثرة قريبة للهديان

- "أنت المسؤول عن موته... أجل أنت السبب.... لا أحد غيرك"

لم يستطع الرد .... كان بإمكانه دفعه بعيدا عنه وحتى رد ضرباته لكنه لم يفعل تركه يفرغ ثورته أو بالأحرى ألمه فموت لؤي كان صدمة له هو الآخر وكاد يفقد توازنه خلال العملية بسبب ذلك لولا أنه تذكر الأرواح الأخرى التي مازالت



تحت مسؤوليته فحاول التركيز على الأقل خلال ذلك الوقت...  
لذلك فهو يتفهم غضبه لكنه أيضا يدرك أنه في هذا المجال  
بالذات الموت رفيقهم فهم في أي لحظة عرضة لرصاصة  
غادرة أو كمين وخالد عليه أن يتفهم ذلك أيضا....

حاول أن يجعل صوته عمليا على قدر استطاعته وهو يريد  
عليه

- "أنا فعلا أسف لما حدث للوئي وأتفهم ما تمر به..... لكن  
لوئي كان يحمي رفاقه ووطنه يجدر بك أن تكون فخورا به  
و....."

وقبل أن يتابع تلك المهزلة عن الوطنية والتضحية والفخر  
حسب وجهة نظره كان يقاطعه وهو يهتف

- "الفخر لن يعيد لي أخي الذي رببته بين يدي.... لن يعيد  
لوالدي ابني الصغير.....يا إلهي ما الذي سأقوله لخطيبته  
لم يمضي شهران حتى على خطبتهما.....طلبت منك أن  
تحميه.... ترجيتك لسحبه من الفريق لكن غرورك وعجرفتك  
الغبية لم تسمح لك بالرؤية أبعد من نفسك.."

كان يهم بالهجوم مرة ثانية على حسام عندما أوقفه الصوت الزاجر المنطلق من إبراهيم الذي بقي صامتا منذ البداية لم يكن يريد التدخل لكن الأمر زاد عن حده فقرر إيقافه

- " هذا يكفي.... ألم يبق في عقلك ذرة تعقل لتحترم قائدك الواقف أمامك... "

انتبه أخيرا أنه لم يكن وحده مع حسام في القاعة فغمغم باعتذار بالكاد غادر شفثيه وهو يخفض رأسه..

زفر إبراهيم بغضب وهو يردف بصيغة أمرة أي أنه قرار لا مجال لمناقشته

- "خذ إجازة حتى تكون إلى جانب عائلتك ونحن سنتكفل بكل شيء فلؤي استشهد خلال المهمة... " ثم تقدم إليه ليعزيه في الف قيد.... لم يجبه لم يبد أي رد فعل سوى أنه انصرف بهدوء غريب بعد الثورة التي فجرها منذ لحظات وما إن وصل بمحاذاة حسام همس له بصوت لم يصل لغيره

- " الأمر لم ينتهي عند هذا الحد... أعدك ستدفع ثمن دماء أخي في أعلى الناس لديك.... جهز نفسك فلا تدري متى تأتيك الضربة.... "

قالها هكذا بكلمات قاطعة سمّرت حسام مكانه وهو يلتفت إليه  
ليجده قد تحرك منصرفاً....

في ذلك الوقت ظن كلماته مجرد تهديد فارغ من شخص  
مجروح فقد أخاه لكنها تركت في نفسه شعوراً بالتهديد لم  
يستسغه ..... أما خالد فقد كان يعني كل حرف نطق به فنار  
الانتقام كانت تتأجج داخله والغضب كان يتآكله لدرجة أعمت  
بصيرته فصار كل ما يهمله هو أن يرى حسام يجرب نفس  
الإحساس.....

\*\*\*\*\*

مرت الأيام واستمرت الحياة فهي لا تتوقف عند حدث مهما  
كان مؤلماً وعادت الأمور إلى روتينها المعتاد، كانت  
الأوضاع هادئة وضغط العمل انخفض نسبياً في مركز  
العمليات وهذا نادراً ما يحدث أي أنها فرصة لا تعوض لأخذ  
إجازة طال انتظارها لأشهر عديدة وهذا ما قرر حسام فعله  
بالضبط... لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة عاد إلى بيته  
ورأى نداءه .....

عند قبول طلبه للإجازة أراد أن يفاجئها باتصاله ليبلغها الخبر المفرح .... انتظر بفارغ صبر أن ترفع الهاتف وتجيبه وما أن فعلت حتى اندفع هاتفها بمرح لا يظهر إلا لها وحدها - " ندوش .... حبيبتي كيف الحال؟؟ " -

في البداية لم تصدق عينيها عندما رأت رقمه على الشاشة فهي كانت تعلم مدى انشغاله في الفترة السابقة لذا كان يتفادى الاتصال بها وعندما تسألته كان دوما يجيبها بأنه لو سمع نبرة الشوق في صوتها سيجن ويرمي كل شيء خلف ظهره ليعود راکضا إليها يروي ليس أشواقها وحدها بل أشواقه هو كذلك ... ابتسمت عند تلك النقطة فهي تعلم مدى جنونه وقدرته على تنفيذ ما قاله وعندها بالتأكيد عمها إبراهيم لن يرحمه.....

ما إن فتحت الخط وسمعت صوته الذي استوطن عقلها وقلبها منذ أن وقعت عيناها عليه لأول مرة حتى اغرورقت عيناها بالدموع وما عادت قادرة على كبحها فخرج صوتها مبجوحا مختنقا وهي تجيبه

- "حسام حبيبي... أخيرا اتصلت .... لا تعرف كم اشتقت إليك... "

انتبه إلى حشجة صوتها فهمس بمكر وهو يبتسم

- " هل كل هذه الدموع من أجلي؟؟؟ " "

لم تجبه ففهم أنها فعلا متأثرة جدا في تلك اللحظة فواصل  
بهمس

- " آسف حبيبتي لأنني أطلت الغياب عليك لكني أعدك سأعود  
قريبا... قريبا جدا.. " "

مسحت دموعها بسرعة بباطن كفها كالأطفال وهي تكاد تقفز  
فرحا لتسأله بلهفة

- " هل حقا ستعود؟؟؟ متى بالضبط؟؟؟ " "

كان حسام بالكاد يسمع آخر كلماتها بسبب الضجيج الذي  
غطى على صوتها الخفيض...

انعقد حاجباه وهو يتساءل عن مكانها ولم يلبث أن نطق  
بالسؤال.... تطلعت إلى كل تلك المشتريات التي تحملها  
وبالكاد تستطيع المشي مع بطنها المكورة أمامها.... ابتسمت  
بسعادة وهي تجيبه

- " لقد كنت أتجول بين محلات ملابس وألعاب الأطفال.... يا  
إلهي ليتك كنت معي لتراهم كل شيء صغير جدا وجميل.... لم

أستطع منع نفسي .... لقد تجاوزت الميزانية المسموح بها  
تماما... "

انتقلت له عدوى السعادة هو أيضا عندما تذكر صغيرته  
القادمة قريبا... لا يستطيع الانتظار حتى تشرف هذا  
العالم..... لو كان الأمر بيده لما كان فارقهما للحظة

- "لأجل أميرتي كل شيء يهون... "

همس بها بكل حب العالم وشعور الأبوة يغنيه عن كل  
الدنيا.....

- "عد إلينا بسرعة حسام فنحن ننتظرك..... "

لم تكن تلك الجملة هي كل ما وصل إلى مسامعه فبعدها  
مباشرة اخترق صوت اصطدام وصرخة وبعدها صمت قاتل  
ليس فقط لأذنيه بل لقلبه أيضا ...

## الفصل الثالث

"عد إلينا بسرعة حسام فنحن ننتظرك " لم تكن تلك الجملة هي كل ما وصل الى مسامعه فبعدها مباشرة اخترق صوت اصطدام وصرخة وبعدها صمت قاتل ليس فقط لاذنيه بل لقلبه أيضا ...

صدمة شلت كل حواسه والاتصال ينقطع فلا يقابله سوى الهدوء في الجهة الأخرى .... تأمل الهاتف في يديه بضع لحظات قبل أن يعود إليه رشده ويعيد الاتصال مرة تلو الأخرى وفي كل مرة لا شيء سوى ذلك التسجيل اللعين الذي يخبره أنها غير متاحة..... أفكار كثيرة كانت تتقاذفه ومخاوف عديدة تسيطر عليه.... ماذا لو أغمي عليها في الشارع؟ ماذا لو حاول أحدهم التعرض لها أو سرقتها؟ أو...أو..... وساوس كثيرة ولا واحدة منهم كانت تشمل حادث سيارة سيرمي بكل أحلامهما عرض الحائط ويدمر المستقبل الجميل بكل خطته.... خطط رسمها مع زوجته في انتظار ابنته... والآن هو لا يعرف شيئا عما أصابها وهو بعيد... دخل إبراهيم المكتب ليجده يجول ويصول في المكتب.... لم يكن على طبيعته حتى أنه لم ينتبه إلى دخوله.... راقب ملامحه المتوترة والقلقة.... يمسك هاتفه كأن حياته متصلة

به لكنه فجأة رماه بأقصى قوته وصرخة عميقة بعمق ألمه  
تنتقل منه مع تحطم ذلك الهاتف كما تحطمت حياته....  
انعقد حاجباه بعدما رأى ما حدث وهو يتقدم إليه، وضع يده  
على كتفه وهو يناديه ليلتفت له ونظراته تائهة كأنه غائب  
عن هذا العالم وعقله يسبح في محيطات من الضياع لا يدري  
ماذا حدث هناك.... لا يدري كيف يتصرف.... انتقل القلق إلى  
إبراهيم فحسام كان له مكانة خاصة عنده وترجم ذلك في  
سؤاله

- "ما الأمر... تبدو قلقا.... هل حدث أمر خطير؟"

استغرق بضع لحظات كي يستوعب السؤال فأجابه بكلمات  
مشتتة كأنه لم يتجاوز الصدمة بعد

- "ندى... لا ترد على الهاتف.... ومنذ قليل عندما كنت  
أحدثها سمعت أصوات غريبة قبل أن ينقطع الاتصال.."

ابتسم إبراهيم وهو يحرك رأسه في يأس ل طالما كانت ندى  
وحسام هكذا.... هو بسبب عمله يحلل كل شيء ويعطيه  
أحيانا أكثر مما يستحق... وهي دائما تتصرف بطيش وحسن  
نية وفي الأخير تستفز آخر ذرة صبر فينفجر فيها..



- "اهدأ ولا داعي لكل هذه الجلبة.... تعرف جيدا كيف تكون مهملة في كثير من الأحيان.... لا بد أن هاتفها نفذت بطاريته أو أوقعتة من يدها للمرة الألف كالعادة، لا تقلق.. "

مهما قال هو لن يطمئن حتى يسمع صوتها ويتأكد أنها بخير وبعدها سيحاسبها بطريقته، تلك الحمقاء المتهورة

لم يستغرق وقتا طويلا حتى رن هاتفه ... لم يكن في حالة تسمح له بالتركيز أو حتى الانتباه لهوية المتصل فأجاب بلهفة

- " ندى.... "

قابله الصمت للحظات في الجهة الأخرى قبل أن يسمع صوت هو بالتأكيد ليس صوت ندى

- "أنا ريمة... "

للحظات نسي من تكون ريمة قبل أن يستغرب من اتصالها فأبعد الهاتف عن أذنه وهو يتطلع الى الشاشة يتأكد مما سمعه قبل أن يعيده وهو يجيبها

- " أرجو المعذرة لقد كنت أنتظر اتصالا من ندى لهذا ظننتك هي.... كيف حالك؟ "

ترددت قليلا قبل أن تجيبه ببطء أثار الرعب في قلبه

- " أنا أتصل لهذا السبب... "

لم تستطع أن تكمل كلامها... ما الذي ستقوله له... مهما حاولت إيصال الخبر إليه بطريقة لطيفة ستظل الصدمة هي نفسها... أما هو فكان عقله يربط الأحداث ببعضها... ريمة طبية.. إضافة الى ما حدث منذ قليل... كل شيء يوصل الى نفس النتيجة... حاول تجاهل ذلك الصوت الذي يخبره أن مكروها قد حدث على أمل أن يكون مخطئا ليهدف بها

- " ما بها ندى... أين هي الآن؟ "

استمر صمتها حتى قطعه هتافه باسمها متوسلا أن تنهي حيرته وتجيبه... أخيرا حسمت أمرها وهي تجيبه بصوت بالكاد يسمع لكنه بالتأكيد اخترق قلبه قبل سماعه..

- " الحقيقة لا أدري كيف أخبرك ولكن... لكن ندى تعرضت لحادث وهي الآن في غرفة العمليات.. "

كان قد وصل إلى ذلك الاستنتاج منذ أن اتصلت لكن أن يسمعها تؤكد مخاوفه فهذا فوق قدرته على الاستيعاب... لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيا...

خرجت كلماته متقطعة من هول الصدمة التي تعرض لها وهو يجيبها

- "ماذا؟ بالله عليك ريمة قولي بأنك تمزحين... ندى لا يمكن أن تفعل ذلك بي... لقد كنا نتحدث منذ لحظات... "

أغمضت عينيها تحاول ابتلاع تلك الغصة وهي تتابع بعملية بعد أن تماسكت قليلا

- " عليك العودة حالا حسام... الوضع حرج ولا يتحمل.. "

لطالما اعتقد أنه لن يفرقهما شيء... إلا الموت .... صحيح أن الاعمار بيد الله إلا أنه كان يظن نفسه سيرحل قبلها ذات يوم بسبب طبيعة عمله لكن أن يفاجئه القدر بفقدانها هي فهذا ما لم يخطر على باله إطلاقا... أي اختبار هذا يا الله ؟

ظلت كلمات ريمة تتردد داخل عقله... أحس أن الأرض تميد من تحته وأن العالم كله ينهار من حوله... ترنح في مكانه حت أمسك بحافة المكتب يسند جسده... تسارعت أنفاسه حتى صارت لهاثا... عيناه تحدقان في اللاشيء... وعقله يلغي كل ما حوله فلم يعد يسمع هتافات إبراهيم القلق... استمر الوضع هكذا عدة لحظات ثم خرج يركض من المكان تاركا إياه دون حتى أن يخبره بما حدث....

\*\*\*\*\*

بعد ساعات طويلة مرت عليه كالدهر وصل حسام ومعه إبراهيم الذي لحقه ما أن رأى حالته إلى المستشفى....

أسرع إلى الاستعلامات يسأل عن ندى فرقم ريمة كان غير متاح وقتها، لتقابلته تلك الموظفة ببرودها وهي تطلب منه الانتظار لتتفقد السجلات، لم يكن في حالة تسمح له بالتحمل أكثر من ذلك فثار جنونه عليها واقترب منها لدرجة خطيرة جعلتها تتراجع إلى الخلف وقد اتسعت عيناها برعب وهي تسمع صوته المهدد

- "أقسم بالله إن واصلت اختبار صبري ستكون جثتك في المشرحة بعد لحظات..."

تطلعت إلى عينيه التي تلونت بلون الدم فعلمت أنه جاد في تهديده ابتلعت ريقها وهي تدله عن مكانها... لم ينتظر حتى أن يسمع تنمة كلامها بل انطلق يركض في الأروقة وإبراهيم يحاول مجاراته....

وصل أخيرا إلى غرفة العناية المركزة.... وقف أمام الباب لعدة لحظات كأن يده تجمدت على المقبض أو أن قدماه قد اخترقتا الأرض فلم يعد قادرا على الحركة.... كان يدعو

داخله حتى آخر لحظة أن يكون كل شيء مجرد كابوس.....  
 أغمض عينيهِ وأخذ نفساً عميقاً وقد اتخذ قراره بالدخول  
 عندما سمع صوتها خلفه... كانت متجهة للغرفة لتفقد ندى  
 عندما لمحتة فتركته حتى يللم شتات نفسه ثم اقتربت منه  
 - "لقد تأخرت..."

التفت إليها وقد ارتسمت على ملامحه كل معالم الرعب قبل  
 أن يقتحم الغرفة بسرعة على الرغم من هتاف ريمة بأنه  
 ممنوع عليه الدخول لكنه لم يبالي....

اقترب من السرير ببطء وتردد كأن ساقاه لا تحملانه او أنهما  
 تحولتا إلى مطاط.... انطلقت شهقة خافتة منه ما أن رأى  
 حالتها.... لم تكن تلك حبيبته ندى التي يعرفها بكل تلك  
 الجروح والكدمات.... تطلع إليها بألم وهو يرى كل تلك  
 الأجهزة المحيطة بها والأسلاك المرتبطة بها....

كانت شاحبة شحوب الأموات إلا من تلك الكدمات التي كسرت  
 ذلك اللون الباهت.... انحنى على ركبتيه وجلس أمامها، ومد  
 يدا مرتعشة ليمسك بيدها لكنه في نفس الوقت كان خائفاً أن  
 يؤلمها لم يدر ما الذي عليه فعله في تلك اللحظة....

همس إلى جانبها بصوت متحشرج يحاول كبت انفعاله

- " أنا آسف حبيبتي... أرجوك سامحيني لأنني لم أكن إلى جانبك... ستكونين بخير، أعدك ستكونين بخير... لن أفقدك أنت الأخرى... "

وقفت ريمة بلا حركة عندما سمعت جملة الأخرى... تعلم أنه فقد أشخاصا كثيرين في حياته وهي فعلا تعترف بمدى صلابته إلى حد الآن لكن وعده الذي قطعه لن يكون من السهل أن يفي به وقد يكون مستحيلا من الأساس بعد الضرر الذي تعرضت له ندى....

تركت الغرفة وانتظرت في الخارج لمنحه بعض الخصوصية فبالأكيد هو كان يحاول عدم الظهور ضعيفا أمامها... بعد عدة دقائق فتح الباب فرفعت بصرها إلى حسام وقالت بعملية بحتة

- " علينا التحدث ... "

أخذ نفسا عميقا كأن المكان خلا من الهواء أو أن الجدران تكبس على صدره وتمنع الهواء من الوصول إلى رئتيه وهو يمسح وجهه بكفيه ثم جلس إلى جانبها وسألها بهدوء لا يعبر عن النيران التي تختلج صدره خوفا عليها

- "كوني صادقة معي ..... كيف هو وضعها؟"

- "بسبب الحادث ندى تعرضت لعدة إصابات أخطرها في الرأس..... وأثناء العملية تعرضت لنزيف داخلي..... المهم لن نعرف النتيجة إلا بعد عدة ساعات من الآن.... لكن عليك أن تحضر نفسك للأسوأ.... هناك احتمال كبير بأنها لن تستفيق بسبب الضرر الذي أصاب الدماغ كما يمكن أن ينهار جسمها في أي لحظة بسبب إصابة عدة أعضاء حيوية أخرى... كما أنها فقدت الجنين طبعاً"

كلمات خالية من المشاعر نطقت بها دون رحمة به على الرغم من جهدها في التروي معه لكن هكذا هي مبرمجة فيما يخص المرضى.... لعنت غباءها وتسرعها عندما رأت شحوب وجهه... عينيه المغمضتين في ألم.... رأسه المنكسة أرضاً... امتدت يدها تربت على ظهره في مؤازرة عندما خانتها الكلمات ولم تجد ما تخفف به عنه.... وغرقا في صمت مهيب.....

\*\*\*\*\*

ومرت الساعات ثقيلة الواحدة تسحب الأخرى ببطء قاتل كأنها تخشى على الذين يعانون من طول الانتظار مما هو آت ... ويا ليتة لم يأت حتى لا تتحطم آخر ذرات الأمل .....

مرت أكثر من ثمانية وأربعين ساعة وهو هناك يجلس أمام غرفتها أو يقف يناظرها عبر الزجاج... لم يغادر لأنه كان يخشى إذا فارقها ولو لحظة واحدة ستستفيق ولا تجده إلى جانبها يمسك يدها ويطمئنها أن كل شيء على ما يرام أو الفكرة الأخرى التي يحاول تجاهلها لكنها تصر على العبث بعقله أنها قد تكون لحظتها الأخيرة وهو بعيد عنها .....

كان يقف يطالعها والأطباء معها في الداخل... يداه تستند على الزجاج كأنه يحاول حتى لمس انعكاسها عليها تشعر به وترحمه من ذلك الترقب المميت وعقله يردد " أرجوك... أرجوك حبيبتي عودي إلي... لا تعذبيني ببعذك عني... لا تحرميني من نعمة وجودك في حياتي... "

كان إبراهيم برفقته طوال الوقت ما عدا ساعات الليل حيث كان يعود للبيت ويتركه وكم كانت الليالي طويلة خصوصا لقلب يفتقد لحبيبته ويئن وجعا عليها .....



وصل إبراهيم ليجده على نفس الحال ككل مرة فعلم أن  
الوضع لم يتحسن كما كان يتوقع لكنه لا يملك غير الصبر  
فربت على كتفه وهو يقول له

- "وكلك أمرك لله واصبر .... نحن لا نملك سوى الدعاء لها  
بالشفاء..."

رمقه بنظرة عجز وانكسار ولم يملك ردا سوى الصمت...  
صمت قطعه خروج ريمة فاتجه إليها بلهفة وهو يسألها  
عسى أن يكون في اجابتها ما يريح نفسه ويطمئنها

- " ما الوضع؟ هل من تغيير؟ لما لم تفق حتى الآن؟ "

وكل مرة عليها أن تكون حاسمة في اجابتها

- " كان من المفروض أن تجرى لها عملية أخرى بعد أن  
يخف الضغط على الدماغ ويزول ذلك التورم لكن مع الأسف  
الوضع لم يتحسن ولم تفق.... ومن الواضح أنها في غيبوبة  
مستمرة لا ندري متى تخرج منها مع الأسف ولا نستطيع  
إخراجها منها حتى لا نسبب ضررا أكبر..."

لم يهتم بأي مما قالت بل كان يسأل عن شيء أهم بالنسبة له

- "ستخرج منها صحيح؟ "

وكطبيبة ليس لديها إجابة حاسمة تقدمها له صمتها جعله  
ينجرف أكثر إلى حافة الإنهيار وهو يتابع بصراخ  
- " أجيبي بالله عليك... "

انتظر إجابتها كمن ينتظر تنفيذ حكم بالإعدام أو إعلان نهاية  
العالم ولم تكن اجابتها شافية وهي تجيبه

- " نحن فعلا لا ندري يا حسام، لا أحد يمكنه التنبؤ بذلك... "  
وانهار أخيرا وهو يحطم كل ما يقابله وهو يهتف

"من يدري إذا ها؟ فلتحضري لي شخصا يعلم أو سأنقلها  
من هذا المكان اللعين، لا بد من ذلك لن أتركها هنا... "

حاول إبراهيم جاهدا السيطرة على جماح ثورته وهو بالكاد  
يستطيع التحكم في دموعه إلى أن صرخت به ريمة وهي  
تقبض على ذراعه وتتطلع إليه بحزم

- "بالله عليك تماسك... لم أعهدك بهذا الضعف... كما أن  
نقلها الآن لن يجدي نفعا من الأساس... هي هنا تحت اشراف  
أمهر الجراحين ثق بذلك... ندى صديقتي ولن أترك أي  
وسيلة لمساعدتها... "

هو يفهم ذلك لكن قلب العاشق يظل يبحث دوما عن آخر شعاع للأمل مهما كان ضئيلا ويظل متمسكا به....

نفض يدها بعنف وعاد يتطلع إليها عبر الزجاج يناجيهما بأفكاره ومشاعره....

أما هي فقد رفعت هاتفها لتتصل برقم ما وانتظرت لحظات قبل أن يفتح الخط لتحدث ذلك الشخص

- " أحمد... حسام بحاجة إليك الآن... ندى في المستشفى وحالتها خطيرة ... عليك أن تعود"

نبرة جامدة وكلمات مقتضبة كعادتها جعلت ذلك الشخص يبتسم في انكسار وهو ينظر إلى هاتفه وقد أغلقت الخط دون أي كلمات إضافية هكذا هي زوجته الحبيبة البعيدة بعد آلاف السنين....

\*\*\*\*\*

بعد مرور عدة أسابيع

بعد الحادث مباشرة بلغت الشرطة حسام أنها تحقق في الموضوع وها هو الآن قد مر وقت أكثر من كاف ولا جديد يذكر ولم يصلوا إلى أي نتيجة وهو لم يكن في حالة تسمح له

بالتدخل لكنه الآن لن يترك الأمر بين أيديهم وقرر اتخاذ  
الخطوة المناسبة....

رافقه أحمد الذي لم يتركه لوحده أبدا منذ عودته إلى مركز  
الشرطة للتحديث مع المسؤول عن التحقيق الذي رحب بهما  
بحبور نظرا لكون أحمد على معرفة وطيدة به رغم النظرات  
المتوجسة لوجود حسام معه

- " أهلا أحمد... أين اختفيت يا رجل هل اعتزلت المحاماة أم  
ماذا؟ لم أعد أراك في المركز هذه الأيام.. "

استجاب أحمد لمزاحه كعادته فهو من النوع المرح، رغم  
جدية عمله إلا أنه شذ عن تلك القاعدة

- " لا لم أعتزل بعد لكن مع الأسف المجرمون هنا أقل من  
مستواي لذلك أتركهم للمبتدئين عليكم تستطيعون الفوز  
عليهم.. "

انتبه المحقق لامتعاض تعابير حسام الذي كان صامتا طوال  
الوقت فقرر أن يسأل مباشرة

- " إذا يا أحمد من الواضح أنها ليست زيارة ودية.. "

ونقل نظره إلى الجالس إلى جانبه...التقط أحمد التلميح وهو يجيبه دون موارد

- "تعرف حسام صديقي صحيح؟"

أوما برأسه موافقا فتابع

- " إذا تدرك أن سبب الزيارة هو قضية زوجته ندى ...."

تراجع إلى الخلف مستندا إلى ظهر مقعده بهدوء محاولا إخفاء ارتبائه الذي لم يخف عليهما وهو يجيبه

- "التحقيق مازال مستمرا... ونحن نتابع بعض الأدلة..."

ابتسم حسام بتهكم وهو يدرك فحوى كلامه ليحجبه بسخرية لاذعة

- " يمكنك قول هاتين الجملتين لشخص لا يعرف كيف

تعملون وليس أنا.. من الأخير أنتم لم تصلوا إلى أي دليل صحيح؟ "

ظهر الارتباك جليا هذه المرة على ملامح المحقق وسرعان ما غطى عليه مفتعلا الانزعاج من استصغار جهودهم وهو يتابع

- "سيد حسام أتفهم وضعك جيدا... لكننا نبذل ما في

استطاعتنا للوصول إلى الفاعل وسنفعل قريبا "

انفلتت أخيرا أعصابه فاتحنى على المكتب مقتربا وهو يكرز  
على أسنانه قائلا

- "وما الذي كنتم تفعلونه طوال الأيام الماضية بالضبط ان  
كنتم طبعاً تفعلون شيئا من الأساس... من الواضح أنكم لستم  
أهلا لهذه الوظيفة لذا لا داعي لخدماتكم من الآن سأصل إليه  
بنفسي.."

- "لا أسمح لك بهذه الإهانة سواء لي أو لفريقي... هذا  
ليس مكتب تحقيقات خاص حتى تقبل أو ترفض  
خدماتنا...وليكن في علمك إن تدخلت في تحقيقاتنا أعدك لن  
أرأف بك"

هتف بها المحقق وهو ينتفض من مكانه مهددا

حاول أحمد تهدئة الوضع الذي أخذ منحى كان يتوقعه  
خصوصا مع وضع صديقه لكن حسام لم يزد المشكلة سوى  
سوءا وهو الآخر يقوم من مكانه وبنظرات متحدية عقب  
على كلام المحقق

- "افعل ما يحلو لك، لكن أحذرك من أن تقف في طريقي حتى لا أريك حجمك الحقيقي..."

قال جملته وغادر المكان ثائرا دون أن ينتظر أي رد منه....  
أما أحمد فحاول جاهدا التغطية على الموضوع بدبلوماسية  
كعادته في مثل تلك المواقف الشائكة بقوله

- " أرجو ألا تأخذ كلامه على أنه تطاول فكما تعلم وضع  
زوجته أثر على حالته النفسية لكن أعدك لن يتدخل في  
عملكم..."

على الرغم من امتعاضه إلا أنه أوما برأسه مجيبا

- " حسنا يا أحمد سأتغاضى عن فعلته هذه المرة بسبب  
معرفتنا لا أكثر لكن لا أعدك بذلك إن تكرر الأمر مرة  
أخرى.."

صافحه أحمد وخرج يلحق بذلك الثائر قبل أن يرتكب حماقة  
تفسد كل شيء... وجده داخل السيارة وما أن ركب إلى جانبه  
لم يمنحه حتى الفرصة للتذمر بل بدأ هو بالعتاب

- " هل فقدت صوابك؟ ما الذي كنت تنوي فعله هناك؟ هل كنت تريد أن تنتهي في زنزانة بسبب تحقير القوانين والتعدي على شرطي.."

انتظره حتى أنهى كلامه قبل أن يجيبه ببرود

- " لو كان يؤدي عمله جيدا لما استحقته... على العموم لا أحتاج الشرطة سأجعل الجيش يحقق في الأمر... لقد انتظرت طويلا وهذا أكبر خطأ، تركت زمام الأمور تفلت مني لكن ليس بعد الآن.."

صمت أحمد قليلا يفكر فيما قاله حسام وهو يحاول أن يرى الموضوع من منظور مختلف قبل أن يسأله

- "أليست القضية مدنية.... إذن الجيش لن يتدخل في الأمر إلا إذا...."

بتر عبارته فالتفت إليه حسام متسائلا

- "إلا إذا ماذا؟"

لم يكن يريد أن يتطرق لهذا احتمال لكن القضية فعلا معقدة إذ ليس من عادة الشرطة أن تتأخر في مثل تلك القضايا المتعلقة بالصدمة والهروب



- " ألم يخطر في بالك أن الحادث كان له علاقة بإحدى مهامك؟ "

سؤاله جذب كل انتباهه وهو يحلل الموضوع من تلك الزاوية؟؟؟؟؟؟

## الفصل الرابع

أن تحمل في عروقتك دماء ملوثة.... أن تكون ثمرة خطيئة.... ألا تعرف إلى من تنتمي من الأساس.....كلها أوجه لعملة واحدة وهي أطفال ذلك الملجأ.... أطفال دفعوا ثمن أغلاط آباءهم.... وسموا بصفة الأولاد غير الشرعيين... أولاد المجرمين والفاسقات هذا ما يطلق عليهم أغلب الأوقات... قليل من يكلف نفسه برؤية ما خلف تلك الصفات، الجميع ينظر إليهم نظرة المذنب رغم أنهم هم الضحايا..... ذلك اليوم لم يكن مختلفا عن أيام كثيرة شبت فيها خلافات بين أطفال الملجأ وأبناء الحي بمجرد خروجهم بعيدا عن جدرانهم.... كانت رهف وهي إحدى المقيمات في الملجأ تلعب عندما تعرض لها أحد الصبيان وكرد فعل طبيعي دافعت عن نفسها أو ربما كانت تطبق ما اعتادت العاملات قوله أمامهم

ألا أحد سيحميهم إن لم يفعلوا ذلك بأنفسهم لكن أن تتدخل والدته لم يكن أمرا غير اعتيادي وأن تنعتها بأبشع الصفات التي تقشعر لها الأبدان كذلك لم يكن أمرا غريبا لكن أن تتناول عليها وتصفعها كان الخطوة التي لم يتجرأ عليها أحد قبلها....

كانت ليلي قد وصلت إلى المكان بعد أن أبلغها أحد العاملين عن الشجار لتجد الصغيرة على الأرض تنتفض خوفا وهي تضع يدها مكان الصفعة وتبكي بحرقة دون أن يتدخل أحد لمنع ذلك الظلم....

احتدت نظراتها وهي تطلع إلى المرأة الواقفة أمامها والتي بادلت نظراتها بأخرى متعالية بدل الاعتذار عما بدر منها.... تحركت نحوها دون أن تحيد بنظرها عنها ودون مقدمات ردت لها الصفعة بأخرى أكثر قوة جعلتها تترنح مكانها.... تطلعت حولها ترى نظرات الموجودين حولها بين مندهشة ومستنكرة وأخرى شامته فثارت حفيظتها وهي تهتف بحنق - " كيف تجرأت حثالة مثلك أن ترفع يدها في وجهي؟ هل تعرفين من أكون؟ "

كانت ليلى تحدث الصغيرة تحاول أن تهدئ من روعها حين سمعت ما قالته فأوقفت رهف خلفها في حمائية وهي تجيبها ببرود

- "لماذا؟ ألا تعرفين من تكونين؟"

كانت المرأة تكز على أسنانها بغضب وتهيئ نفسها للرد قبل أن تقاطعها متابعة دون اهتمام بها هي شخصيا كأنها توجه حديثها لكل الموجودين

- "على العموم لا يهمني من تكونين أنت أو غيرك كل ما يعنيني أنك تطاولت على طفلة في الرابعة من عمرها ... كيف طاوعك قلبك؟"

لم تجد تبريرا وهي تسمع الهمهمات المستكرة من الحاضرين سوى أن تقول وهي تتطلع إلى الفتاة الصغيرة باستحقار والتي بدورها تمسكت بملابس ليلى بقوة وهي تختبئ خلفها

- "لقد تجرأت على ابني، فتاة الله أعلم من والديها... ابنة حرام.... لا شك أنها تحمل دماء فاسدة كوالديها حتى تفعل فعلتها تلك..."

وهنا تحطم ذلك القناع الجليدي الذي كانت تضعه وانفلتت  
جماح أعصابها فاقتربت منها حتى صارت لا تفصل بينهما  
سوى بضع سنتيمترات وهمست بصوت يحمل قسوة تهتز  
لها النفوس

- "إياك أن تعيدي كلامك هذا مرة أخرى وإلا لن أكتفي  
بمجرد صفة مثلما حدث منذ قليل بل ستكون دماغك التي  
تدعين طهرها هي الثمن... هل فهمت؟ "

تراجعت المرأة إلى الخلف وقد شخصت عيناها وهي ترى  
جدية تحذيرها على وجهها لتعلم أن كلامها ليس مجرد تهديد  
فارغ بل هي مجنونة لدرجة أن تطبقه على أرض الواقع....  
عندما لم تسمع ليلى جوابها قبضت على ذراعها بقوة جعلتها  
تشهق من الألم وهي تسألها مرة أخرى

- " لم أسمع ردك هل فهمت ما قلته سابقا أم ... "

وقطعت جملتها تاركة خيالها يجمع ويؤدي المهمة بدل عنها  
في إثارة رعبها أكثر.... أومأت المرأة برأسها كإجابة وهي  
تسحب يدها بعد أن أرخت قبضتها ثم جذبت ابنها وهي تغادر  
بعد أن ألقت نظرة حانقة متوعدة بالانتقام منها .....

عادت ليلى إلى رفف وحاولت رسم ابتسامة على شفيتها حتى لا تخيف الطفلة أكثر وأرسلتها إلى داخل الدار لكنها عندما التفتت تفاجأت بريعان تقف خلفها تكتف ذراعيها أمام صدرها وقد ارتفع حاجبها كالعادة عندما تغضب وهي ترمقها بنظرات عاتبة لكنها رغم ذلك سألتها بهدوء

- " إلى متى ستستمرين في الدفاع عنهم أمام أهل الحي هذه هي حياتهم لسنوات عديدة قادمة وعليهم التعايش مع ذلك وأنا خير دليل أمامك.. "

تجاوزتها قبل أن تقف في منتصف الطريق وهي تجيبها دون تلتفت إليها

- " ليسوا مذنبين ليحاسبوا بهذه الطريقة... ليس عدلا أن يعتبر ابن المجرم مجرما بالوراثة لمجرد أنه يحمل دمه... أو أن تكون الفتاة منحلة اجتماعية لمجرد أن أمها أنجبتها دون زواج... هذا ليس عدلا... لن أسمح بأن يهدر دم واحد منهم مرة أخرى... "

قالت جملتها الأخيرة كأنها تهمس بها لنفسها... كانت تهم بمواصلة طريقها عندما سمعت ريعان تواصل

- " ألا ترين أنك تتصرفين بحمائية زائدة... هل أنت...؟ "

رغم أنها قطعت سؤالها إلا أن المعنى وصل إليها فالتفت  
وهي تبتسم بانكسار مجيبة

- "لا لست كذلك... لكني أحاول التكفير عن خطأ في حق  
صديقة قديمة كانت كذلك.."

ثم تحركت مغادرة تخفي لمعة الحزن التي كانت تهدد  
بفضحها....

\*\*\*\*\*

طوال طريق العودة إلى المستشفى ظل سؤال أحمد يطرق  
ذهنه.... هو متأكد أن كل مهماتهم سرية ولا أحد له صلاحية  
معرفتها خارج القوات الخاصة كما الحال بالنسبة لملفاتهم  
الشخصية وذلك حفاظا على سلامتهم إذا فذلك الاحتمال غير  
وارد لكن الفكرة لم تفارقه لا يدري لماذا.....

دخل غرفة ندى يحمل باقة من الورود البيضاء نوعها  
المفضل وتقدم من سريرها بابتسامة هادئة ثم انحنى ليقبل  
جبينها وهو يهمس بحب

- "كيف حال حبيبتي اليوم؟ أعلم أنك منزعة لآني تأخرت  
اليوم لكن كان لدي مهام عالقة "

ثم ارتفعت نبرة صوته وهو يهتف بمرح

- "لكني سأراضيك بهذه الورود التي تحبينها.. "

ثم اتجه الى المزهريّة ليغير تلك الورود الذابلة بتلك التي أحضرها...

منذ الحادث وهذه هي عادته دائما يحضر معه الورود ويجلس إلى جانبها يحادثها كأنها تسمعه... يخبرها عن معاناته في بعدها وعن شوقه لغيابها وفي بعض الأحيان تغافله دموعه وتنزل بحرقه....

بالنسبة له الوقت المخصص لزوجته مقدس لكنه لم يستطع ابعاد كلام أحمد عن تفكيره لذلك قام مبتعدا من جانبها ووقف أمام النافذة يفكر قليلا قبل أن يحسم أمره ويرفع هاتفه ليتصل برقم ما وأبلغه عما يريد بالضبط.....

بعد مرور عدة ساعات وصله ما كان يريد..... تفاصيل كل المهمات الأخيرة التي شارك فيها ومن كان له علم بها..... أمضى ليله كاملا يدقق في كل تفصيل حتى حصر الأمر في عدة أسماء لها صلات حتى في الشرطة والجيش لكن ذلك لم يقربه سوى خطوة صغيرة من مسعاه ويظل من سرب

المعلومات مجهولا بالنسبة له كما الحال للشخص الذي حصل عليها واستغلها لينتقم منه....

بعد أن أرهقه التفكير الذي لم يوصله الى أي دليل يفيد قرر الخروج قليلا ليستنشق بعض الهواء وقت الفجر عله يريح أعصابه ويؤدي صلاته.....

كان قد وصل إلى حديقة المشفى عندما استوقفه رنين هاتفه، والذي استغربه أكثر أن يكون الاتصال من إبراهيم وفي ذلك الوقت المبكر جدا وبعد إلقاء السلامات والسؤال عن وضع ندى قرر إبراهيم التطرق إلى الموضوع الذي اتصل من أجله - "ألا ترى بأنه حان الوقت لتعود إلى عملك؟"

لم يحتاج حسام إلى وقت طويل ليجيبه بل قال مباشرة كأنه موضوع بديهي ولم يكن هناك حاجة للسؤال بخصوصه

- "لا ليس بعد.... ليس قبل أن تشفى ندى... وأجد الفاعل.."

كان يتوقع اجابته لكنه كان يأمل أن يكون اتصاله له ولو تأثير صغير على قراره ولكن ذلك لم يفلح فلم يجد أمامه سوى الحزم كما يتعامل مع الباقيين وهو يهتف



- "لولا أنك عزيز علي لكان لي تصرف آخر معك سأعطيك مهلة أسبوع واحد إن لم تكن أمامي قبل انقضائها جهز نفسك للفصل مع الخضوع للعقاب.."

ودون أن ينتظرا منه ردا قطع الاتصال....

وقف هناك مكانه يتأمل الهاتف في يده قبل أن يزفر بغضب ونظراته تحدد بوعيد واضح ليهمس بعدها

- "لم يحن وقت العودة بعد... قليل من الوقت فقط هذا ما أحтаجه.."

\*\*\*\*\*

لم يخبر أحدا بعودته إلى القاعدة ولا حتى إبراهيم...  
الشخص الوحيد الذي علم بخبطه كان أحمد الذي اتصل به بعد ما حدث مع إبراهيم.... استعمل كل معارفه وزملائه من المحامين، أفراد الشرطة وحتى الصحفيين لم يتركوا خيطا إلا وتتبعاه، قلبا المدينة رأسا على عقب حتى بلغا مرادهما بعد طول عناء.... لقد كان سائق السيارة أحد رجال كمال وإن من بعيد.....

قبل سفره أمن ريمة على ندى لأنه لا يعلم نتيجة ما هو مقدم عليه.... هو متأكد أنه سيخسر عمله وقد يتعرض للسجن وأسوء الاحتمالات أن يفقد حياته لكن ليس قبل أن يعثر على الحقير الذي باعه واستحل دم زوجته دون أن يرف له جفن ويجعله يدفع الثمن غاليا.....

كان قد وصل إلى القاعدة .... حاول التصرف بهدوء خلال تحركاته والتحكم في انفعالاته كي لا يثير الشكوك لأن الكل في نظره متهم، حتى فاجأه خالد الذي قطع عليه الطريق وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة راضية مشبعة بالغل وهو يهتف بمرح مصطنع

- "القائد حسام؟؟ يا لها من مفاجأة.... ظننتك طردت من العمل عندما اختفيت كل هذه المدة...."

زفر حسام بضيق ثم قال بقلّة صبر

- "خالد، لا وقت لدي لسخافاتك الآن لذا يستحسن أن تبتعد عن طريقي... "

قبل أن يدفعه جانبا محاولا تجاوزه عندما سمعه يهمس بفحيح وقد لمعت عيناه بحقد وسواد مخيفين

- "لابد أنك كنت تبكي إلى جانب زوجتك المسكينة..."

توقف عندما وصل إلى جانبه وقد شحذت كلماته كل الغضب الذي كان يحاول التحكم به فالتفت إليه وقد احتدت نظراته وتحفزت كل عضلة في جسده عندما هاله تلك القسوة المرتسمة على ملامح خالد الذي تابع بتهكم مرير

- "ما تعرضت له فعلا مؤسف... رغم أنها لا تستحق ذلك كان يجب أن تكون هي قربان التكفير عن خطاياك كونك لا تملك عائلة غيرها.."

وحرك رأسه في أسف مصطنع بينما هو في الحقيقة تشفي صريح....

عقد حسام حاجبيه يحل ما كان يسمعه وتسترجع ذاكرته تهديدات خالد السابقة بسبب موت لؤي والتي لم يأخذها على محمل الجدية وقتها....

انقبضت يداه وتسارعت أنفاسه الملهبة وهو يصل إلى نتيجة ذلك عندما انقض على المقابل له يقبض على ملبسه ويدفعه إلى الحائط بقوة وهو يسأله بغضب عما يعنيه بالضبط، يريد سماع التأكيد من بين شفثيه، لكن لم يقابله سوى الضحكات الهستيرية من طرفه فهجم عليه يفرغ فيه

كل آلامه ولولا تدخل المجندين الذين حاولوا فك الشجار  
 وابعاده لكان قتله لحظتها وارتاح منه وفي خضم كل تلك  
 الفوضى لم ينتبه أحد إلى اختفاء خالد دون أثر يذكر...  
 في ذلك اليوم خسر حسام عمله الذي كان يمثل كل شخصيته  
 وكيانه.... كل ما يطمح إليه ... كان مصدر فخره  
 واعتزازه.... وعاد إلى نقطة الصفر... لكن كل ذلك لم يعن له  
 شيئاً بل كان كل ما يشغله هو الانتقام من خالد وبعده  
 كمال....

\*\*\*\*\*

عودة الى الوقت الحالي (إلى حسام وخالد)

تابع خالد هتافه بمرارة يستفز البركان الواقف أمامه أكثر  
 - "مهما فعلت يا حسام لن تجد السعادة مطلقاً... وإن كنت  
 تعتقد أنك قد بلغت الحضيض بخسارة عملك وزوجتك فأنت  
 مخطئ... الحقيقة أنا أتمنى أن تتعذب أكثر وأكثر بل سأكون  
 راضياً جداً برؤيتك مهزوماً مكسوراً حتى لو كانت آخر  
 صورة أراها قبل موتي.... لذا هيا لا تؤجل المحتوم....  
 أطلق الرصاصة التي ستجعلك تنحدر أكثر.... أنا أموت وأنت

تتعفن في السجون مثلك مثل أي مجرم حقير... هيا اقتلني  
ماذا تنتظر "

اقتحم أحمد المكان بعد سماعه لهاتف خالد بأن يقتله وبما أنه يعرف صديقه جيدا فهو متأكد أنه لن يتردد للحظة واحدة في قتله.... تدخل ليقف بينهما وهو يرفع يديه أمام حسام مهدئا حتى وصل إليه ليمسك بذراعه التي تحمل السلاح محاولا ابعاده عنه وهو يقول ببطء عله يستوعب كلامه

- " ماذا تفعل؟ أرجوك أخفض سلاحك ولا تتهور فكلب مثله لا يستحق أن تتحول إلى مجرم بسببه "

لم يبدو له أنه سمع كلمة مما قاله فلم يبقى أمامه سوى استعمال القوة على الرغم من أنه يدرك التفوق الجسدي لحسام مقارنة به لكنها مجازفة قرر الخوض فيها لأنه لا حل آخر أمامه لكن لحسن حظه أصوات سيارات الشرطة شتتت انتباهه للحظة فقط كانت كافية لتجريده من سلاحه والتخلص منه قبل اقتحام الشرطة للمكان....

بعد أن ألقوا القبض على خالد بقي حسام وأحمد في المخزن والذي حاول تبرير موقفه لأنه هو من أبلغ الشرطة وما أن أنهى كلامه حتى كانت لكمة حسام تطبق على فكه بقوة

جعلته يفقد توازنه وتدمي شفته ثم غادر بسرعة تاركا إياه  
أرضا....

\*\*\*\*\*

أخيرا وصلت إلى البيت ... طول الطريق كانت تمنى نفسها  
بحمام دافئ يزيل إرهاق يوم طويل من المعاینات والحالات  
المستعجلة، ورغم أنها تكاد تموت جوعا إلا أنها متعبة  
لدرجة أنها قد تفوت وجبة الطعام من أجل دقائق إضافية من  
الراحة....

كانت أنوار البيت مطفأة أي أنه لم يعد بعد، وهذا ناسب  
مزاجها فليس لها أي رغبة في أي حديث من أي نوع  
وخصوصا معه هو، المهم أنها افتكت من لقاء لا ترغب  
فيه....

بدأت في التخلص من حذائها وثيابها ما أن دخلت الغرفة  
واتجهت إلى الحمام مباشرة والذي كان مضاء.... شهقت  
بأعلى صوتها ويدها على صدرها تهدي نبضها المتسارع من  
شدة خوفها.... لقد ظنته غريب اقتحم بيتها لكنه كان هو فقط  
يجلس أرضا هناك مغمض العينين ورأسه إلى الخلف يستند  
إلى المغسلة وراءه....

فتح عينيه مع صوت شهقتها المرعوبة وصمت عدة لحظات يتأملها كأنه يراها أول مرة ويقع في حبها كما يفعل كل مرة... أشاحت بنظرها بعيدا عنه عندما انتبهت إلى نظراته العاشقة والتي دائما ما توترها وقالت مبررة موقفها - "لم اعتقد أنك ستعود اليوم... لذلك تفاجأت قليلا.."

ثم تقدمت لا مبالية إلى حوض الاستحمام تملؤه عندما لمحت تلك الكدمة على فكه وأثار دماء جافة على شفته المشقوقة، فتوقفت تنظر إليها بتركيز قبل أن ترفع عينها إلى عينيه وفيهما سؤال لم تنطق به لكنه التقطه فأجابها ببساطة - "إنه حسام وليس أحد الموكلين أو الخصوم فلا تقلقي.."

هربت بعينها بينما تجيبه ببرود

- "لست قلقة.."

للحظة فقط تمنى لو أن إجابتها كانت مختلفة... لكنها رغم ذلك اتجهت إلى الخزانة وأخذت علبة الإسعافات الأولية وانحنت إلى جانبه تعقم الجرح بينما نظراته مسلطة عليها تحس بها تخرقها حتى تصل إلى أعماقها.... أنفاسه الملتهبة تلفحها وتحرقها أكثر وأكثر... يداه تتحركان على ذراعها

بحرية أثارت قشعريرة سرت في أوصالها... انحنى إلى جانب  
أذنها يأخذ نفسا مشبعا برائحتها التي اشتاق إليها ثم همس  
بصوت ينضح عاطفة

- " ألا تسمين هذا قلقا؟ "

أغمضت عينيها وهي تعض على شفتها بقوة عندما أحست  
بنبضاتها تكاد تفضحها وارتجافتها تهدد بكشف توترها ...  
اقترب منها لدرجة خطيرة حتى كادت شفتاه تلامسان جانب  
شفتيها عندما انتفضت من مكانها بعنف وهي تدفعه للخلف  
وتهتف بغضب

- " هذا يكفي... ما الذي تحاول فعله بالضبط... لا يحق لك  
أن ... "

وقف قبالتها وهو يمسك ذراعها ويديرها إليه بقوة هاتفا  
بمرارة

- " عن أي حقوق تتكلمين ... بالله عليك ريمة أنت زوجتي  
ومن الطبيعي ألا أسيطر على مشاعري معك فأنا لست آلة  
مثلك... "



سحبت ذراعها وهي تتجاوزه مديرة ظهرها له وهي تقول  
ببرود عاد يطغو عليها ويعزلها عنه فلا يستطيع الوصول  
إليها

- " رأيك هذا لا يهمني ..... والآن إذا سمحت أنا متعبة وأريد  
أخذ حمام.. "

- "كما تريدین.."

قالها بغضب وهو يستدير خارجا ثم صفق الباب خلفه، عندها  
التفتت ناحية الباب وقد أحست بصقيع يملكها ويخيفها في  
نفس الوقت...

## الفصل الخامس

في أحد المطارات ....

كان الظلام قد أسدل ستائره إلا من بضعة أنوار حول المدرج  
وغشى الكون بهدوء لا يكسره سوى حركة هؤلاء الحراس  
المدججين بالأسلحة وهم يجوبون المكان يتفقدون كل صغيرة

وكبيرة... يتلقون الأوامر من ذلك الواقف هناك ينفث دخان  
سيجارتته ويتفقد ساعته بين لحظة وأخرى، يتوعد الطيار  
الذي تخلف عن مواعده، وإلى جانبه شاب يتطلع إليه بين  
الفينة والأخرى وعلى وجهه أمارات القلق وفي نفس الوقت  
الترقب والشوق لشخص انتظره طويلاً.... للشخص الوحيد  
الذي حرر نبض قلبه وقلب عالمه ..... ارتسمت ابتسامة  
على شفثيه وهو يستعيد بعض الذكريات لكنها سرعان ما  
اختفت كما اختفت كل أحلامه سابق عندما سمع ذلك الصوت  
القاسي

- "أرى أنك تستمتع بوقتك بني... هل تستعيد بعض  
الذكريات اللطيفة..."

تجاهل كلماته السامة المحذرة في مضمونها وعاد الى  
شروده، قبل أن يشد اهتمامه تلك الطائرة التي كانت تنزلق  
بسرعة على المدرج قبل أن تستقر تماماً ويفتح بابها فيحيط  
بها كل الحراس....

تحرك من مكانه تلقائياً... عيناه مثبتة على ذلك الجسد النحيل  
الذي يحاول التملص من قبضة الحراس بضعف قبل أن

يقبض والده على ذراعه وهو يتطلع إليه مهددا فاتفجر فيه هاتفا

- "ألا ترى كيف يجرها أولئك الحيوانات؟"

لكنه رغم ذلك خضع لأمره غير المصرح عندما لم تلن نظراته القاسية وعاد إلى مكانه يزفر بضيق....

وصل الرجال حيث يقف أسامة ووالده الذي التمعت عيناه بنظرة انتصار وهو يسمعها تشتم وتتوعد ثم أشار إليهم لينزعوا الغطاء عن رأسها.....

كانت تحاول أن تتعود على الإضاءة التي آدت عينيها بعد أن أمضت ساعات طويلة في الظلام حتى في الطائرة لم يعتقوها من تلك العتمة... رمشت عدة مرات فكل شيء حولها كان يبدو ضبابيا وغريبا عنها... أخيرا اخترق سمعها صوت بدا مألوفا رغم أنه مضت عدة سنوات منذ آخر مرة سمعته وهو يقول بحبور مزيف فضحته نظراته الحاقدة

- "أهلا بعودتك أيتها الأميرة... مضى وقت طويل.. طويل جدا.."

اتجهت بنظرها ناحية الصوت محاولة تبين وجه صاحبه  
وتأكيد حدسها ورغم الغشاوة التي منعتها من رؤيته جيدا إلا  
أنها تمكنت من تحديد ملامحه التي تكرهها أكثر من أي شيء  
على وجه البسيطة... اتسعت عيناها بصدمة وشحب وجهها  
كأن عروقها جفت من كل قطرة دماء قد تبعث الحياة فيها  
وقد تأكدت مخاوفها فتحركت شفتاها تلقائيا وهي تهمس  
كأنها تحدث نفسها

- "مروان...؟"

النفور في عينيها قلبت الأحقاد الدفينة والمتغلغلة في قلب  
الأول وأيقذت مشاعر الدونية داخله وأثارت الغريزة الحمائية  
للثاني وهو يقترب منها مهدئا بصوته الرزين الذين دائما ما  
يذكرها بضعفه

- "لا داعي للقلق لن يحدث لك شيء وأنا هنا.."

تراجعت للخلف وهي تنظر إلى أسامة بخيبة أمل ذبحته على  
الرغم أنه كان يتوقعها بعد ما فعله والده وهو على دراية به  
دون أن يقف ضده..

قطع مروان التواصل بينهما وهو يسأل بتهمك

- "آسف أن كانت الرحلة متعبة لك ... لكن كما تعلمين الاحتياط واجب والأميرة لا يجب أن تتعرض لأي مكروه صحيح؟ "

حاولت استرجاع ما حدث لها وكيف وقعت في قبضتهم لكن كل الصور كانت مشوشة في ذهنها سوى بعض اللقطات عن رجال يهددون ريعان ثم شخص ما كان خلفها خذرها ولم تعي شيئاً بعدها سوى أنها مقيدة ووجهها مغطا حتى وصلت إلى هنا .....

عند تلك النقطة اختفت كل ملامح الخوف الذي أخذ يتسلل إليها من وجهها وتحولت نظراتها الى الشراسة واحتد صوتها وهي تهتف

- " ماذا تريد؟ ما كان الداعي لكي يسوقني رجالك كاني بهيمة سترمى إلى الذئاب.. ألم أقل بأنني لا أريد أي صلة بكم؟ "

انطلقت ضحكاته المجلجلة التي أثارت قشعريرة في جسدها واشمئززا في نفس الوقت قبل أن يقطعها وتعود القسوة إلى صوته

- " اللعب معك فعلا مسل نور... تعجبني تلك الروح المتمردة  
الشرسة التي ورثتها عن والدك... "

أغمضت عينيها تبعد صور الماضي الأسود بدمويته ومرارته  
ثم فتحهما وقد التمعتا بجليد قاس ينافس الذي يتسم به هو  
لتجيبه وهي تضغط على كل حرف تنطق به

- " لا تقل نور أبدا ولا تذكر رئيسك القدر أمامي... نور  
ماتت مع من ماتوا وأنتم السبب... "

ارتفع جانب فمه وهو يقترب منها حتى همس عند أذنها  
- " هل حقا ماتت؟ ربما... "

ثم تراجع للخلف بعد أن تركها تشتعل غضبا لكنها مجبرة  
على الانصات إليه دون أن تشوه ملامح وجهه وقد قيد يديها  
ورجليها...

طول الوقت لم يتدخل أسامة في تلك الحرب إلا عندما رأى  
الأمور قد تعقدت فاقترح الانصراف من المكان

- " ما رأيكما لو أكملنا الحديث في المنزل فلا المكان ولا  
الوقت مناسبين لهذا الآن.. "

تأهبت كل حواسها واحتدت شراستها وهي تنتظر إليه ولو كانت النظرات تقتل لما أتحت له الفرصة للنجاة بحياته خصوصا بعد اقتراحه، فهتفت بقوة وعناد لا تملكه من هي في وضعها

- "ليس هناك بيننا ما يحتاج النقاش... وحتى لو كان هناك فلست الشخص المؤهل لأتحدث معه.." قالت كلماتها بكل فوقية وعنجهية أثارت حفيظته ولكنها قابلتها بتجاهل تحسد عليه وهي تتابع

- "إن لم يكن هناك شيء آخر فأقترح أن تدعني وشائي لأنني لن أرافقك لأي مكان... أو يمكنك قتلي هنا وتنتهي الموضوع..."

جن جنون مروان وكلماتها تذكره بشخص يكرهه وتسري دماؤه في عروقها... لقد سعى لتلك المكانة على مر السنوات وضحي بالكثير، حتى أقرب الناس إليه طعنهم في الظهر ليصل إلى ما هو عليه الآن ولن يسمح لها بتصرفاتها الطفولية أن تفقده هيئته وخصوصا أمام رجاله....

كانت لا تزال تستمتع بنشوة انتصارها بعد أن قذفته بتلك الإهانة فهي تعرف نقطة ضعفه جيدا حتى فاجأها بتلك

الصفعة التي سقطت على خدّها بقوة ارتجت لها وأسقطتها  
أرضاً....

فغر أسامة فاه لما حدث أمامه قبل أن يستفيق من صدمته  
وهو يهتف في والده

- "ما الذي دهاك .... كيف تضر..."

وقبل أن يكمل كلامه حدجه والده بنظرة تحذيرية ألجمته  
الصمت صاغرا وتبعها بقوله

- "إياك أن تتحداني أسامة وإلا أنت تعرف جيدا العواقب.."  
ثم توجه بالحديث لرجاله

- "هيا تعالوا خذوها من أمامي ولا داعي لأذكركم بمصيركم  
لو حدث خطأ ما ..."

استجاب الرجال في إذعان مطلق واقتادوها للسيارة دون  
مقاومة منها بعد أن استنفذت كل طاقتها من قبل بل اكتفت  
بنظرة تحسر على ذلك الصديق العدو الذي وقف هناك بكل  
جبن يخضع لوالده... أشاح هو عنها بقهر حتى لا تقتله  
نظرات الخيبة في عينيها.....

\*\*\*\*\*



من جهة حسام لم تكن الأوضاع هادئة كذلك، فبعد مرور بعض الوقت على ما حدث آخر مرة بينه وبين أحمد عادت الأمور بينهما إلى مجاريها طبعاً بعد زيارة من حسام إلى مكتب صديقه الذي واجهه بنظرات عتاب تبعها اعتذار ضمني من الآخر كالعادة فهو من الأشخاص الذين لا يعرفون طريقاً للاعتذار تقبله أحمد وهاهما الآن يجتمعان في بيته يغوصان في كومة من الملفات والصور والأدلة المتعلقة بكمال وكل من يرتبط اسمه به لكن رغم كل مجهودهما لم يحالفهما الحظ في الاقتراب حتى منه وهذا ما أثار حفيظة حسام حيث صار يبتعد عن زوجته لوقت طويل بسبب تحقيقاته التي لسوء الحظ دائماً ما تصطدم بنهاية مسدودة.....

كان يجلس أرضاً يتكى على الأريكة في غرفة المكتب في منزل أحمد يراجع إحدى الأوراق عندما رماها فجأة وهو يزفر بضيق مما استرعى انتباه أحمد الذي كان يحدث شخصاً ما على الهاتف فأنهى الاتصال بسرعة والتفت إليه... كان قد أرجع رأسه للخلف وهو يدعك عينيه المرهقتين ويغمضهما عله يحظى ببعض الراحة التي صارت رفاهية لا يسمح له بها فهذا هو الروتين اليومي له سواء كان هو معه أو لا....

إما يغرق نفسه في البحث أو يجالس ندى في المستشفى دون  
مراعاة لصحته سواء الجسدية أو النفسية وكتاهما في  
تدهور ملحوظ...

اقترب منه حتى جلس إلى جانبه هو الآخر قبل أن يقول  
بتقرير

- " عليك النوم قليلا... لما لا تتمدد على الأريكة لبعض الوقت  
ثم يمكننا المتابعة؟ "

لم يسمع ما قاله أو ربما تجاهله لأنه سئم من تلك النصائح  
التي يطره بها وكذلك ريمة لا تقصر في ازعاجه ليجيبه  
بشروود يشوبها اليأس والانكسار

- " لم أعد أدري ماذا أفعل تاليا... لقد فعلت كل شيء لكن لا  
جدوى .... كيف يعقل أن يختفي شخص بهذه البساطة... لا بد  
من وجود حلقة مفقودة أو ربما لم ننتبه لتفصيل معين.. "

- "معك حق لا أحد يعلم عنه شيئا منذ أكثر من سنتين حتى  
رجالاه الذين في السجن لم ينفع معهم أي طريقة لجعلهم  
يتحدثون.."

اعتدل حسام في جلسته وهو يجيبه بتأكيد

- " هذا لأنهم لا يعلمون شيئاً.. "

صمت أحمد قليلاً يحاول جمع الخيوط في رأسه قبل أن يطرق اسم ما ذاكرته... كان قد التقاه من قبل في عدة قضايا بما أنه محام مثله... لم يعجبه من البداية..... شخص يستغل كل ثغرة في القانون لصالحه.... يعرف كي يتلاعب بالناس.... كان هذا قبل أن يعرف بأنه اليد اليمنى لكمال والمسؤول عن أعماله منذ غيابه.... فالتفت إليه يقابله وهو يعقد حاجبيه متسائلاً

- "ألم تر مروان بعد... لا بد أنه يعلم شيئاً ما.."

ابتسم حسام في تهكم وهو يتذكر كيف كانت زيارته له... لم يستفد منه شيئاً في الحقيقة.... إنه بالفعل شخص ماهر ومتلاعب كما أن نظراته لم ترحه إضافة إلى كلامه الذي بدا كأنه تهديد أو بالأحرى شيء آخر كتلميح ما يتعلق بالماضي لم يفهم كنهه.....

قطع سيل أفكاره دخول ريمة إلى المكتب وهي تحمل أكواباً من القهوة وبعض الكعك وضعتهم على الطاولة أمامهم وارتمت على الكرسي المقابل لهما بإرهاق ثم أشارت إلى المشتريات وهي تهمس بتعب

- "لقد تأخر الوقت لما تستريحان قليلا وتشربا القهوة ... من الواضح أنكما منهكان حتى النخاع...."

تجاهل أحمد كلامها وتظاهر بالاهتمام بأحد الملفات على الرغم أن كل خلية من خلاياه تحفرت بمجرد أن أحس بدخولها الغرفة ووجودها يطغى على كل ما حوله بخطواتها الواثقة .... صوتها الهادئ... عطرها الرقيق الذي تخلل كل مسامه.... لكن ما الفائدة من كل ذلك وهي تبادلته الحب بالبرود....

انتبه حسام إلى الجو المكهرب على الرغم من أنه لا يعلم الكثير عن علاقتهما الغريبة لأن صديقه يتحول إلى شخص كتوم وبئر عميق لا يعلم له قرار عندما يتعلق الموضوع بها لكنه ليس غيبا فهو يلاحظ ما يجري لكن ليس له أي حق في التدخل إن لم يحدثه هو في الأمر ....

حاول تغيير ذلك وهو يزعجها كالعادة بقوله

- "من منا المتعب ... ألم تري وجهك في المرآة تبدين كالموتى الذين تعملين معهم.."

كان يتوقع منها الرد بعنجهية كما تفعل دوما لكنها كانت تثبت نظراتها على أحمد الذي واصل لعبة الحرب الباردة وأجابته باقتضاب لكنه حمل الكثير من الألم

- "فعلا أبدو كذلك في نظر الكثيرين غيرك..."

أحس أن كلامها لم يكن موجها إليه بل لذلك الصامت إلى جانبه فقرر هو كذلك التجاهل وامتدت يده إلى كوب القهوة الموالي له عندما هتفت ريمة وهي تأخذه منه... حركتها تلك استرعت انتباههما الاثني فتمتت بإحراج

- "أسفة... هذا الكوب لأحمد هو يحب القهوة مع سكر إضافي عكسنا نحن.."

وامتدت يدها باتجاهه تقدمه له... لكنه ظل ينظر إليها مطولا وقرأت هي في عينيه أنه لن يأخذه منها لأنه لا يحب لعبة الزوجين السعيدين والاهتمام المزيف لمجرد أن هناك شخصا ثالثا معهما... كانت ستعانده وتكذب ما فهمه لكنها تراجع عن ذلك عندما شعرت بعمق الاحراج الذي ستشعر به لو فعلت ذلك فهمت بإنزال يدها عندما التقط هو الكوب منها... بادلته هي بشكر التقطه هو دون أن تصرح به فابتسم وهو يرد عليها

- "شكرا كنا بحاجة إليها..."

تنفست بعمق وهي تحمد الله أنه لم يخرجها .... إنه يعتمد  
الجمود معها منذ ما حدث بينهما آخر مرة، الأمر فعلا مرهق  
وتلك الحرب غير المعلنة تستنزف كل طاقتها... لقد صار  
كغريبين لا يلتقيان في البيت إلا مصادفة وإن حدث ذلك كل  
منهما يتفادى الآخر ولا تدري إلى متى سيستمر  
الموضوع...ومن حسن الحظ أن حسام كان موجودا وسيكون  
من الجيد الانشغال بالقضية بدل الصمت المتع الذي يسود  
البيت....

عادت تندمج معها تخرج نفسها من تلك المشاعر المحبطة  
وهي تسأل

- " إذا إلى أين وصلتما؟ "

امتدت يد حسام خلف رقبته يدها وقد اشتد عليه الألم ثم  
زفر بضيق وهو يجيبها بنبرة ظهر فيها ذلك القنوط بوضوح

- " وهل انطلقنا أصلا... نحن ندور في حلقة مفرغة منذ

البداية... من الأخير ليس لدينا شيء.. "

صمتت ريمة تفكر وكعادتها كانت يدها تعبت بشعرها ترجعه للخلف ثم تعود به إلى الأمام... كانت تلك طريقتهما في التركيز... وبالطبع كان هو يركز مع حركتها بكل مشاعره... آه لو يستطيع لمس شعرها واستنشاق عبيره المهلك الذي يدوخه كلما اقتربت منه... يا إلهي كم عليه أن يتحمل....

لم يكن في وضع يسمح له بالصبر أكثر فلم يجد حلا غير ما خطر على باله لحظتها فنطقه دون تفكير - "هلا توقفت عن فعل ذلك... الأمر مزعج.."

توقفت يدها ممسكة بخصلة بين أصابعها وقد اختلجها ألم حاد... لا تستطيع أن تسامحه كما لا تستطيع أن تتحمل تجاوبه مع نفورها من علاقتهما... حسنا لن ترضي سيادته....

تطلعت إليه باستنكار ثم واصلت لف تلك الخصلة حول إصبعها عندا فيه لكن لو اقترب منها لكان انتبه أنها كادت تقتلع تلك الشعيرات حنقا...

كاد أن يقوم من مكانه ويريها كيف تعانده لكنه بدلا من ذلك اندفع خارج المكتب عله يهدئ من غضبه قبل أن يقتلها طبعا بعد أن يقتلع شعرها من مكانه....

بعد خروجه استعادت بعضا من حس التعقل الذي تتميز به  
فعدت تسأل حسام الذي كان خارج ميدان حربهما في عالمه  
الخاص

- " حسنا... لنلخص ما وصلتما إليه إلى حد الآن.... هل  
تفقدتما الأصدقاء، الشركاء، المصانع، حساباته، الأملاك....  
؟ "

- "لم نترك شخصا إلا وتحرينا عنه، الجميع تحت  
المراقبة.."

صمتت قليلا قبل أن تضيف

- "ماذا عن العائلة... أليس له زوجة... أبناء.... ؟ "

لم يجبها في الحال بل اتجه إلى كومة من الأوراق وأخذ  
يبحث بينها إلى أن وصل إلى مبتغاه فعاد إليها يحمل ملفا  
وهو يجيبها

- "زوجة وابنة توفيتا منذ زمن.. زوجته لا أحد يعرف عنها  
شيئا فاعتبرت ميتة وابنته مدفونة هنا في المدينة... في نفس  
المقبرة التي يوجد بها والداي.... نور اليقين هذا اسمها"



قال جملته الأخيرة وكأن المكان والاسم حرك ذكرى بعيدة لا يستطيع الوصول إليها ولكنها بالتأكيد موجودة حتى لو كانت في مكان قصي من عقله....

انتبهت ريمة إلى انعقاد حاجبيه ونظرته الشاردة فسألته

- " ما الأمر هل عرفت شيئاً ما؟ "

أفاق من شروده وهو يجيبها بنبرة غريبة

- "لقد مر زمن منذ آخر مرة زرت قبر أمي... أعتقد أنه حان الوقت لذلك..."

تطلعت إليه باستغراب وأول فكرة خطرت لها كتفسير منطقي لما قاله هو أنه بدأ ينهار بسبب كل الضغط الذي يتعرض له.... كانت ستعظه كعادتها حول حق جسده عليه لكن رنين هاتفه لم يمنحها الفرصة لذلك قبل أن تسمعه يجيب بلهفة ويصغي باهتمام للشخص الذي يحدثه والذي لم يكن سوى أحد رجاله وكان مكلفاً بمتابعة تحركات مروان ليأمره في النهاية باطلاعه بالمستجدات قبل أن يغلق الخط....

في خضم انشغاله بالمكالمة كان أحمد قد عاد للمكتب ليجد حسام مشغولاً وريمة تتابع باهتمام عليها تستنبط فحوى

الحديث فحرك رأسه في إشارة منه عما يجري لتهز هي  
كتفيتها بأنها لا تدري أيضا وتعود بتركيزها مع المكالمة....

عندما أنهى حسام الاتصال كانت ملامحه متغيرة كأن بها  
دافعا جديدا أو شعاع أمل حتى لو كان غابرا لكنه تقدم بعد كل  
تلك العقبات ....

كان صديقه هو من بادر بالسؤال

- "ماذا هناك؟ هل وصلتك شيء جديد؟ "

التمعت عيناه بنار الكره الذي يستعر داخله كأن الوافد الجديد  
سيكون فريسته أو سلاحه الذي سيردي عدوه وهو يجيبه  
بغموض

- "شخص جديد ظهر على الساحة.."

انتظراه أن يكمل أو أن يشرح ما قصده لكن بدا أنه وضع  
نقطة النهاية فزفر أحمد بضيق قبل أن يسأله بقلّة صبر

- " بالله عليك هل سأسحبك منك الكلام بالغضب؟ من هو  
هذا الشخص؟ "

لم يكن ليطفى فضوله إذ أنه شخصيا لا يعرف هويته ورجله  
لم يتوصل بعد لعلاقته بمروان والأکید أنه ليس كمال وهذا

سبب عدم اندفاعه في مهمة انتحارية للانتقام منه لكنه  
سيعرف لا محالة، لن يترك له مجالا للتسرب من بين يديه  
فهمس كأنه يعد نفسه

- " سأعرف وقريبا جدا سبب غموض ذلك الشخص.. "

لا يدري لما انتابه شعور غريب وتخلل كل خلاياه لا يعرف  
سببه ولم يهتم به وهو غافل عما سيتغير في حياته.....

## الفصل السادس

كانت تجلس في نفس الوضعية منذ ساعات حتى لاحت لها  
بوادر اليوم الجديد عبر النافذة ... حاولت الوقوف فترنحت  
بسبب جلوسها في نفس الوضعية لوقت طويل ... أغمضت  
عينها وأخذت نفسا عميقا حتى تسترد توازنها بينما يدها  
تمسك بحافة السرير بقوة ثم تقدمت من النافذة تفتحها  
تستنشق هواء الصباح البارد عله يخفف مما يختلج صدرها  
قبل أن ترفع رأسها للسماء تتأمل تلك الأشعة الضعيفة التي  
تحاول شق طريقها عبر الغيوم الكثيفة بخجل وبالتأكيد  
ستنجح في النهاية وستنشر دفئها... عادت بنظرها إلى تلك

القضبان التي ترتص أمامها وتقيد حريتها ولا فكاك منها  
وتتهدت بقلة حيلة....

عندما وصلوا لذلك المكان في الليلة السابقة رماها مروان  
في تلك الغرفة وتركها هناك دون كلمة واحدة وهي لم يهدأ  
لها بال طوال الوقت لم تنفك تصرخ وتركل الباب بل وتحطم  
كل ما يأتي أمامها قبل أن تهدأ زوبعة ثورتها وتتحى العنف  
والغضب جانبا فهي تعلم جيدا أنها لن تخرج من هناك إن لم  
تفكر بعقلانية.... أخذت تجوب الغرفة ذهابا وإيابا، رأسها  
يقبع بين ذراعيها بينما يديها تكادان تقتلعان خصلات شعرها  
من مكانها تحاول جاهدة التركيز في خطواتها التالية قبل أن  
تتوقف فجأة وتسارع لتتفقد كل ركن في الغرفة... النافذة،  
الحمام حتى الخزانة وباقي الأثاث عليها تجد مخرجا لتتوارى  
في النهاية جالسة على السرير وهي تدرك أن الموضوع  
انتهى ولن تخرج من هناك إلا بمعجزة... أسبلت جفونها  
ورأسها ينزل بين كفيها بينما لسان حالها يردد

- "يا رب ساعدني... أخرجني من هنا.... أرجوك لا تتركني  
بين يدي ذلك المسخ"

كانت تعلم جيدا كيف سيكون مصيرها بين يدي شخص متوحش مثل مروان، لن تخرج من هناك على قيد الحياة، بمجرد أن يصل لهدفه ستلاقي ميتة شنيعة على يديه....

أفاقت من شرودها على صوت المفتاح يدار في الباب قبل أن يفتح ليطل منه أسامة الذي دارت عيناه على الغرفة وهي تغرق في فوضى كان يتوقعها حقيقة قبل أن تقع عيناه عليها.... تحاول التمسك بهدونها غير أن شرارات الغضب في عينيها تفضحها... وجهها يبدو شاحبا وعلامات الإرهاق تظله.... آه لو يستطيع رمي كل شيء خلفه والهرب بها بعيدا لكن قيوده أكبر من أن يفعل...

لم تتحرك من مكانها رغم ذلك الصوت الذي يطالبها بالاتجاه إلى الباب والخروج غصبا عن الكل حتى لو دفعت حياتها ثمنا لذلك لكنها نحتة جانبا لمعرفة المسبقة بنتيجة تهور كذاك... لن تمنحهم لذة استفزازها لفعل ذلك ليبرئوا أنفسهم بعدها من ذنبها... يا إلهي إنها تخطط لما بعد موتها، أي جنون هو هذا؟

- "حتى لو كنت سجينتكم على الأقل لا تتصرف بهمجية كوالدك، أظنك تعرف بعضا من أصول اللباقة وأهمها أن تطرق الباب صحيح؟؟؟ "

لهجتها الباردة صفعته بجمودها... ما سر تبلدها بتلك الطريقة؟؟؟ هو يعرفها جيدا لم تكن يوما من النوع الهادئ أو البارد في مثل تلك المواقف يبدو أن الكثير قد تغير خلال تلك السنوات التي ابتعدتها عنه...

حاول اجلاء صوته بعد الاحراج الذي تعرض له فخرج مهزوزا رغم ذلك

- "آسف لم يخطر الأمر على بالي... لم أكن أفعل ذلك سابقا هل تذكرين؟ على العموم كيف حالك الآن؟ "

ارتفع حاجبها باستنكار قبل أن تتجه إليه وتقف أمامه متحفزة وقد كتفت ذراعيها أمام صدرها لتجيبه بتهكم

- "هل سألتني الآن عن حالي؟ بالله عليك أسامة إلى أي درجة قد يصل غباؤك؟ "

أخذت نفسا عميقا تهدي انفعالها بعد أن صرخت جملتها الأخيرة في وجهه قبل أن تقترب منه أكثر وهي تعرف جيدا

تأثيرها عليه لتمسك ذراعه وتتحول لهجتها الثائرة إلى أخرى هادئة بينما نظراتها ترسل أعمق رجاء لشخص كان قريبا يوما ما

- " اسمعني أسامة يجب أن أرحل من هنا.. أرجوك دعني أأغار... لا أدري ما الذي يريده مروان مني لكنه لن يتركني حية سواء حصل عليه أو لم يفعل.. "

ظلت على حالها تتطلع إليه منتظرة أن يعكس الفكرة التي رسمتها عنه منذ زمن.. أن يكون الصديق الذي لطالما تشدق به، لكن لم يقابلها سوى الصمت ونظراته العاجزة التي كان يحاول الهرب بها حتى لا تراها....

كان هو فرصتها الوحيدة في ذلك الوقت فتابعت بلهجة أعمق " أرجوك من أجل صداقتنا، لو عنت لك شيئا في يوم ما.. "

أغمض عينيه بألم لا يريد أن يراها في موقف ضعيف كهذا لكن عليها أن تصبر قليلا... هو لن يسمح بحدوث مكروه لها... هو فقط يحتاج لبعض الوقت لإقناعها بتنفيذ ما يريده والده ثم المحاولة معه هو حتى ينقذ حياتها....

ارتفعت يده لتضغطا على كتفيها وهو يجيبها بصوت أجش

- " أمهليني بعض الوقت وأعدك كل شيء سيكون على ما يرام وأرجوك ألا تثيري حفيظة أبي حتى ذلك الوقت.. "

أشاحت بعينيها عنه قبل أن تخفض رأسها بانكسار وقد فعل ما كانت تتوقعه بالضبط من شخص جبان مثله ثم نفضت يداها عنها وهي توليه ظهرها مبتعدة عنه....

بعد لحظات استعادت برودها وهي تسأله

- " أين والدي؟ أريد مكالمته.. "

عم الصمت المكان قبل أن تسمع صوت خطوات.. لوهلة اعتقدت أن أسامة قرر تجاهلها وغادر الغرفة فالتفتت بحنق تريد رمي برودها إلى الجحيم وتحرق بناره الجميع لكنها وجدته مكانه يتطلع إلى ظهر والده الذي كان يقف أمامه.... كان مروان هو من أجابها باستمتاع واضح يمعن في تحطيم غرورها الذي ينخز خاصرته منذ كانت صغيرة

- " لا يمكنك.... هذه المرة هو من لا يريد محادثتك بعد أن رميت أبوته عرض الحائط بتصرفاتك الطائشة.. الحقيقة هو مختلف في الوقت الحالي لذا ستعاملين معي أنا.... وستنفذين ما أمرك به أنا.. "



للحظات سرت رعشة خوف في كامل جسدها... لطالما كرهت عمله ومبادئه لكنها كانت دوما متأكدة من حبه لها، من دعمه اللامشروط لها حتى وهي ترفضه في كل مرة... والآن هي وحدها مع من لا يرحم... ويبدو فعلا أنه تخلى عنها فهي لم تتلقى منه شيئا منذ أكثر من سنتين....

حاولت التماسك وعدم اظهار أي دليل ضعف خصوصا أمامه لترمي سؤاها المباشر في وجهه

- "حسنا... لنلعب دون ألغاز .... ما المطلوب مني؟ "

ابتسامة انتصار ارتسمت على شفثيه وقد التقط اهتزاز نظراتها عندما ألقى قنبلته منذ قليل وقد أيقن أن خطته تسير على هواه....

اقترب منها لدرجة كبيرة حتى لم يعد يفصل بينهما سوى مسافة صغيرة جدا ليقف إلى جانبها ويدير وجهه ناحيتها وهو يهمس بصوت أشعها بالاشمئزاز

- " على الرغم من أنني أرغب في تحطيم أنفك المتعالي هذا كلما رفعته بشموخ أمامي لكن يعجبني أنك لا تحبين إضاعة الوقت وتدخلين صلب الموضوع مباشرة.. "

أدارت وجهها ناحيته وتطلعت إليه بنفاذ صبر قبل أن ترد عليه بنزق

- " وأنت تحب المط في الكلام... ماذا تريد مني؟ "

ارتفعت زاوية فمه باستهزاء من جرأتها الواهية وحياتها في قبضته قبل أن يعلو محياه جمود مخيف وتبرق عيناه بكره واضح ثم تجاوزها ليجلس على الأريكة خلفها بارتياح عاقدا ساقيه مؤكدا لها أنه الملك في ذلك المكان وهي لا تملك سوى الطاعة دون التفكير في تحديه....

وأخيرا قرر أن ينهي الحرب النفسية التي كان يشنها عليها ليقول

- " الموضوع بسيط جدا بل في الواقع يخص مجال عملك ...

لا بد أنك سمعت بتلك الجريدة الإلكترونية التي تنشر

باستمرار فضائح رجال الأعمال والسياسيين وتدينهم أمام

الناس حتى وإن كان القانون لا يجرمهم فلا دليل ملموس

ضدهم في الواقع... أولئك الصحافيين المساكين يعتقدون

أنهم صوت الحق وسيوظفون البلد من أمثالنا على حد

قولهم.... كانوا فعلا يثيرون شفقتي بتلك المثاليات البالية إلى

أن بدأوا في عرقلة مصالحهم في الفترة الماضية.... "

أثناء حديثه كان يراقب كل اختلاج يبدر عنها... كيف ارتبكت نظراتها بمجرد ذكره لتلك الجريدة قبل أن تشع بغضب مكبوت عندما أهان زملاءها... كيف تملمت في وقفها وانقبضت يداها... لشخص عادي قد تبدو غير متأثرة بما يقوله والموضوع لا يعنيهها لا من قريب ولا من بعيد لكن بالنسبة لعينه المتمرسه والتي ترصد كل تغير كان من السهل عليه تأكيد ما كان يعرفه أصلا...

من ناحيتها هي كانت تحاول جاهدة ألا تظهر أي انطباع فهي موقنة لخطته في استدراجها بالكلام لذا أجابته بصوت جاهدت ليكون خاليا من أي مشاعر تدلي بتوترها

- "إلى الان لم أفهم ما هو دوري من كل هذا.."

زفر بضيق وهو يعود للاقتراب منها مجددا

- " اسمعيني جيدا يا فتاة أكثر شيء أمقته هو أن يستغيبني أحد ما... لقد فهمت مقصدي جيدا... لكن لا بأس بالشرح... أتذكرين حادثة الميتم والصفقة التي حشرت فيها أنفك... لقد كانت تخص شخصا لدينا أعمال مهمة معه واضطررنا للتخلي عنها... في البداية ظننته هو الغبي الذي لم يحسن اختيار رجاله فاختر غبيا ليؤدي المهمة بعدها وصلني

المقال الذي نشر في الجريدة عن تلك العملية ولأكون صادقا  
 ذكرني بشخص كنت قد تخلصت منه لأنه كان كالشوكة في  
 حلقي... نفس الطريقة المستفزة والفضول المزعج... بعدها  
 توالت المقالات التي تتعلق بأعمالنا أنا ووالدك، عندما  
 تحريت عن الأمر اكتشفت أنها كانت تنشر على فترات  
 متباعدة من قبل وبدأت منذ وفاة ذلك الفضولي الذي تدخل  
 فيما لا يعنيه... لم تكن ذات أهمية كبيرة لتثير ضجة أو تلفت  
 انتباه الناس... تلك المقالات أصبحت خطيرة في الآونة  
 الأخيرة ولم تكن سوى مسألة وقت فقط قبل أن يوجه  
 صاحبها سهمه إلى رأسي... رغم محاولاتي للوصول إليه  
 كان التكتم حوله غريبا لدرجة تثير الجنون.... المهم الغبي  
 تدخل فيما لا يعنيه مرة أخرى....."

صمت قليلا يمعن النظر فيها... أخيرا وصل لمبتغاه... أخيرا  
 الفريسة وقعت بين براثن الوحش، ثم تابع  
 - "هل يصدف أن دخلت شجارا مع أحد ما قرب الميتم  
 وصفعته بكل وقاحة؟"

جحظت عيناها من هول الصدمة ولم تستطع التحكم في  
 مشاعرها فظهرت جليا على ملامحها التي شحبت ... إذا هكذا

وصل اليها... تلك الحقيرة لابد أنها على علاقة بأحد رجاله  
أو معارفه ومن الواضح أنها نفذت تهديدها وانتقامت... لعنت  
نفسها ألف مرة على غيابها المستتب لكنها ليست من تترك  
من يحتاجها وتمضي تاركة إياه بضمير ميت...

تابع باستمتاع كيف استحك الخوف بها... حالتها تلك  
ترضي نوعا ما نزعة مريضة دفيئة داخله وكأنه يرى شخصا  
آخر بدلا منها... ولكم تمنى أن تتوسله كما لم يفعل رغم كل  
ما فعله به لكنه لم يستطع قط زعزعة شموخه وهذا ما أثار  
حنقه وقض مضجعه كل ليلة وهو يخبره أن الوضع لا يمكن  
أن يصبح رجلا مهما حاول...

أظلمت عيناه بذلك الحقد الأسود الذي يتآكله حتى لم يبقى  
منه أي ذرة لمشاعر إنسانية.... واشتعل كيانه بكل الأفكار  
التي تؤول كلها إلى تعذيب تلك النسخة الموثثة عنه حتى  
تركع عند قدميه تتوسله أن يطلق رصاصة الرحمة...

- "لم يكن من الصعب أن أربط بين صاحب المقالات وبينك،  
كان جليا أنه أنت.... خصوصا أن ما كنت تتشرينه هو من  
نفس المصدر السابق... هل كنت تهدفين للانتقام لأجل ذلك  
الغر مثلا؟ "

رفعت بصرها إليه وقد اهتاجت كل مشاعر الغضب من ذلك  
القاتل البارد لتظهر عيناها كحمم بركان مستعرة فاقتربت منه  
بكل جرأة وهي تهمس بوحشية

- " دمه لن يذهب هدرا أعدك ستلاقي مصيرا أسوء.. "

صمت للحظات ينظر إليها ببلاهة قبل أن ينفجر ضاحكا  
واستمرت ضحكاته المتشفية قبل أن يسترد أنفاسه بصعوبة  
وهو يجيبها

- " يا إلهي ... ألا تدركين وضعك ستلحقين به قريبا لكن  
ليس قبل أن أصل إلى ما أريد... لكن سأكون رحيفا معك  
... لك أن تختاري كيف ستلحقين به إما بسرعة ورحمة أكثر  
وإما لن يقدر أحد على التطلع لجثتك عند دفنك هذا إن لم  
ترمي كالحوانات.. "

هي لم تكن يوما غبية، وإن تعلمت شيئا خلال حياتها السابقة  
فهو كيف تستغل المواقف حتى إن لم تكن في صالحها، ومن  
الواضح أن مروان يحتاجها أو كان تخلص منها منذ أن عثر  
عليها...

استعادت رباطة جأشها لتبدأ المفاوضات على الأقل لتكسب  
بعض الوقت وردت بجمود

- " من الواضح أنك تريد شيئاً ما لكن لن تحصل عليه مطلقاً إلا إذا تأكدت أن حياتي ستكون في مأمن.. "

تطلع إليها بقسوة وهو يجيبها من بين أسنانه

- " أنت لست في وضع يسمح لك بالمفاوضة ستموتين في كل الحالات.. "

ابتسمت بتهكم وهي ترد عليه بثقة لم تتجاوز القشرة الخارجية فهي فعلا في وضع سيء

- " لن تجازف بقتلي وهناك احتمال بأن يواصل من معي ما كنت أفعله ستبقى رقبتك تحت تلك المقصلة المتأرجحة لتهديد لن تعرف صاحبه، لذلك أنصحك أن تختصر على نفسك الطريق وتدعني وشأني وستحصل على مرادك "

اقترب منها مهددا ويده تقبض على رقبتها الغضة بكل قوة كأنه سيفصلها عن باقي جذعها

- " ما أراه الآن هو رقبتك أنت في قبضتي أنا لذا لا تتذكري علي يا صغيرة... أعلم أن المغفل ابني هو من منحكم السلاح الذي تصوبونه علي الآن... لكن لم يخطر علي بالي سابقا

أنك تملكين نسخة ثانية فقد تأكدت من أن أدمر كل ما كان يملكه ذلك الصحفي.."

كانت تصارع لتتنفس بصعوبة، وجها شحب تماما لكنه لم يهتم بانتفاضتها بين يديه تحاول ابعاده عنها لكن دون جدوى حتى تقدم أسامة يردعه عما يفعله بعد أن ظل ممتثلا لأوامر والده بعدم التدخل طوال الوقت، لكنه لم يكن ليسمح له بأذيتها أكثر....

بعد أن أطلق سراحها وقعت أرضا تنتفض ويدها مكان قبضته وهي تلهث كي تعبئ رئيتها بهواء حرمت منه....

بعد أن استعادت تركيزها همست بنفس منقطع

- " سأعطيك بطاقة الذاكرة... لكن باقي النسخ عند وليد هو من كان يساعدي.."

نظر إليها باحتقار وهو يهم بالمغادرة بعد أن وصل إلى هدفه، لكن صوتها الذي كان يشوبه نوع من التشفي أوقفه عندما سمعها تقول

- "هل تعتقد أن الأمر سيكون بتلك السهولة؟ لن تصل إليه دون مساعدتي، هو يعرف جيدا كيف يختفي ولو أنك كنت



قادرا على العثور عليه لعلت سابقا عندما كنت تراقبني.. لا  
تتعب نفسك لن يظهر إلا بأمر مني.."

لم يلتفت إليها ولم يعلق على كلامها بل تابع طريقه إلى  
الخارج بكل هدوء يتبعه أسامة بعد أن تتطلع إليها بإشفاق  
قابله هي ببرود قاتل.... قبل أن تشرد بعد خلو المكان في  
خطوتها القادمة إذا ما فشل مخططها الحالي...

\*\*\*\*\*

زفر بضيق وهو يرمي الهاتف جانبا، تبالها، لقد لعبتها  
بطريقة صحيحة تلك الماكرة سليلة الشيطان، لقد أمضى  
رجاله الساعات الماضية في تفتيش ماضيها وكل شخص  
كانت تعرفه لكن لا أحد منهم كان قريبا منها لدرجة تستأنه  
على معلومات كتلك ولا أحد منهم أيضا يحمل الاسم الذي  
ذكرته، فما الذي تخطط له بالضبط، هي تعلم جيدا أنها لن  
تستطيع الهرب من قبضته بعد أن وقعت، فلا يوجد مخلوق  
يجراً على اختراق أسواره مجازفا بحياته من أجلها، إذن هل  
كانت تريد كسب الوقت فقط أم ماذا؟

غادر مكتبه حانقا تتبعه شياطينه ليصل إلى غرفتها دافعا  
الباب بكل قوته.....

لم تكن الساعات الذي أمضتها في الانتظار هينة أبدا... انتظارك  
 عداد حياتها مرتبط بنتيجته... عندما فتح الباب فجأة وبئك  
 القوة عرفت أن الوقت قد حان... التفتت للذي دخل وملامحه  
 قائمة لا تستطيع قراءتها ولا سبر أغوارها...

لم تتحرك من جلستها تلك وهي تراقب اقترابه منها وانتظرت  
 ما في جعبته

- "لعبتك انتهت.."

قال جملته المقتضبة بثقة لا تمت للحقيقة بصلة فهو كان  
 يريد رؤية رد فعلها لا أكثر عله ينفذ الى عقلها كما فعل من  
 قبل...

لم تبد أي رد فعل في انتظار أن يكمل كلامه سوى تساؤل لم  
 تلفظه فأي تهور منها يعني النهاية فالطريقة الوحيدة  
 للخروج من هناك هي في الوصول للشخص الذي فشل هو  
 في تحديد مكانه وهو ما كانت تعتمد عليه منذ البداية ...

عندما لم يجد منها غير نظراتها الحائرة في ظاهرها كأنها لا  
 تفهم ما يحاول ايصاله تابع كلامه قائلا

- "أعلم أنك تريدني كسب بعض الوقت لا أكثر فلا يوجد شخص بالاسم الذي ذكرته فإما هو بارع جدا أو من اختراعك وأنا شخصيا أفضل الاحتمال الثاني حتى أتخلص منك ومن كل مشاكلك..."

أخذت نفسا عميقا وأخرجته بهدوء قبل أن تجيبه بسخرية  
- "أنا لذي احتمالين آخرين، إما أنك تستهين بغيرك أو أن رجالك فاشلون فعلا..."

حرك رأسه وهو يبتسم بتهكم قبل أن يجيبها

- "سأجازف وأقتلك وما سيحدث لاحقا سأصرف معه في وقته في حال كنت فعلا صادقة..."

أنهى جملة وهو يخرج مسدسه من خصره موجهها إياه نحوها.....

رفعت بصرها إلى الفوهة الموجهة نحوها وقررت رمي آخر أوراقها، فكل انسان حياته عزيزة عليه مهما كان صاحب مبادئ وهذا ما ستعتمد عليه

- " أعدك أن أجعله يجلب كل الملفات إلى هنا فقط امنحني الفرصة لأتصل به وبمجرد حصولك عليها لن أقف في طريقك مجددا وسأغادر البلاد كما فعلت من قبل..."

صمتت قليلا وعيناها تحملان خوفا وترجيا لا يمكن أن يفوت ملاحظته الدقيقة قبل أن تتابع

- "فقط عدني بإطلاق سراحي أرجوك.."

كان جوابه هو صوت تحرير صمام الأمان للمسدس...  
أغمضت عينيها تدعو الله داخلها ألا تكون نهايتها على يد أسوء أنواع البشر قبل أن تحقق العدالة لكل من هُدرت دمائهم بسببه...

فتحت عينيها عندما وقعت تلك الكتلة في حجرها فاتجهت بنظرها إليها لتجدها هاتفا ثم عادت بنظراتها إلى الواقف أمامها وهي تسمعه يأمرها

- "هيا اتصلي به.. أما حياتك فهي متعلقة بما سيحدث لاحقا...."

أمسكت الهاتف وضغطت الأرقام التي تحفظها عن ظهر قلب قبل أن تفتح مكبر الصوت ليسمع كلاهما الرنين في الجانب الآخر....

بعد لحظات من الانتظار سمعا ذلك الصوت الخشن العميق  
يجيب

- "لم أظن أن هذا الهاتف سيرن يوما بعد مضي كل ذلك الوقت..."

ابتسمت بصدق وهي تتذكر صاحب ذلك الصوت لتجيبه بعدها

- "حان وقت دفعك أنت ثمن العشاء هذه المرة واجعلها عزيمة فاخرة فأنا أستحق ولا تنسى احضار ما تركته عندك فقد حان وقته...."

أتمت مكالمتها وهي تمليه العنوان الذي قاله لها مروان وهو يختلف تماما عن المكان الذي توجد فيه طبعاً، ولكن ذلك لن يغير في القادم شيئاً هذا ما فكرت فيه....

بمجرد اغلاقها للخط أخذ منها الهاتف وهو يسألها بشك

- "ما كان ذلك في بداية المكالمة هل كان اتفاقاً من نوع ما؟"

ارتفع حاجباها قبل أن تطلق العنان لضحكتها وهي تجيبه  
 - " من الجيد الاحتراس أحيانا لكن الشك الزائد مرض، لقد  
 كنا على علاقة نوعا ما... "

لم يكن كلامها مقتعا تماما لكنه سيأخذ احتياظه وسيصل إلى  
 صاحب الرقم بمجرد خروجه من عندها...

بعد خروجه نظرت إلى حيث انصرف والتمعت عيناها ببريق  
 كراهية لم تحملها لشخص في حياتها أكثر منه... لكن المهم  
 بالنسبة إليها أن يصل وليد إلى مكانها قبل أن يصل إليه  
 مروان...

## الفصل السابع

الانتظار قاتل سواء كان انتظارا لنهاية أو بداية جديدة، كل  
 دقيقة حاسمة وأحيانا مخيفة إن كنت لا تعرف ما الذي  
 ينتظرك بعد انقضائها....

كانت تقف أمام النافذة متكئة على إطارها، تشبك أصابع  
 يديها أمام وجهها بينما عيناها مغمضتان تنتظر المجهول  
 بصمت كصمت الليل الحالك من حولها.....

كان قد مضى على اتصالها بوليد الكثير من الوقت، لا تدري لما تأخر في نجاتها، هل يعقل أن مروان قد وصل إليه، اتصالها به كان مجازفة فمؤكد هو لم يسلمها الهاتف دون دوافع مسبقة، لابد أنه حسبها جيدا، يستحيل أن يكون بمثل ذلك الغباء حتى يدخل مقامرة دون أن يفكر في الخطوة القادمة، لكن وليد ليس بالشخص الهين، لم يلعب "القرش" من فراغ ولولا الخدعة التي تعرض لها من شقيقه لما وقع في طريقها وقتها، إذن لم يبق سوى احتمال واحد أنه تخلى عنها فلا سبب لديه ليعرض نفسه للخطر من أجل شخص لن يستفيد منه لاحقا حتى وإن كان مدينا له بوعد....

مسحت وجهها بيديها وهي تزفر بضيق قبل أن تتجه إلى السرير تجر قدميها بإرهاق عليها تحظى بلحظة سكونية من أفكارها المتصارعة والتي تؤدي كلها إلى طريق مسدود ونهاية مأساوية.....

وقبل أن تصل إليه شد انتباهها صوت الحراس المرفق بحركة غير اعتيادية أمام بابها، اقتربت ناحية الباب مرهفة السمع عليها تفهم ما الذي يحدث في الخارج لكنها أجفلت على صوت إطلاق كثيف للنار مما جعلها تتراجع للخلف في اضطراب...

ظلت تتحرك في الغرفة متوترة لا تدري نتيجة الفوضى السائدة في الخارج والتي لم تهدأ حتى بعد مرور كل ذلك الوقت....

مرت عدة دقائق أخرى قبل أن تسمع ضربات متتالية على باب الغرفة مما جعل كل حواسها تتحفز مركزة على من سيخطو إلى الداخل، ليظهر لها أخيرا رجلين لم تتعرف عليهما كل منهما يوجه سلاحه إليها وأعينهما تمسح الغرفة تفاديا لأي مفاجآت قبل أن يشير إليها أحدهما بسلاحه أن تتبعه...

لم يكن لديها الوقت لتفكر في أي شيء، المهم أن تتحرر من قبضة مروان وبعدها لكل حادثة حل...

رافقاها للخارج وهي تتطلع حولها إلى المجزرة التي أحدثوها، لم تحسب حسابا لكل تلك الأرواح التي أزهقت، لكن ماذا تتوقع من رجال مثلهم أمضوا حياتهم في ملاحقة الموت، كل خطوة منهم يخلفون معها بركة من دماء، أخرست ضميرها عما تراه مقنعة نفسها أن من ماتوا لم يكونوا مثال البراعة فهم من نفس النوع كل منهم كان يحاول سرقة حياة الآخر لكن الأهداف كانت مختلفة، كما أنها ليست



المرّة الأولى التي تعايش فيها الموت فمن فقدتهم كانوا أقرب إليها من هؤلاء الوحوش....

أسرعت الخطى خلفهما كي تواكب وتيرتهما حتى وصلوا إلى خارج محيط البيت تحت حماية باقي الرجال الذين سيطروا على المكان ليقفوا أمام إحدى السيارات وسمعت صوت أحدهما يحدثها بنبرته الخشنة وبكلمات مقتضبة

- " هنا تنتهي مهمتنا لابد أن رجال مروان والشرطة في الطريق... "

قبل أن يرمي لها المفتاح لتلتقطه بسرعة ويتابع بنفس النبذة

- " الرئيس يخبرك أنه لم يعد لدينا لك بشيء.. "

أومات بصمت شاكرة وابتسامة هادئة تلوح على محياها وقد عرفت على الأقل هوية هؤلاء الرجال لتتقدم بعدها من السيارة لتفتح الباب جهة مقعد السائق غافلة عما يجري من خلفها قبل أن يخترق سمعها صوت رصاصة تلاها سقوط من كان يكلمها صريعا... أدارت رأسها بسرعة ليصدمها وجود مروان وسلاحه هذه المرة مصوب ناحيتها... رجفة رعب شلت حركتها لدرجة أن باب السيارة استعسر عليها فتحه وهي تدرك أنها التالية لا محالة....

وكأنه نزل لها من السماء، سمعت صوت أسامة يصرخ في والده قبل أن تراه يحاول تجريده من سلاحه...

ما أن حاولت ركوب السيارة مستغلة تلك المشاحنة بينهما حتى اخترق ألم حاد لوح كتفها... أغمضت عينيها وآهة تفلت من بين شفثيها... شعرت أن روحها تسحب منها من شدة الألم فمدت يدها حيث مكان الإصابة لتعيدها أمام ناظريها وقد تلونت بدمائها... ذلك الحقير نجح في إصابتها... التفتت الى الخلف لترى الصدمة على ملامح أسامة وهو ممسك بذراع والده الذي كانت تشع من نظراته أقصى درجات الكره ومن الواضح أنه لولاه لكانت تلك الرصاصة أردتها قتيلة بلا ريب.....

لم تفكر كثيرا بل انطلقت بسرعة لن تسمح لنفسها بالوقوع بين فكيه مرة أخرى ولا شك أن الحرب قد اندلعت بين رجاله الذين لحقوا ورجال وليد....

لم تخفف من سرعة السيارة وهي تلمح من يلاحقها بلا هوادة... لكن ذلك الألم الحارق كان يزداد مع الوقت... إن لم تضيعهم في أقرب وقت قد تفقد وعيها وعندها ستنتهي حياتها وهم يمسون بها أو في حادث....

لا تدري كيف أنقذها القدر أخيرا بعد أن سلكت طريقا فرعيا...  
المهم أنها نجت منهم ولكن ليس لوقت طويل إن لم تبتعد  
سيدر كونها بالتأكيد.....

عادت إلى الطريق الرئيسي لأنها لن تصمد طويلا مع ذلك  
النزيف لكن وعيها كان قد بدأ يضيع في غياهب الظلمات فما  
فقدته من دماء أثر عليها رغم أن الإصابة كانت بعيدة عن  
أي من الأعضاء الحيوية....

اعتصرت عينيها بقوة عليها تبعد تلك الغشاوة التي غلبت  
عليهما لكن لا فائدة... جنحت بالسيارة على جانب الطريق  
وهي غير قادرة على مواصلة القيادة...

\*\*\*\*\*

كان حسام يقود سيارته بأقصى سرعة غير مبال بالظلام  
الحالك حوله إلا من أضواء المركبات المارة على نفس  
الطريق ولا بحالة الطقس السيئة... لقد تأخر في الوصول إلى  
وجهته فالرجل المكلف بمراقبة مروان اتصل به ليطلعاه على  
آخر التطورات والهجوم الذي وقع هناك....

كان من المفترض أن يكون هناك منذ زمن لكن توقف قلب ندى جعله ينسى كل العالم وينسى انتقامه... كل ما كان يهمله وقتها هو أن يعود قلبها للنض من جديد....

عاد بذاكرته إلى تلك اللحظات المهلكة... حيث كان يحدث عميله على الهاتف عندما انطلق صوت الجهاز في الغرفة... لم يهتم بسماع باقي الحديث وهو يستدير بسرعة ناحية ذلك الطنين ليرى اختلال تلك الموجات على شاشته، قبل أن يركض خارج الغرفة يصرخ في الممرضة أن تحضر الطبيب بسرعة... ما أن بدأوا عملية الإنعاش حتى أخرجته غصبا عنه كي لا يعطلهم عن عملهم، فوقف أمام الزجاج العازل يكاد يحطمه وهو يضرب عليه بقبضتيه غضبا وألما....

أغض عينيه بقهر وهو يتذكر الوجع الذي أحرق قلبه وهو يراها تنتفض مرة تلو الأخرى بسبب جهاز الصدمات الكهربائية....

حبيبته الرقيقة الندية تعاني أشد الآلام قسوة... تكافح كي تتشبث بالحياة وهو عاجز عن إزاحة تلك المعاناة عنها... استمر الوضع كذلك عدة لحظات حتى استقر نبضها، عندها أحس بروحه تعود إلى جسده وتنفس بارتياح مطلقا زفيرا

طويلا... ولم يتركها حتى اطمئن أنها بخير وبرفقة ريمة وإلا ما كان غادر جانبها أبدا....

عاد بنظره إلى الطريق الذي أصبح شبه خال، حتى أعمدة الإنارة على جانبيه لم تعد موجودة، ليس هناك سوى أضواء بعض السيارات بين الفترة والأخرى....

لقد أخبره الرجل أن أولئك الرجال غادروا بعد وصول مروان بدقائق بخطة انسحاب متقنة... زفر بضيق وهو يضرب المقود بقوة، الخيوط لا تنفك تتشابك، هناك حلقة مفقودة في الموضوع وهو لا يراها...

كان قد قطع مسافة لا بأس بها عندما ظهر أمامه ذلك الخيال الذي كان يترنح كأنه شخص ثمل قبل أن يقع أرضا قاطعا عليه الطريق، حاول جاهدا إيقاف السيارة قبل أن يصدمه لكن السرعة التي كان يسير بها لم تسعفه في التحكم بها كما يجب، إضافة إلى الطريق المبلل فلم يبق أمامه سوى أن يديرها بكل قوته كي يتفاده، فانزلقت السيارة لمسافة لا بأس بها قبل أن تتوقف تماما ورأسه ترتطم بالمقود ولولا حزام الأمان لكان فقد حياته...

\*\*\*\*\*

كانت تشعر بالبرد، كل أوصالها ترتعش، وحيدة في مكان مظلم تتمدد على أرضية قاسية... حاولت الانكماش واحتضان جسدها بذراعيها تنشد بعض الدفاع، لكن جسمها كان ثقيلًا كأنها مقيدة أو كأنها تقبع تحت مئات الأمتار تحت الأرض... هل ماتت وتم دفنها كحيوان نفق وأبعده حتى لا يفسد ما حوله برائحته الكريهة... سخر منها عقلها بمرارة... طول حياتها عاشت من غير هوية منبوذة وحتى موتها لم يكن مختلفا... لكنها لم تحقق بعد ما عادت من أجله وهاهم يسخرون منها مرة أخرى ويفوزون ضدها... لأن تسمح لهم... وكيف ستعرض وهي في تلك الحال... وهل هناك من يقف في وجه الموت...

حاولت فتح عينيها لكن ذلك الظلام عاد يسحبها إلى داخله دون هوادة فأغمضت عينيها مستسلمة لذلك القدر الذي لا تعرف عنه شيئا...

فرك جبينه مكان الإصابة وهو يعتصر عينية من شدة الألم، قبل أن يدرك ما حدث منذ لحظات ليفك الحزام بغضب ويرميه جانبا ويترجل من السيارة وهو يشتم ويتوعد ذلك المتهور الذي كاد يودي بحياة كليهما

- " أقسم بالله إن كان مجرد سكير أن ينال نصيبه حتى يفيق من غيبوبته وإن كان مجرد متهور يحاول الانتحار سأجعله يدخل غيبوبة لن يخرج منها لمدة تجعله ينسى شكل العالم الذي كان يعيش فيه..."

اتجه ناحية ذلك الشخص والشرر يتطاير من عينيه، ألا يكفيه أنه تأخر ليعترضه أحرق مستغني عن حياته...

وقف أمامه وهو يهتف أن يستيقظ لكن لا إجابة ولا حركة واحدة لدرجة جعلته يشك أن الملقى أمامه قد توفي، عقد حاجبيه وهو ينزل على ركبته متوجسا ثم مد يده يتحسس نبضه ولحسن الحظ كان على قيد الحياة رغم ضعفه.... هزه من كتفه عدة مرات قبل أن يحس بتلك الرطوبة على يديه... جذب هاتفه بسرعة من جيب بنطاله وأضاءه ليصدمه تخضب يده بالدم... حرك الجسد الملقى بلا استجابة مديرا إياه ناحيته وهو بين يديه لتسقط قلنسوة السترة إلى الخلف كاشفة عن وجه فتاة شابة... اتسعت عيناه بصدمة عندما سمع أنينها الخفيض المتألم... لم ينتظر كثيرا ليحملها بين ذراعيه متجها إلى سيارته وهو يطمئنها بكلمات اخترقت روحها وتغلغت في ذكرياتها المحفورة في قلبها ولم يمحها الزمن.....

لما تشعر فجأة بالدفء يتسلل إلى كل حناياها؟ هل بسبب ذلك الحزن الحنون الذي يضمها الآن أم بسبب الصوت الذي يذكرها به؟ هل هي في حلم وعقلها يصور لها أنه هنا معها وهي تكاد تلفظ آخر أنفاسها... بلا شك هي تهلوس واختار القدر أن يعاقبها بخيال أكثر شخص آذته... ضمت نفسها أكثر إلى صدره كأنه ملجأها الآمن حتى في لاوعيتها ولا يهم ما يحدث بعد ذلك...

فتح باب السيارة الخلفي بسرعة ليمدها على المقعد ويسارع للجلوس خلف المقود قبل أن يتصل بالشخص الوحيد القادر على مساعدته في مثل تلك المواقف وللحقيقة تلك ليست أول مرة... ما أن أجاب من في الجهة المقابلة من الخط حتى بادر بالقول

- " ريمة لدي حالة إسعاف مستعجلة... الواضح أنها إصابة طلق ناري وهي فاقدة للوعي ولا أدري متى أصيبت بالضبط..."

- "حسنا سيكون الفريق جاهزا بمجرد وصولك فقط لا تتأخر.."

- "سأصل المشفى بسرعة..."



عاد أنينها للارتفاع من جديد فالتفت إلى الخلف ليجدها تتأوه  
بألم محاولة الحركة بضعف....

هي لم تكن تحلم هناك من جاء لإنقاذها فعلا لكن عقلها صور  
لها أنه هو... حاولت استجماع بعض من قوتها لفتح عينيها  
لكن حتى ذلك كان مؤلما... جاهدت نفسها لتحاول إخراج  
الكلمات التي ظلت حبيسة صدرها ولا يصدر عنها غير  
تأوهات... أخيرا استطاعت النطق فخرجت كلماتها همسا  
متقطعا ضعيفا

- " أرجوك... ليس المستشفى... سيجد...ني.. "

لم تستطع المواصلة وقد انقطعت أنفاسها بسبب إرهاقها  
الشديد وعادت لغيوبتها من جديد لكن تلك المرة تخللها  
الكثير من الهذيان بتمتمات لم يفهما...

ظل طوال الطريق يتأكد من تنفسها وهو ينهب الطريق نهبا  
يقاقل ضد الزمن وهو يحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذها....  
للحظات غاب عن ذلك العالم وهو يتخيل أن من معه هي  
حبيبته ندى وسينقذها قبل فوات الأوان... ظلت الهواجس  
التي أرقته طوال الفترة الماضية تطرح نفسها أمامه وكل  
واحد منها يجلده بقسوة... هل عانت مثل هذه الفتاة... هل

كانت تتألم مثلها وهو بعيد عنها... هل انتظرت طويلا وهي  
خائفة وحيدة حتى وصل من ينقذها... هل كان بجانبها من  
يمسك يدها ويطمئنها أن كل شيء سيتحسن وستكون  
بخير...

\*\*\*\*\*

بعد فترة ليست بالهينة كانت ريمة تخرج من الغرفة مغلقة  
إياها خلفها لتجد حسام يتكى على الجدار المقابل للباب  
ينتظرها... فتح فمه ليسألها عن حال الراقدة في الداخل لكن  
نظرتها الحائقة جعلته يغلقه مجددا وهو يتبعها...  
ما إن ابتعدا مسافة كافية حتى انفجرت فيه تهتف

- "هل فقدت آخر ذرة من عقلك البليد أصلا؟ كيف تحضر  
فتاة مصابة بطلق ناري إلى بيتك بدل المستشفى... ماذا لو  
فقدت حياتها بسببك؟ هل تدرك كيف كان سيكون وضعك؟"  
تطلع إليها ببلاهة وهي تكاد تنفث النار مع كلماتها قبل أن  
يجيبها ببروده الذي جعلها تود أن تخنقه

- "لما لا تختارين جهة معينة هل كنت قلقة علي أم عليها؟"  
"

صمتت للحظات ويديها مرتفعة في الهواء فقد كانت تريد فعلا ضربه على حماقته وربما شتمه أيضا فبسببه كذبت ألف كذبة حتى تبرر ما حدث فهي ما إن اتصل بها حتى جهزت غرفة العمليات والفريق ليعيد الاتصال بها مرة أخرى مخبرا إياها أن توقف كل شيء وتتجه إلى بيته لأنه لن يستطيع إحضارها إلى هناك...كم كان الموقف محرجا لها أمام زملائها ومنظرها المخزي وهي تعتذر لهم عن خطئها...لتزيد مصيبة أخرى إلى قائمتها من المصائب في ذلك اليوم وهي تتلصص إلى بنك الدم وتسرق كيسا من زمرة "أو سلبي" احتياطا فهي لا تعرف حتى زمرة دم المريضة بل أنها حتى وقعت في قبضة إحدى الممرضات التي استغلت الوضع لتحصل منها على ما تشاء.. تلك الحقيرة ستعمل على طردها لاحقا.. مصاصة الدماء تلك...

زفرت بضيق محاولة إخراج العنف الذي تلبسها بسببه قبل أن تجيبه بفوقية واضحة

- " لولا واجبي نحو الفتاة ما كنت عبرتك أصلا ولتركتك تتصرف وحدك يا بليد ولنرى عندها مهارتك.."

ابتسم بتهكم وهو يتجه إلى الأريكة ليجلس فهو بالكاد يستطيع أن يصلب طوله من شدة الإرهاق ثم أجابها ببرود

- " كنت سأتصرف معها كأى رجل من فريقى أصيب هل نسيت أننا كنا دوما بين أحضان الموت فلا ترفعي شأنك كثيرا يا متبجحة.. "

تجاهلت كلامه المتواثق وهي تجلس مقابلة له وقد عادت الجدية إلى ملامحها وسألته بهدوء

- " أخبرني إذا ماذا حدث كيف أوقعت نفسك في هذه المصيبة؟ "

أعاد رأسه للخلف مغمضا عينيه وهو يجيبها بارهاق

- " المصيبة من رمت نفسها أمامي... لقد علمت بحدوث هجوم على مروان فكنت متجها إلى هناك و.... "

وقبل أن ينهي جملته كانت قد هبت واقفة وهي تهتف بغضب

- " بالتأكيد جنت... هل أعمى سعيك وراءهم بصيرتك؟ كيف تخاطر بهذا التهور وتذهب وحدك إلى وكر المجرم ودون حتى إعلام أحد... هل تسعى للموت بنفسك؟ "

مسد جبينه بقوة وهو يرد عليها بنبرة بان فيها التعب جليا

- "هلا أخفضت صوتك فرأسي يؤلمني ودعيني أنهي كلامي وإلا طردتك من هنا.."

عادت للجلوس بعنف تكتم غيضا منتظرة إياه أن يتابع... أما هو فظل على جلسته تلك وأكمل بهدوء

- "كما قلت هي من اعترضت طريقي... ظننتها شخصا ثملا في البداية لكن اتضح أنها فتاة مصابة وعندما تفقدت مكان الإصابة انتبهت أن الرصاصة اخترقت كتفها ولم تستقر في الداخل وهذا سبب ارتياحي قليلا والسبب الثاني لعدم إدخالها المشفى وقبل أن تسألي سأجيبك لقد كانت تردد أنهم سيجدونها هناك... لقد بدت مرعوبة فلم أرد أن أخاطر حتى أفهم الوضع.."

انعقد حاجباها وهي تفكر قبل أن تخطر على بالها فكرة ربما هي بعيدة كل البعد عن الحقيقة لكن مع الأحداث التي تجري في الآونة الأخيرة والكوارث التي تسمع عنها وتصادفها في عملها فهي لا تستبعد شيئا، وقبل أن تدرك كانت تلفظ ما كان يدور في خلدتها

- "هل تظن أنها كانت مخطوفة أو ربما محاولة سرقة..."

اعتدل في جلسته وهو يجيبها بتفكير

- " الأكيد أنها كانت ملاحقة وخير دليل تلك الرصاصة.. على العموم عندما تستفيق سأعرف منها كل شيء بدءا من هويتها فهي لم تكن تحمل أي وثيقة.. "

أومات برأسها وهي تهم بالوقوف قبل تقول

- " علي العودة للبيت فقد تأخر الوقت وغدا سأعود لتفقدنا أو بالأحرى بعد الظهر فقد اقترب الفجر.. "

رافقها للباب وهو يسألها

- " هل ستكون بخير؟ "

ابتسمت بفخر وهي تجيبه

- " إنها قوية لا تقلق ستتحمل الألم لكنها ستكون ليلة عصبية لها لأن المخدر كان ضعيفا وسيزول تأثيره بعد وقت قصير كما أن حرارتها قد ترتفع لقد تركت لك كل ما تحتاجه فتصرف يا رجل المواقف الصعبة وإن عجزت يمكنك الاتصال بي.. "

كان قد حصل على كفايته من ثرثرتها فدفعها خارجا وأغلق الباب في وجهها بكل وقاحة جعلتها تفغر فمها بصدمة قبل أن تتحرك مبتعدة تتم بضيق.. أما هو فاتجه إلى غرفته التي لا

يدخلها إلا نادرا منذ الحادثة خوفا من ذكريات وصور  
ستهاجمه بلا هوادة.... خوفا من صقيع يغمر الغرفة  
وصاحبته غير موجودة... لكنه مضطر هذه المرة فملا بسه  
تلطخت بالدماء وعليه أخذ حمام قبل أن يؤدي صلاته...

\*\*\*\*\*

كان مروان يجلس خلف مكتبه متحفزا وأصابه تنقر على  
سطحه بوتيرة متصاعدة وهو يتطلع إلى رجاله المصطفين  
أمامه وكل واحد منهم لا يكاد يرفع رأسه من الأرض خوفا  
من ملاقاته تلك العيون الشرسة للوحش القابع أمامهم...  
استمر يرمقهم بتلك الطريقة حتى فاض به الكيل فضرب  
المكتب بقبضته بقوة جعلت الواقفين أمامه يجفلون رعبا...  
تقدم منهم ببطء قاتل وهو يهمس من بين أسنانه بشر

- "إذا لم تعثروا عليها... وكل ما وجدتموه هو تلك الخرذة  
التي هربت بها والتي لا تنفعني في شيء حاليا... ماذا أفعل  
بكم أيها الفاشلون عديمي الفائدة؟ لماذا أذفع لكم من  
الأساس.."

حاول أحدهم النطق عله يبرر ما حدث ويمتص تلك الثورة  
التي تهدد بقطع رقابهم لكن ما أن خرج من بين شفثيه

الحرف الأول حتى انطبعت على خده آثار الصفحة التي نالها من سيده والتي جعلته يرتج فلم يجرأ بعدها على التكلم أو حتى رفع نظراته وهو يسمع سيل الشتائم منه ويتوعد الجميع بالفتك بهم....

كل تلك الفوضى لم تؤثر ولو قليلا في ذلك الجالس على الكرسي المقابل للمكتب وعقله شارذ خارج ذلك الحيز يصور له أسوء السيناريوهات عما يمكن أن يكون حدث لها وآثار الدماء في السيارة لم تزد سوى من رعبه وهو لا يستطيع الوصول إليها... هذه المرة إن نجح والده في القبض عليها فليعتبر أن حياتها انتهت، لذلك عليه ايجادها قبله مهما كلفه الأمر....

عند تلك النقطة انتفض واقفا غير مبال بمن حوله ولا والده الذي ثبت نظره عليه وواصل طريقه نحو باب المكتب عندما سمع والده يقول بتحذير وقد قرأ ما يجول في خلد

- " إن فكرت مجرد التفكير في ذلك ستلقى نفس مصيرها وسأعتبر دمك مباحا حتى وإن كنت ابني... "

وقف يستمع إلى تهديداته التي هو متأكد أنه لن يرف له جفن في تنفيذها ولن يشعر بعدها ولا حتى بوخزة من تأنيب



الضمير... زفر نفسا طويلا قبل أن يبتسم وهو يحرك رأسه  
بيأس من كتلة الشر المسمى أب ثم خرج بهدوء تاركا خلفه  
وحشا ثائرا نفس عن غضبه فيمن أمامه فخرجت كلماته  
كهسيس أفعى سامة وهو يأمرهم

- " إن لم تعثروا عليها خلال الساعات القادمة الموت  
سيكون رحمة مني ورفاهية لن تحلموا حتى بها.. "

\*\*\*\*\*

فتح باب الغرفة بهدوء ومشى مقتربا من السرير حتى وقف  
عند رأسها فلمح حبات العرق التي تجمعت على جبينها  
المغضن من الألم.. ووجهها الشاحب بشدة... أخذ منشفا  
مبللة وعاد يمسح وجهها ثم جلس مقابلا لها وهو يتساءل  
هل ما تهرب منه سيكون أشد ألما مما تمر به الآن حتى  
ترفض الذهاب للمستشفى.... ظل جالسا للحظات يراقب  
حركة رأسها تلتها حركة جسدها ككل وهو ينتفض دون أن  
تستفيق ومن الواضح أنها كانت تهلوس حيث كانت تتمم  
بكلمات مبهمة...

لم يستطع تركها في تلك الحالة خوفا من أن تؤذي نفسها  
فاقترب منها يهدئها وهو يكبل حركتها ويثبتها على الفراش

لكن ذلك لم يفلح... لم يبق أمامه سوى أن يهددها بكلمات  
حانية يطمئنها ويده تمسد شعرها ولغرابة الأمر بالنسبة إليه  
استكانت وتوقفت عن الانتفاض كأنها تعرفت على ذلك  
الصوت الذي كان يسحبها من عتمة ما يحيط بها ولم يعد  
يسمع منها سوى نهنات خفيضة...

استقام واقفا ليبعد عندما اخترق سمعه كلماتها الهامسة  
وهي تقول

- " أنت هنا... "

عقد حاجبيه وهو يستدير إليها فوجد لها لاتزال غائبة عن  
الوعي لكن دموعها كانت تنساب من بين جفونها المطبقة..  
اعتقد أنها لا تزال تهلوس فتحرك مبتعدا عندما سمره باقي  
حديثها وهي تتابع بألم يقطر من كل حرف

- " أنا آسفة... أنا آسفة حسام... "

## الفصل الثامن

كانت لا تزال تحارب كوابيسها التي لم ترحمها ولم تستطيع  
الهروب منها خصوصا بعد رحيل ذلك الصوت الذي كان

يهدئ من روعها... لا تدري كم بقيت تهيم في تلك المتاهات  
من ماض لم تستطع يوما دفنه كما دفن من كانوا جزءا  
منه...

تسللت أشعة الشمس على استحياء من بين غيوم آخر أيام  
الخريف عبر الستائر الشفافة لتداعب ملامح تلك النائمة  
مترافقة مع بعض النسيمات التي لسعتها ببرودتها... تملمت  
في فراشها بانزعاج تحول تدريجيا لألم بسبب حركتها جعلها  
تفتح عينيها ببطء قبل أن تنتفض بفرع متراجعة للخلف  
تتطلع حولها باضطراب وهي لا تتعرف على المكان... تلك  
الحركة الفجائية جعلت الألم يزداد وبقوة... امتقت ملامحها  
بسبب ذلك الإحساس وامتدت يدها حيث موضع الألم  
ليصدمها وجود تلك الضمادة لكن سرعان ما تتابعت في  
ذاكرتها الأحداث الماضية... إذن لم يكن ما حدث مجرد  
كابوس بل كان واقعا... لكن هل تخيلت سماع ذلك الصوت  
من ماضيها أم أنه كان حقيقة هو الآخر... كل الأمور متداخلة  
في بعضها ولم تعد تفرق بين الواقع والهلوسات...  
عادت تدور بعينيها في الغرفة عليها تستتبط منها شيئا...  
حاولت الوقوف لكنها أحست بكل ما حولها يتحرك معها

فأغمضت عينيها حتى توقف ذلك الدوار قبل أن تستند على السرير وتعود للجلوس وقد أرهقتها تلك الحركة البسيطة...

انتبهت إلى صوت خطوات تقترب فتحفزت كل مجسات الخطر عندها وهي لا تدرك من خلف ذلك الباب الموصد... ظلت نظراتها مثبتة عليه فلا قدرة لها على الهرب من هناك ولا حتى لمحاولة الدفاع عن نفسها، حتى فتح وظهر من خلفه، شابة شقراء تقاربها في العمر... لم تعي أنها كانت لا تزال ترمق المقابلة لها بنظرات حذرة متوجسة لدرجة أربكتها هي الأخرى وجعلتها تقف مكانها تطالعها أيضا وكل منهما تستكشف الثانية....

تتحننت ريمة وهي تتقدم منها حاملة في يدها كوب حليب لتخرج من حرج ذلك الموقف فالفتاة تكاد تبتلعها بنظراتها... وضعت الكوب على الطاولة جانبها واستقامت لتجدها لا تزال تنظر إليها.. فابتسمت وهي تقول

- " يمكنك التوقف عن النظر إلي الآن.... "

أخفضت بصرها بإحراج وهي تتمتم باعتذار....

جلست ريمة بجانبها على السرير قبل أن تقول

- "آسفة إن كنت فتحت النافذة في هذا الوقت المبكر ربما  
أزعجك الأمر..."

نظرت جهة النافذة كأنها تتأكد فعلا من أنها مفتوحة قبل أن  
تحرك رأسها تنفي الأمر وهي تسألها

- "أين أنا ومنذ متى وأنا هنا؟"

رفعت ريمة يدها تنظر إلى ساعتها الفخمة ثم زمت شفيتها  
تحسب الوقت وهي تجيبها

- "منذ أكثر من 27 ساعة ... لقد كنت تستيقظين خلالها  
لكنك لم تكوني واعية تماما وتعودين إلى غيبوبتك مجددا..  
أخبريني كيف حال جرحك الآن؟"

تطلعت بتلقائية إلى مكان الإصابة كأنها نسيت الموضوع  
عندما اقتربت منها من كانت تجلس إلى جوارها بعفوية تريد  
الكشف عنه كما كانت تفعل في الساعات الماضية بحكم  
عملها إلا أنها ارتدت للخلف ويدها تمسك برسغها في حركة  
دفاعية عنيفة جعلت ريمة تنظر إليها بصدمة قبل أن تترجم  
الموقف وترجعه لخوفها بسبب ما حدث لها فرفعت كلتا يديها  
أمامها بعد ان تركت رسغها تطمئننها وهي تعود للجلوس  
مجددا ثم أردفت قائلة

- "أعتذر إن كنت أجفلتك... أنا من اهتمت بعلاجك لذلك لا داعي لكل هذا الخوف... أنا المخطئة نسيت أن أعرفك بنفسي أدعى ريمة وأنا طبيبة..."

شعرت بإحراج بالغ من ردة فعلها لكنها لم تكن تعرفها ولا حتى تأمن لها ورغم ذلك أبعدت تلك الأفكار جانبا للوقت الحالي وهي تجيبها

- "أسفة... لكنه رد فعل تلقائي بعد ما حدث... وشكرا لك على انقاذ حياتي أنا مدينة لك بذلك لولاك لكنت بقيت مرمية على قارعة الطريق ولكنت نزفت حتى الموت..."

ابتسمت ريمة وهي تجيبها

- "أنا قلت أنني اهتمت بجرحك ولم أقل أنني من أنقذك..."

تطلعت إليها بتوجس بينما تابعت الأخرى

- "صديق لي هو من عثر عليك هناك وجلبك إلى بيته بعد أن رفضت الذهاب للمشفى فلم يشأ أن يخاطر..."

شردت قليلا تحاول تذكر ذلك الشخص لكن كل ما كان يتبادر إلى ذهنها هو خياله لا أكثر ولا تستطيع تبين ملامحه... عبت عندما فشلت في التذكر مما جعل ريمة تقول

- " لا داعي للضغط على نفسك فقد كنت شبه فاقدة للوعي بسبب الدماء التي خسرتها ... والآن دعيني أغير الضماد ثم اشربي الحليب بينما أحضر لك شيئاً للأكل وبالمناسبة لقد اشتريته ولم أحضره فهذا المنزل خال من أي شيء إنه يشبه البيوت المهجورة.. "

ما أن أنهت كلامها حتى باشرت بعملها ثم نهضت وهمت بالخروج لكنها عادت للالتفات خلفها ولم تستطع كتم ما يجول في رأسها من كلام

- " صحيح أنت لم يكن بحوزتك أي أوراق أو هاتف لذلك لم نستطع الاتصال بأهلك وبالتأكيد الشرطة كانت س.... "

وقبل أن تنهي جملتها انطلق السؤال من بين شفتي المقابلة لها والتي شحبت ملامحها واتسعت عيناها بهلع

- " هل أخبرتم الشرطة؟؟؟ "

استغربت ريمة ردة فعلها لكنها رغم ذلك أجابتها بهدوء يحمل في طياته العديد من التساؤلات

- " ذلك ما كان يفترض أن نفعله لكن في وضعك ذاك كنا سنجلب المتاعب لأنفسنا خصوصا بعد احضارك إلى هنا لذا انتظرنا حتى تستفيقي.. "

أغمضت عينيها وهي تتهد بارتياح دون أن تعي ذلك لكن نظرات ريمة المتفحصة التقطته مما جعلها تشك في أمرها أكثر، وظهر ذلك جليا في نظراتها التي احتدت وهي تتأهب لسلسلة من الاستجابات لكن ما سمعته جعلها تتأني قليلا

- " لا داعي لنظرة الشك تلك... لست مجرمة أو شيئا من ذلك القبيل... لقد كنت أقوم بتحقيق صحفي يتعلق بمقال أكتبه وقد ورطت نفسي في متاعب أكبر من حجمي والنتيجة كانت رصاصة بفضل معجزة من الله لم تقض علي... والمشفى بالتأكيد كان هو المكان الأول الذي سيبحثون فيه والشرطة ما كانت لتساعدني في شيء فأنا أعلم لأي مدى تصل وساختهم.. "

ابتلعت ريقها قبل أن تأخذ نفسا عميقا وتتابع

- " أعلم إلى أي مدى قد خاطرتم بإحضاري إلى هنا وأتفهم شكوكك جيدا لذلك إن أردت إبلاغ الشرطة لن أقف في طريقك



وفي جميع الحالات أنا سأغادر وسأظل ممتنة لكم لما فعلتموه من أجلي وإن استطعت يوماً رد الجميل لن أتوانى..."

أنهت كلامها وظلت تنتظر رد فعل منها وعندما لم تجد غير الصمت جواباً لها وقفت بصعوبة متجهة ناحية الباب عندما أوقفها صوت ريمة وهي تقول بجفاء لم تستطع التحكم فيه

- "كما أخبرتك سابقاً، البيت ليس لي حتى أتصرف فيه، كما لا يمكنك المغادرة قبل عودة صاحبه... لذا يجدر بك الراحة في الوقت الراهن لا أريد أن ينزف جرحك مجدداً..."

قالت كلماتها تلك وغادرت الغرفة دون انتظار رد كأنه أمر غير قابل للنقاش... هل فرت من سجن لتقع في آخر هذا ما تبادر إلى ذهنها وهي تسمع الأمر غير المباشر منها...

بعد تأكدها من أن ريمة قد ابتعدت عن المكان جاهدت نفسها متحملة الألم لتبحث في الغرفة عليها تعرف شيئاً فقلبها غير مطمئن ويحثها على الابتعاد قدر الإمكان قبل أن تتورط فيما هو أكبر من قدرتها على مجابهته....

\*\*\*\*\*

كان حسام في المستشفى كما هي عادته من كل يوم فما إن صلى العصر حتى عاد للجلوس إلى جانب ندى أحيانا يتأملها بصمت وأحيانا يحدثها على أمل أن تخرج من صمتها وترد عليه في مرة من المرات....

ظل يطالعها بنظرة كسيرة كأنه يعتذر منها عن عدم قدرته على حمايتها هي وابنته... على كونه السبب في انعزالها في ذلك العالم البعيد عنه... مسح على وجهها بظهر يده بحنو بالغ كأنه يخاف عليها أن تستفيق فزعة من ملمس يده التي دائما ما تكون باردة لدرجة تجعلها تصاب بالقشعريرة في كل مرة يقترب منها فيها وكم كان الأمر يسليه وهو يراها تحاول الهرب منه... ابتسم لتلك الذكرى وهو يتخيل منظرها المضحك... ليبتها فقط تستفيق وهو كفيل بتهديتها لاحقا... بل إنه لن يتركها لحظة واحدة... سيخبئها بين شغاف قلبه حتى يضمن ألا تختفي مجددا...

تنهد بإرهاق وهو يغمض عينيه... وآه من تعب مصدره القلب... ليت تعبه كان جسديا فقط لكان تحمله... لكن الذنب يورق ضميره... والغضب والفقد يثقلان قلبه... سمح للنوم بالتسلل إلى جفونه وهو يغفو على حافة السرير دون قدرة للمقاومة....

لا يدري كم بقي في تلك الوضعية المهم أنه عندما استيقظ كانت أطرافه مخدرة وألم رهيب في عنقه... فتح عينيه بتثاقل وهو ينظر إلى المكان الذي غفا فيه ثم عاد ليغلقهما من جديد وهو يمسد عنقه المتشنج...

أحس بارتجاج الهاتف في جيب بنطاله فاستقام واقفا وهو يتفقدده ليرى عدد الاتصالات الفائتة من ريمة وفي النهاية بيئت فأرسلت له رسالة نصية تخبره عن المستجدات... قرأ محتواها فزفر بضيق، تلك اللحظات التي قضاها هنا كانت مسروقة من حاضره الأسود والذي سيعود إليه من جديد.... لا يدري لما يشعر أنه فتح أبواب الجحيم على نفسه... ألا تكفيه مصائبه التي يتخبط فيها لتضاف واحدة جديدة إلى القائمة....

عاد إلى الخلف وقبل ندى على جبينها وهو يبتسم بحنو كما يفعل كل مرة يغادرها فيها ليتأملها بضع لحظات أخرى قبل خروجه....

\*\*\*\*\*

كانت قد أمضت الساعات بعد رحيل الطبيبة إما نائمة أو متكئة على السرير... كان الضجر قد بدأ يستفحل فيها وإن لم

يعد ذلك السيد ربما تفعل ما يحثها عليه عقلها منذ الصباح وهو إرضاء روح المحققة المتطفلة بداخلها...

تمنت لو أنها بحثت في البيت ككل عن هوية صاحبه لكن مبادئها لم تسمح لها كونه من أنقذها على الرغم من الشكوك التي تتآكلها، يكفي أنها قلبت الغرفة رأسا على عقب لكن من الواضح أنها لا تستعمل سوى للضيوف فآثاثها بسيط ليس بها سوى السرير وذلك الكرسي والطاولة الجانبية....

زمت شفيتها بحنق وهي تحس أنها مكبلة اليدين وعاجزة... لا تدري ما يدور خارج جدران هذا البيت ولا ما ينتظرها داخله...

عادت تطلع إلى النافذة من مكانها فذلك كل ما كانت تفعله طوال اليوم... ابتسمت بسخرية وهي تنتبه لنقطة كانت غافلة عنها... كيف لم تفكر حتى في النظر للخارج على الأقل، أحيانا تجمع بأفكارها لمسافات بعيدة دون فائدة ولا تنتبه لتفصيل بسيط أمام أنفها مباشرة...

اقتربت من النافذة المفتوحة على مصراعيها وستائرهما تتلاعب بها النسيمات المسائية الباردة... ارتكزت بكفيها على إطارها وهي ترجع رأسها للخلف مغمضة عينيها سامحة

لنفسها بأخذ أنفاس عميقة جعلتها تحس بنقاء المكان...  
 فتحت عينيها وهي تشعر بانسراح منعش... جالت ببصرها  
 في تلك المساحات الخضراء حولها... تلك البحيرة الصغيرة  
 التي تجول بقربها بعض المواشي وأطفال صغار يركضون  
 ليكتمل المشهد بالحمرة اللطيفة التي غزت السماء  
 وسحبها... هذا هو سبب هدوء المكان إذن... لا بد أنها في  
 الضواحي حيث المساكن الريفية التي تبدو متباعدة حسب ما  
 رأت... سمحت لنفسها بالاسترخاء متناسية كل ما حولها  
 تائهة في قطعة الجنة تلك.....

ما إن وصل إلى البيت حتى اتجه إلى الغرفة الموجودة فيها...  
 كان بابها مفتوحا أصلا فلم يفكر في الطرق عليه واتجه  
 ببصره مباشرة للسريير الذي كان فارغا، للحظة فقط ظن أنها  
 هربت قبل وصوله قبل أن ينتبه للظل الواقف خلف الستائر  
 المترامية...

تقدم بهدوء ناحيتها لكنها لم تتحرك من مكانها ولم يبدو حتى  
 أنها انتبهت لوجوده... وقف خلفها مباشرة وكاد يفتح فمه  
 لينبها لولا أنها تحركت فجأة لتهاجمه... بالطبع لم يكن  
 صعبا عليه تفادي ضربتها رغم أنها فاجأته لينتهي بها

المطاف يدها مكبلة خلف ظهرها بين قبضته الحديدية بقوة جعلتها تنن ألما وهي تعتصر عينيها...

- "ألا ترين أن حركة كهذه كفيلة بفتح جرحك؟ سأترك يدك الآن فلا تتهوري مفهوم؟"

لم تبالي بسماع باقي أوامره وصوته يغزو كل تفكيرها ويشنته...دقات قلبها المتسارعة أصبحت كالطبول... مستحيل.... لا بد أنها تخلط بين الواقع والخيال مجددا...

ما إن فك حصاره حتى استدارت ناحيته بسرعة... اتسعت عيناها بصدمة وهي تراه أمامها وليس هلاوس كما كانت تعتقد رغم الاختلاف البسيط الذي تركته السنوات على ملامحه... تراجعت للخلف وهي لا تزال محدقة فيه... أحست بأوصالها ترتجف ولم تعد قادرة على الوقوف فاستندت بظهرها إلى الجدار خلفها....

حاولت التقاط أنفاسها لكن حتى ذلك كان صعبا، فجأة تحول الهواء اللطيف الذي كانت تستنشقه منذ قليل إلى شفرات حادة تكاد تقطع شعبها الهوائية... فتحت فمها وهي تخرج نفسا حادا كأنها كانت تختنق....

أما هو فقد كان يراقب رد فعلها العنيف بدءاً بمهاجمته إلى حالتها التي تبدو كمن رأت شبحاً... لقد شحب لونها وصارت كالأموات لولا تنفسها المضطرب كمن كان يركض...

ضيق عينيه وهو ينظر لها بشك يكاد يكون يقيناً بعد سماعه لهذيانها لييلتها... حاول الاقتراب منها لتهدئتها لكنها انكششت على نفسها أكثر وهي تطالعه برعب....

تراجع للخلف حتى وصل السرير وجلس على حافته مقابلاً لها ينتظر إلى أن تهدأ أعصابها قبل أن يقول بهدوء

- " لا تبدين بخير... هل أتصل بريمة؟ "

ظلت تتطلع إلى حركة شفثيه عليها تفهم ما يقول، فسمعها خانها ولم تعد تستقبل أي ذبذبات غير التشوش الذي غطى على كل حواسها... ماذا دهاها عليها أن تستعيد رباطة جأشها أو ستقع فيما لا يحمد عقباه...

همست بصوت بالكاد يسمع وهي تجيبه بتردد

- " لا داعي لذلك... إنه تأثير الصدمة فقط لم أكن أعلم أن هناك أحد في البيت... أعتذر عن تصرفي الأهوج.. "

تأملها للحظات... يبحث في ذاكرته عن أي صورة تشبهها... هل التقاها سابقا؟ هل تعرفه هي؟ منذ سمعها تلفظ اسمه وعقله لا يتوقف عن العمل وكأنه يربط صوتها بذكريات قديمة... فقط لو يسرع من يبحث عن معلومات تخصها لكان تيقن من شكوكه أو دحضها كليا...

حاولت التهرب من نظراته التي تتفحصها بدقة ودون حتى أن يحاول اخفاءها... هربت بعينيها إلى الأسفل مخفضة رأسها، لا تريده أن يعرف شيئا عنها لكن من الواضح أنها تأخرت جدا فهو لم يكن يسمح ببقائها هناك دون أن ينبش في ماضيها وربما يصل إلى ماضيها معا دون حتى الحاجة الى محقق فهو فقط من يعرفه... لكن حاليا يبدو أنه لم يتعرف عليها وهذا ما يمنحها الفرصة للخروج من هناك...

- "ها نحن نلتقي مجددا.."

قالها بنبرة ثابتة قريبة إلى اليقين أكثر منها الى التساؤل وهذا ما كان يهدف إليه من الأساس...

رفعت عينيها إليه بسرعة... هل ما خافت منه حدث بالفعل وتعرف عليها... لا.. لا يبدو كذلك... إنه يحاول قراءة ردود



أفعالها فقط وهذا ما اكتشفته من نظراته... طريقة تحقيق مكشوفة... لابد أنها تفوهت بشيء غبي قبلا... لكن لا بأس..

- " إن لم تدخل ليلة أنقذتني في الحسبان فلا أظني رأيك سابقا.. "

قالتها وهي تنظر إليه بتركيز كمن يحاول فعلا معرفة هويته....

لما لا يصدقها... لا يمكنه سؤالها عما قالته لأنها ببساطة ستنكر الأمر لأنها كانت غائبة عن الوعي وتهذي... عليه فقط الانتظار..

عندما ساد الصمت لوقت طويل تقدمت ناحيته ومدت يدها ببساطة له، معرفة عن نفسها

- "ليلي ربيع..."

تطلع ليدها لبرهة قبل أن يرفع نظره إليها وهو يقبض على كفها الصغير بين يديه بقوة وهو يجيبها - "حسام علي.."

سحبت يدها بسرعة من قبضته قبل أن تجلي صوتها وهي تسأله بهدوء

- "لم تبدو متلهفا لتعرف أي شيء عني لذا أستنتج أنك تعرف هويتي أليس كذلك؟ "

ارتفعت زاوية فمه بسخرية... إنها تهاجم لتتقذ نفسها..

- " ليس تماما... اسمك عرفته الآن منك وعملك والحادث أبلغتني به ريمة وباقي المعلومات ستصلني قريبا ممن كلفته بالبحث... ولا تقولي بأنك توقعت غير ذلك لا تبدين غبية لي.. "

صمت قليلا قبل أن يسألها دون موارد

- "لكن بما أنك في مزاج للإجابة عن تساؤلاتي أريد أن أعرف منك ما هو العمل الذي كنت تقومين به بالضبط حتى تتلقي رصاصة... "

إن كذبت قد يكشف أمرها وإن اعترفت لا تدري ماهي ردة فعله... لا تريده أن يربطها بمروان بأي طريقة ممكنة، فهي لحد الآن لا تعرف حدود معرفته بتلك الجريمة التي تجمعهما.. لم يبق أمامها خيار سوى أن تراوغ قليلا حتى تخرج من هناك...

- " أعلم أنني مدينة لك بحياتي لكن عملي شيء لا يخصك ولو كنت أبحث عن مستجوبني لكنت ذهبت إلى مركز الشرطة... لا أستطيع الكشف عن مصادري.. ما أطلبه منك هو أن تسمح لي بالرحيل ونهي الموضوع عند هذه النقطة وسأكون شاكرة لك..."

- "فقط بهذه البساطة؟ ألا ترين أن ما تطلبينه غير منطقي... على العموم ما أن أتأكد من عدم صلتك بأمر يخصني يمكنك المغادرة كما تريد..."

ألجمتها الصدمة مما قاله وهي تدرك إلى أين يصل بها الأمر... هل ما يقصده هو ما كانت تفكر فيه... بعد لحظات من التخبط في أفكارها انتبهت أنها تقف وحيدة وأنه غادر الغرفة... تحركت من فورها تحاول اللحاق به لتجده يقف أمام الباب الخارجي للبيت يحدث شخصا ما... تقدمت ببطء عليها تستشف ما الذي يدور بينهما لتلمح جسدا ضخما يبدووا كالحارس الشخصي...

عندما أحس حسام بأن هناك عيوننا متطفلة تراقبه التفت للخلف ليجدها تنظر إليه بتوجس... لم يتحرك من مكانه بل أجاب على تساؤلها الذي لم تطرح والذي قرأه في عينيها

- " هذا فؤاد سيكون هنا في الخارج منذ الآن فإن احتجت  
 لشيء يمكنك الطلب منه فأنا لا أتواجد في البيت أغلب  
 الأوقات وبقائك هنا فلا أظن تواجدي لائقا... إن غيرت رأيك  
 وأردت التحدث فقط أخبريه وسأحضر..."

ما أن أنهى كلامه حتى استدار ليخرج عندها سمع هتافها  
 الغاضب وهي تقطع المسافة الفاصلة بينهما لتقف أمامه  
 تتحدها بجرأة أن يكذب كلامها

- "لما لا تقول بصراحة أنه هنا كي يحرسني في حال فكرت  
 في الهرب أليس كذلك؟ هل أصبحت سجيئة الآن؟ "  
 وقف مكانه دون أن يلتفت إليها وهو يسمعها تتابع

- "لما لا تخبرني أنت عن أي صلة تربطني بك بالضبط فأنا  
 حقيقة لا أفهم ما ترمي إليه بكلامك المبهم ذاك؟ "

- "عندما تقررين أنت الإفصاح عما تخفينه سأخبرك أنا  
 بدوري..."

قال جوابه المستفز والمهلك لأعصابها المتعبة أصلا وأكمل  
 طريقه للخارج دون أي اهتمام بما ستقوله لاحقا فهو إن

عرف عنها شيئاً في حديثهما القصير هو مدى تشبثها  
بعنادها....

وقفت مكانها في بهو المنزل بعد خروجه تتأفف بقلة حيلة  
وهي تجول ببصرها في المكان وهي تفكر في طريقة للخروج  
من هناك....

## الفصل التاسع

كان يجلس خلف مكتبه بلامح ممتعة كل تقاسيمها تخطها  
القسوة والحدق، يصغي بانتباه لمن يحدثه في الطرف الآخر  
قبل أن تتغير تلك الملامح إلى شيء أسوأ وأكثر همجية من  
القسوة، كأنه شيطان يرقص حول قربان تندثر منه الحياة  
رويدا رويدا بينما تنبعث فيه هو من جديد، بهجة سقيمة تلك  
التي كان يحسها وهو يصل إلى هدفه...

دخل أسامة الغرفة ليجده على تلك الحال، فعلم أن ما كان  
يخشاه قد حصل وأنه تأخر كثيرا فقد وقعت بين مخالفه....

تغضنت ملامحه بألم وحسرة وهو يصل إلى ذلك التفسير  
الذي يرفضه قلبه لكن عقله يؤكد له ولا سبيل لإنكار واقعيته،

عندها حسم أمره الذي كان يؤجله من قبل لأسباب ظل يعددها مرارا حتى يبرر لنفسه ربما كان أولها الجبن أو عدم رغبته في تحطيم صورة الأب التي رسمها هو فقط دون أن تكون موجودة من الأساس ورغم علمه بذلك إلا أنه تجاهله أو ربما شيء آخر، لا يهم، المهم أنه امتلك الجرأة أخيرا للتقدم تلك الخطوة....

تقدم ناحية والده الذي أغلق الهاتف ما إن وصل أمامه دون أن يخفي انشراحه الواضح ليسبقه أسامة بسؤال كان أقرب إلى تقرير

- " وجدتها إذن؟ "

ليرد عليه الآخر ببرود

- " وهل كنت تتوقع غير ذلك؟ "

ارتفعت زاوية فمه في ابتسامة ساخرة وهو يحرك رأسه ينفي ذلك قبل أن يقول

- " سأغادر بعد أيام ما أن أنهي بعض الأمور العالقة ولا أظن أنني سأعود إلى هنا من جديد، جئت أبلغك هذا فقط... "

عادت ملامح مروان للقسوة من جديد وهو يجيبه بحدة

- " وهل سمحت لك بالرحيل؟ لا أظنني فعلت... اسمعني جيدا، أنت من سيدير هذه المملكة من بعدي فلا تتصرف بعاطفية تدفعك ثورة طائشة لأجل فتاة ستجعلك تفقد مكانتك، تلك العائلة بأكملها هي لعنة علينا..."

صرخ فيه بعذاب يقطر مع كل حرف يلفظه وهو يرد عليه

- " عن أي مكانة تتحدث أرجوك؟ عن هذه الإمبراطورية كما تدعي والتي أساسها الدماء والخيانة؟ لا يا أبي، لقد صمت لوقت طويل لأنني أحبك حتى وإن كنت لا أحترم ما تقوم به، لكن في كل مرة التزمت الصمت على عمل قدر قمت به فقدت جزءا من نفسي وأنا أنوي الحفاظ على القليل النظيف المتبقي منها قبل أن أخسر كل شيء..."

جن جنون مروان وخرج عن طوره وهو يدور حول المكتب ليقف مقابل ابنه الواقف ورأسه للأسفل فرفع ذقنه ممسكا إياه بقوة ليجبره على النظر في عينيه وهو يهمس بتهديد

- " هل تعصي أوامري يا ولد؟ هل تخونني؟ "

نظر إليه بثبات دون أن تزيغ نظراته كما تعود عندما يوضع في مثل تلك المواقف حيث يجبر على اتخاذ جانب أو اتخاذ قرار مصيري وهو يجيبه

- " أنا لا أعصي أوامرك ولا أخونك بهذه الطريقة لكن إن بقيت هنا أعدك سأضطر لفعل ذلك فلا تجبرني يا أبي أرجوك... سأسافر حيث أحيى وشقيقتاي وألم شمل العائلة التي فرقتها بجبروتك ونزواتك القدرة دون أن يؤنبك ضميرك لثانية واحدة كما فرقت عائلة صديقك الوحيد سابقا، من وثق بك وأمنك على ظهره الذي طعنته دون أن يرف لك جفن...."

كز على أسنانه بقوة وهو يدفعه للخلف قبل أن يجيبه

- "كمال لم يكن يوما صديقي بل كان دوما رئيسي في العمل...."

ابتسم بتهكم وهو يهز رأسه بيأس من إقناعه بعكس الفكرة التي ترسخت لديه منذ الأزل قبل أن يقول

- " هذا ما تقوله أنت لتبرر فعلتك... لكن ما علينا فهذا ليس موضوعنا ولا جدوى من النقاش فيه، سأرحل قبلت أو رفضت حتى وإن قتلتني وهذا ليس بالأمر الجديد عليك المهم بالنسبة لي ألا أستمر في العيش بهذه الطريقة...."

أنهى كلامه وهم بالانصراف لكنه توقف وأردف بأمل



- " أرجو فقط أن يصحو ضميرك إن لم يكن قد مات من الأساس قبل أن تؤذي المزيد من الناس... "

بعد تلك الكلمات غادر دون أن ينتظر أي تعليق منه فهو يعلم جيدا أن ما قاله لم يؤثر فيه ولو قيد أنملة....

أما ذاك الذي بقي في المكتب فنار حقه زادت اشتعالا وهو يتوعد بأن يحرق كل شيء وأولهم من كانت السبب في جعل ابنه يتصدى له....

\*\*\*\*\*

هل يمكن للشخص أن يحمل على كاهله وزر موت أقرب الناس إليه دون أن ينهار؟ أن يرى يديه ملطخة بالدماء كلما نظر إليهما دون أن يفقد جزءا من روحه في كل مرة؟ قد يكون الحمل على شخص ناضج فوق طاقته فكيف بالأحرى على فتاة يافعة....

كانت تجثو على ركبتها ويدها تستند على جذع الشجرة أمامها في الحديقة العامة الخالية من الناس تقريبا في جو ماطر كذاك، وشهقاتها تكاد تعلو على هدير الرياح التي تعصف من حولها، لا تدري إن كانت تبكي رقيقة فقدتها أو تبكي ذنبا ارتكبتها، المهم أنها تريد اخراج ذلك الإحساس

المقيت الذي يجثم على صدرها ويشعرها بالكره تجاه نفسها  
أكثر منه بالألم...

كانت تهذر بكلمات غير مفهومة أو حتى مترابطة، عندما  
أحست بتلك اليد على كتفها وصوت حنون دافئ ينساب إلى  
سمعها مع تلك اللمسة

- " هل أنت بخير بنيّتي؟ "

التفتت تقابل صاحبة ذلك الصوت وكل جسدها يرتجف تحت  
كفها، قد يكون بسبب البرد أو الهلع أو كليهما... لم تكن  
تراها فعلا رغم أن عينيها كانت معلقة بصاحبة ذلك الوجه  
الهادئ الذي ارتسمت عليه أمارات القلق....

أعادت سؤالا مرة أخرى وهي ترى نظراتها شاخصة كمن  
تعرض لصدمة هزت كل أركانه وثوابته ولا يستوعب ما  
حوله...

ومن بين شفتين ترتعشان انبعث أخيرا صوتها المهتز رغم  
أن ما نطقت به لم يكن إجابة على السؤال السابق بل مجرد  
جمل متقطعة ضائعة كصاحبيتها

- "أنا السبب فيما حدث لها... أنا السبب... ما كان يجب أن  
أخذها معي...."

وظلت تردد عبارة أنا السبب بهيستيرية لتتظر المقابلة لها  
بعدم فهم وهي تتيقن أن من أمامها في حالة غير متزنة  
تماما، خصوصا وهي تراها ترفع يديها أمامها متابعة بنفس  
النبرة

- "انظري... انظري، يداي لا تزالان مخرجتان بدمائها...  
لقد كانت تنزف أمامي ولم أستطع أن أفعل لها شيئا... لم  
أنقذها من تلك الرصاصة ولا من الموت... كان من المفترض  
أن أموت أنا هو أخبرني بذلك عدة مرات... لقد ظل يعيدها  
على مسامعي أنني كنت المعنية وهي من دفعت ثمن طيشي  
لأنني أخرجتها بالغضب من البيت... أنا من قتلها...."

اتسعت عينا المرأة بصدمة وهي تستمع لكلامها... هل وقعت  
جريمة فعلا؟ قبل أن تنزل بهما إلى يديها كمن يبحث فعلا عن  
آثار للدماء كما كانت تقول فاستغفرت خالقها لجموح أفكارها  
هي الأخرى، واقتربت من الفتاة ترفع خصلاتها الكستنائية  
المبللة والتي التصقت بوجهها الشاحب لتتظر لها الأخرى  
بضياح تنشد الطمأنينة، فقط تريد من يمسك يدها ويسحبها

من تلك الهوة المظلمة، وهي لم تتأخر عنها وقد التقطت تلك  
الحاجة فابتسمت في وجهها قائلة بحنو

- " اهدئي صغيرتي ستكونين بخير... فقط اهدئي... "

بعد لحظات بدأت شهقاتها تتحول إلى نشيج خفيض  
وارتجافتها تهذا قليلا عندها سألتها

- " حسنا أخبريني ما الذي حدث معك بالضبط؟ "

ولا جواب سوى نظرات حائرة فهي الأخرى لا تعرف شيئاً  
سوى أنها السبب فيما حدث... أخذت نفساً عميقاً قبل أن تغير  
السؤال فهي لا تريد تركها في تلك الحال كما لا تريد الضغط  
عليها وهي منهاره من الأساس

- " لا داعي للتحدث عن الأمر إن كنت لا تريدين، لكن على  
الأقل أخبريني أين تسكنين حتى أوصلك إلى بيتك لا يجب أن  
تبقي في الخارج وأنت بهذا الشكل، ستمرضين إن بقيت أكثر  
تحت المطر... "

أخيراً حصلت على رد فعل رغم عنفه وهي تنتفض للخلف  
تصرخ بانفعال

- " لا أريد... لا أريد... يجب أن أموت أنا أيضا... ليس عدلا أن أعيش أنا بينما هي لا... "

تأملتها بإشفاق وهي ترى حالتها النفسية السيئة قبل أن تقول بهدوء وتروي تنظر في عينيها مباشرة كي تستوعب ما تقصده

- " الأعمار بيد الله صغيرتي لا يجوز أن تفكري بهذه الطريقة... فقط لا تنسي من فقدتها بالدعاء بالرحمة... والآن هيا أخبريني أين... "

وقبل أن تنهي كلامها قاطعها صوت مميز يبحثه الخشنة خلفها عرفت المرأة مباشرة فالتفتت بسرعة إلى ذلك الشاب الذي لم يكن سوى ابنها

- " حسام بني لقد كنت أنتظر... "

شملت نظرتة المتوجسة ذلك الجسم المرتجف خلف والدته قبل أن يعود بها إليها وهو يسألها

- " ما الذي تفعلينه في الخارج في هذا المطر لقد قلقت عندما أخبرني الحارس أنك غادرت المدرسة منذ وقت؟ هل كل شيء على ما يرام؟ "

- "أجل كل الأمور بخير لقد كنت أحادث هذه الصغيرة فقط والتي سنوصلها إلى بيتها معنا.."

قالت عبارتها وهي تضع ذراعها على كتفيها تقربها منها..

تطلع إلى حالتها التي أقل ما يقال عنها أنها كانت سيئة بملابسها المتسخة وشعرها المبلل الذي يغطي أغلب ملامحها، لتقع عيناه على عينيها التي رفعتها تنظر إليه هي الأخرى ولا تستطيع ابعادهما عنه لا تدري إن كانت رهبة أو أن رابطا خفيا يسحب كلا منهما نحو الآخر....

شهقة حادة انبعثت مترافقة مع انفراج جفنيها وهي تستيقظ من ذلك الحلم أو بالأحرى من تلك الذكرى القديمة، قبل أن تعتدل جالسة على السرير، رأسها للأسفل وشعرها القصير يغمرها لترجعه للخلف وأصابعها تتخلل خصلاته وهي تزفر بقوة، قبل أن تتمم بضيق

- "اللجنة على ذلك الماضي الذي يابى مفارقتي...متى سأستطيع النوم دون أن تهاجمني تلك الذكريات؟ متى سينتهي العقاب الذي أتعرض له؟"

رمت الغطاء جانبا وهي تنزل من السرير لتخرج من الغرفة التي كانت تطبق على صدرها.. كان البيت يعمه السكون فلا أحد غيرها موجود هناك كما سبق ووعدها...

اتجهت إلى المطبخ لتسكب لنفسها كوب ماء وربما إن حالها الحظ تبتلع معه تلك الغصة الجاثمة في حلقها تمنع الهواء من المرور... والعكس هو ما حدث، كانت تستطعم تلك المياه كأنها علقم مر ولتذهب دروس الكيمياء أنها بلا طعم خصوصا بعد ذلك الحلم الذي رآته...

أغمضت عينيها بقوة وتلك الصور تتدافع أمامها من جديد تؤكد لها أن الدين لم يدفع بعد وصاحبه ما زال لم يحصل حقه تماما...

كانت تستدير عائدة إلى غرفتها عندما أجفلت وهي تصطدم بذلك الجسم الصلب أمامها، فتراجعت للخلف بسرعة وهي ترفع بصرها إلى وجه صاحب ذلك الجسد الذي قرر أن يمتعها بزيارة في الصباح الباكر، لتقابلها ملامحه الصارمة كحد السيف تكاد تجزم أنه لو خاض حربا سيفوز فيها بالتأكيد دون اللجوء لسلاح فوجهه وحده قادر على قتل خصمه ببساطة...

أخرجها من فكرتها تلك صوته الخشن وهو يقول بلوّم متعمد  
 - " تفضلي تصرفي بحرية البيت بيتك آنستي... "

ودون تفكير ردت عليه بنفس درجة اللوّم أو ربما أكثر بقليل  
 - " حتى معتقلي الحرب لديهم الحق في شرب الماء، وعلى  
 العموم أنت قلت أن لي حرية التحرك داخل جدران السجن،  
 هذا أولا ... أما ثانيا إياك أن تتسلل خلفي مجددا... "

- " أنا لم أتسلل خلفك بل أنت من كنت شاردة، هل لديك  
 الكثير من الأسرار لتفكري فيها؟ "

تجاهلت تلميحه المفخخ وهي ترمقه ببرود قبل أن تمر  
 بجانبه لتسمعه يقول بهدوء

- " لقد سحبت الحارس من أمام البيت، لذا إن كنت تشعرين  
 بتحسن لك حرية المغادرة في أي وقت تشائين، لن  
 أمنعك... "

توقفت مكانها تستغرب ما سمعته وربما تكذبه نوعا ما قبل  
 أن تلتفت تنظر إليه بشك، تبحث في عينيه عن أي نوايا  
 خفية، تريد أن تفهم ما الذي يخطط له، ما الذي يوجد خلف



جدار البرود الذي نصبه فجأة، وقبل أن تتطوع هي وتساءل  
كان هو السباق لإجابتها

- "أخبرتكَ سابقاً ما أن أتأكد من عدم ارتباطك بأي علاقة مع  
ما حدث لعائتي سأتركك ترحلين فلا شأن لي بك على  
الإطلاق، وها أنا ذا أفي بو عدي..."

كان هو من تحرك هذه المرة متجاوزاً إياها قبل أن يسمع  
همسها كصوت يأتي من بعيد أو ربما كانت توجه الكلام  
لنفسها قبله عليها تقتنع أخيراً وترتاح من تلك الأهوال التي  
تؤنب ضميرها، وظناً منها أنه يتحدث عما حدث قبل سنوات  
عديدة

- "لما لا تترك الماضي قبل أن يستنزف روحك؟ لما تصر  
على فتح الجروح القديمة؟ ألا يكفيك أنها نزفت لوقت طويل،  
طويل جداً؟"

عاد إليها وهو ينظر إليها بشك، يعلم أنها تخفي شيئاً يتعلق  
به ولا يدري كيف يصل إليه إن لم تبح هي به  
- "وما الذي تعرفينه أنت عن ماضي؟"

ملاحها الجامدة وصمتها كانا الجواب فأردف قائلاً

- " دعيني إذا أخبرك شيئاً، هناك ماض لا يمكن أن نتركه خلفنا لأن ندوبه تعلم بقسوة على أرواحنا..." "

تركها خلفه تحاول لملمة أفكارها التي بعثها عليها تخرج من هناك بدون جراح إضافية...

أما هو ما أن أغلق الباب خلفه حتى وقف ينظر للبعيد وهو يتذكر نقاشه مع أحمد بعد أن غادرها بالأمس....

كان يجلس على الكرسي المقابل لأحمد الجالس خلف مكتبه بهدوئه المعتاد، بينما كان هو يعيد قراءة الملف الذي بين يديه للمرة العاشرة ربما عله يعثر على معلومة قد غفل عنها في المرات السابقة، لكن دون فائدة ليرميه فوق سطح المكتب بنزق مما جعل أحمد يتطلع إليه بغضب قبل أن يترجم ذلك الانفعال بقوله

- " هل اكتفيت الآن أم هناك المزيد؟ الفتاة كانت صادقة معك وهي مجرد صحافية لا أكثر، لذا لا داعي للتصرف كالمجرمين ودعها في حال سبيلها، يكفي المستوى المتدني الذي انحطت له في سبيل الوصول لكمال دون حتى أن تكون على دراية بأنه هو من أعطى الأمر بالقتل..." "

احتدت نظرات المقابل له خصوصا بعد ذكر عدوه قبل أن ينهض من مكانه بحركة عنيفة وهو يجيبه

- "أنا لم أقيدها في غرفة مؤصدة وأجبرها على الاعتراف تحت التعذيب، أردت فقط بعض الوقت للتحقق من كلامها و..."

ظل أحمد يتطلع إليه بصدمة طيلة حديثه قبل أن يقاطعه بحدة عندما اكتفى من هذره

- "هذا ما كان ينقصك لتكتمل صورة المجرم، أن تقيدها بكرسي تعذيب حتى تعترف أحسنت صديقي... لكن جديا يكفي ما تعرضت له المسكينة في حياتها..."

قابله حسام بنظرات شك وهو يقترب من المكتب ليقف أمامه تماما مما جعل الجالس خلفه يرفع بصره له خصوصا وهو يسمع تلك النبذة الغريبة التي يحدثه بها

- "ما الذي تعرفه عن حياتها حتى تتعاطف معها لهذه الدرجة، أنت حتى لم تلتق بها؟ هل هناك ما تخفيه عني يا أحمد؟"

زفر بضيق وهو لا يكاد يصدق جنون صديقه والهوس الذي  
يسيطر على عقله قبل أن يستقيم وهو يبتعد عن المكتب  
ليهدف فيه بغضب

- " هل تسمع ما تهذي به يا رجل؟ لا أعرف الفتاة...ولا، لا  
أخفي عنك شيئاً، ما أعرفه أنا تعرفه أنت.. تعاطفي معها  
مجرد إنسانية بحتة لا أكثر بسبب ما أخبرتني به ريمة عن  
حالتها وما يوجد في ذلك الملف، الفتاة يتيمة، عاشت وحدها  
في الغربة وفوق هذا عملها خطير فكما تعرضت لطلق ناري  
هذه المرة فأكيد هناك مرات غيرها.. "

ورغم أنه لم يقتنع بكلامه إلا أنه لم يعلق والتزم الصمت مما  
جعل أحمد يتابع

- " لا تتهور وتتصرف بجنون قد يؤذي الجميع بمن فيهم  
أنت...فقط دع الفتاة وشأنها ولا تفتح علينا أبواب الجحيم.. "

اكتفى بإيماءة فقط كرد وهو يهم بالمغادرة ليسرع أحمد  
بإمساك ذراعه وهو يؤكد على طلبه السابق

- " عدني بالتأني يا حسام أرجوك... "

لم يرد ولم يرح باله بالوعد الذي كان ينتظره لأنه يعلم جيدا بأنه عهد لن يستطيع الوفاء به، فمن أجل أن يصل لمن دمر عائلته هو مستعد ليحرق المعمورة بمن عليها...

عاد من تلك الذكرى على اهتزاز هاتفه في جيبه والذي تجاهله ما أن رأى هوية المتصل قاطعا عليه أي طريق قد يجعله يعدل عن مخططته....

\*\*\*\*\*

لم يمض وقت طويل بعد رحيله إلا وكانت خارج ذلك البيت وقد تأكدت من جدية عرضه، فلم يكن هناك لا حارس ولا حتى هو...

أتلك هي النهاية ولن تلقاه مجددا؟ سؤال طرأ على بالها وهي تسير على الطريق وحدها باتجاه المحطة قبل أن تدرك أن ما يجمعهما لم ينتهي عند تلك النقطة ولا بد أن القدر سيجمع طريقيهما مرة أخرى مادامت العدالة لم تتحقق بعد... ما أدركته أيضا وقتها وجعلها تقف ضائعة تتطلع حولها أنها فعليا لا تدري أين تذهب بعد ذلك بدون أوراق هوية، بدون مال ولا حتى هاتف حتى السترة التي عليها ملكه هو لأنها لم تجد ملابسها فارتدت أول شيء رآته معلقا أمامها...

كانت منشغلة جدا بالتفكير فيما ستفعله لاحقا لدرجة أنها كانت غافلة عن تلك العيون التي تراقبها منذ خروجها وتتحين الفرصة للقبض عليها...

وعند أول منعطف خال تقريبا من الناس كان المكان المناسب لتنفيذ مخططاتهم فلم تعي لشيء إلا وهي تجد نفسها محاصرة بين مجموعة من الرجال أقل ما يقال عنهم أنهم قتلة مستأجرين...

لم تكن لديها فرصة أماهم اطلاقا رغم محاولتها الحثيثة للنفاذ من بين أيديهم بل أنها تعرضت للضرب المبرح منهم أي أن غايتهم ليس بالضرورة ايصالها حية...

عندما استنفذت كل طاقتها سلمت أمرها منهارا لتجد نفسها بعد وقت لم تستطع تقديره ترمى في إحدى المستودعات المهجورة إلا من الخردوات والأتربة في منطقة ما نائية...

رفعت بصرها وهي بالكاد تستطيع أن ترى جيدا خصوصا وعينها متورمة ببشاعة بعد الضربات التي نالتها لترى الخيال الذي وقف أمامها بكبرياء يبتسم بشماتة وهي قابعة عند قدميه...

## الفصل العاشر

كان مروان يدور حولها بينما هي ملقاة على الأرض كأنه حيوان ضار يبسط هيمنته على فريسته، مختالا بقوته قبل أن يقضي عليها نهائيا، وفي حالته هذه كمن يتمتع بتفوقه عليها في تلك اللحظات وهي مرمية عند قدميه فيمعن في تعذيبها النفسي بينما هي تنتظر اللحظة التي يقرر فيها الانقراض عليها أخيرا...

تابع تحركه حولها ببطء يتأملها باستمتاع مريض بينما يفك زري كمي قميصه ناصع البياض بعد أن وضع سترته جانبا، ليرفعهما بعد ذلك حتى مرفقيه، كان بياض ذلك القميص بمثابة رمز مكانته ودمائها التي يحتقرها لا تستحق حتى أن تلوته...

جاهدت نفسها للتحرك من مكانها والمقاومة لكن قواها كانت قد خارت بعد المجابهة الحامية مع رجاله طول الطريق، والضرب المبرح الذي تعرضت له كلما حاولت الإفلات من قبضتهم، حتى لم يبق لها حول ولا قوة للصمود أكثر، لكن

نظرات الانتصار في عينيه كانت توحد شيئاً فشيئاً نار  
شراستها، رغبة همجية لا منطقية في التظاهر بقوة واهية  
حتى وان أودت بحياتها لكنها ستكون كفيلاً بإفساد لحظته  
المميزة ولا يهم بعدها العواقب، المهم أنها لم تستسلم له ولم  
تمنحه تلك اللذة خالصة كاملة..

عاودت محاولة الوقوف من جديد رغم الألم الذي كان ينخر  
كل جزء من جسمها المكدوم مستندة على كفيها، لكن حتى  
ساعديها لم يسعفاها وهما يرتجفان قبل أن تحس بذلك الثقل  
يسقط على كتفها المصابة وصاحبه يضغط أكثر وأكثر، ولم  
تكن سوى قدمه التي ثبتها هناك لمنعها من الحركة ضاغطة  
على جرح رصاصته السابقة...

آهة وجع كانت ردها الوحيد وهي مثبتة على الأرض تتعرض  
للتعنيف ممن لا يرحم... تسارعت دقات قلبها متزامنة مع  
أنفاسها المتلاحقة وكل أعصابها الحسية تتناقل ذلك الألم  
المبرح، شهقت بقوة عليها توصل هواء كافياً لرئتيها بازدياد  
حدته فتسربت كل تلك الأتربة القريبة من وجهها على  
الأرض مع ذراته إلى شعبها لتنتابها نوبة سعال كادت تختنق  
بسببها....



لم يكن ليفوت تلك اللحظة التاريخية وهو يراها تنتفض أمامه كأضحية ستفارق الحياة، فانخفض إلى مستواها يسحبها من شعرها حتى تستقيم لتواجهه، وما إن وقفت قبالة رغم ترنحها حتى تطلع إلى وجهها المتغضن بألم وكل تلك الأوساخ تغطيه ممتزجة بدمائها التي تخثرت على جروحها...

امتدت يده إلى ذقنها يقبض عليه بقوة وابتسامة مقبئة ترتسم على شفثيه قبل أن يضغط بإبهامه على جرح شفثها السفلى لينزف أكثر ثم مسح تلك الدماء بعنف ملطخة محياها بينما هي تحاول ابعاد وجهها عن قبضته من جهة وفك خصلات شعرها من بين أصابعه المتشبثة بها من جهة أخرى قبل أن تستفرغ ما في جوفها من لمساته المقرفة ورائحته التي تثير غثيانها...

ضغط على أسنانه بقوة حتى كاد يحطم فكيه وهو يلحظ تقززها من اقترابه ليسألها بعنجهية بعد أن فرض على نفسه سيطرة جبارة حتى لا ترى تأثيره

- " هل كنت تعتقدين أن لعبتك تلك كانت ستنجح لوقت طويل وأنت ستفلتين من بين يدي ببساطة؟ كيف خطر على بالك أن فتاة مدللة غرة مثلك ظلت تحت جناح حماية والدها العزيز

طوال حياتها مدعية القوة وعدم حاجتها له بينما الحقيقة أنه  
لو تركها وحدها لنهشتها الوحوش كما يحدث الآن، قادرة  
على مجابتهى بخطة سخيفة كتلك؟ "

قال جملته الأخيرة وهو يرمي بجسدها مشمئزاً لتلتقطه تلك  
الأرض الصلبة بقسوة...

ورغم الوجع الذي أحست به إلا أنها كتبت آهتها لترفع  
شعرها الثائر عن وجهها بكبرياء وتتنظر إليه باحتقار قبل أن  
تجيبه وابتسامة استخفاف تشق طريقها على ثغرها

- " لقد فعلتها وأمام أنفك قبل أيام ألا تذكر؟ أم أن عقلك  
يمحي أمجاد خساراتك حتى لا تعكر صفو انتصاراتك  
الخادعة؟ "

أتبعت الرصاصة التي أطلقتها على غروره مهشمة إياه إلى  
أشلاء بضحكة ربما كانت صادقة أكثر منها مفتعلة بعدما رأت  
شرارة الغضب في عينيه...

لم يكن رده سوى ركلة كادت تهشم أضلعها من شدة قوتها  
جعلتها تنكمش على نفسها تحضن جسدها وهي تكاد تفقد  
وعينا، لكنه لم يكن ليهبها تلك الرفاهية التي تخلصها من

عذاب الوجع، جثا أمامها وهو يطبق الخناق على رقبتها  
 ليجبرها على التطلع إليه بعيون جاحظة وهو يهمس بفحيح  
 -" سأجعل الموت نعمة تحلمين بها ولن تحسلي عليها أيتها  
 الحقيرة، لم يعد يهمني ما تملكينه ضدي أنت وشلة الفاشلين  
 أصدقاؤك فهو لم يعد ذو قيمة ليشفع لك لأنني سأجده في  
 النهاية حتى لو حرقت ذلك الميتم بمن فيه، ومعه صديقك  
 وليد فهو ليس منيعا ضد الموت وسأصل حتى إلى من لجأت  
 إليه بعد فرارك... (حسام).."

توقفت عن الانتفاض بين يديه ما إن لفظ اسمه، لا.. ليس  
 هو، يمكنه أن يقتلها أو يعذبها لا يهم، لكن ليس هو..

ابتسم بتسفي وهو يقف من جديد تاركا لها الفرصة لتلتقط  
 أنفاسها كي يعود لتعذيبها من جديد وهو يتابع ببطء مؤكدا  
 على كل حرف

- " لن تنجحي في كل مرة في إنقاذه صحيح؟ يبدو أن القدر لا  
 ينفك يرميه في طريقي، سابقا كان مجرد تحذير وكانت  
 زوجته هي التالية بعد والديه، مسكينة، لا بد انها تتعفن في  
 الجحيم الآن ولا مانع لدي طبعاً من أجمعه معها فكما لاحظت

يبدو في حالة سيئة جدا بعد ما حدث لها، ليس عدلا أن يبقى وحيدا، لن ترضي له مصيرا كهذا أليس كذلك؟ "

تطلعت إليه باشمئزاز غطى على شعورها بالخوف فعلا مما يقوله، لهذا السبب كان البيت فارغا وحتى غرفته الخاصة رغم وجود أشياءها فيها، لعنته في سرها قبل أن تجيبه وهي تكاد تبصق الكلمات في وجهه

- " أنت حقا شخص مريض، تقعات على دماء الأبرياء ولا تعرف حدا للشر، أنت فعلا أحقر خلق الله... "

اكتسح سواد قلبه محياه وهو يتوعدها قائلا

- " وهذا الحقير سيريك كيف تكون النذالة على أصولها، أعدك أن يشوه رجالي الذين في الخارج كل معالمك حتى لن يظل لغرورك وجود... "

كان يهم بتنفيذ وعيده ورميها لوحوشه ممن يقفون أمام ذلك المستودع عندما سمعا أصواتا في الخارج، في البداية تجاهل الأمر ولم يعره اهتماما فغيره كفيل بإخماد أي هجوم عليه، لكن تلك الفوضى لم تنفك تتزايد متداخلة مع أصوات أسلحة...

رمقها بنظرة مهددة قبل أن يلتفت إلى الباب ينوي الخروج لتفقد الوضع عندما سبقه انفتاح الباب على مصراعيه وأحد رجاله يرمى أرضاً أمامه مضرجا بدمائه..

ربما كلمة صدمة غير كافية لوصف رد فعله وهو يرى حسام يقف أمامه وقد نجح في الوصول إليه رغم ترسانة الرجال المدججة بالسلاح في الخارج، الشخص الذي كان يتبجح بالقضاء عليه منذ لحظات يقف أمامه بكل خيلاء يتحداه مصوباً سلاحه نحوه...

أما حسام ما إن اندفع للداخل بعد مواجهة حامية مع رجال مروان حتى جال بعينيه في المكان يبحث عنها ليتأكد أنها في مأمن، لتقابلته هي ما أن التقت نظراتهما بابتسامة رغم التعب الظاهر فيها إلا أنها تحمل من الأمل والامتنان الكثير مع شيء آخر لم يفهمه، لكنه في الحقيقة لم يكن سوى خوف عليه مما ينتظره هناك فهو دخل وكر الشيطان بإرادته ولن تكون النتائج جيدة على الإطلاق..

عند تلك النقطة أغمضت عينيها عنها تبعد تلك الصورة الشنيعة التي ترسم المصير المظلم الذي قد ينتظرهما...

عاد بنظره سريعا ما أن لمح تحرك الذي رفع سلاحه في المقابل في اتجاهه ببطء وعيناه لم تفقدا تواصلهما معه متخطيا ذلك المرمي أرضا دون ذرة إنسانية واحدة، ليهمس بتهكم غلب عليه الكره وهو يبتسم ابتسامة مقبلة

- " ليتك فقط تعرف أننا كنا في خضم الحديث عنك قبل دخولك البربري بلحظات، لو طرقت الباب فقط لكنت حظيت باستقبال يليق بك بدل هذه الفوضى غير الضرورية على الإطلاق..."

بادله حسام الابتسامة المتهكمة وهو يميل رأسه جانبا ليقول بهدوء مستفز

- " حسنا سأكون لبقا وأطرق الباب كما تفضلت وقلت..."

وماهي إلا لحظة حتى انقلبت الموازين ليجد مروان يديه خاليه وسلاحه يطير بعيدا بعد اشتباكه مع المقابل له، لكن ذلك لم يكن ليؤثر عليه في شيء فهو ليس الغر الذي عاش في الدلال ولم يصل إلى ما هو عليه بسهولة بل استحوذ عليه بالقوة والدم ولن يتغلب عليه ببساطة..

استمرت الهجمات المتبادلة بين كليهما كالضواري ولا أحد منهما يفكر في رفع راية الاستسلام، لكن رغم قوة مروان لم

يكن ليصمد طويلا أمام رجل مدرب على القتال مهما كانت الظروف فرجحت الكفة لصالح حسام وهو يقف أمام جسد خصمه القابع على الأرض...

لحظة انتصار لم تطل وأحد رجال مروان ينقض عليه من الخلف يلف أحد الأسلاك الحديدية على عنقه مشددا الخناق عليه بقوة لولا يده التي تسلت بينهما قبل ذلك بقليل...

مشهد صدم ليلي وأعاد صور ذكرى مريرة أخرى، جعلها تحاول القيام من مكانها تجاهد لتحمل الألم، تترنح في كل خطوة خصوصا وهي ترى مروان يقف على قدميه ليحمل سلاحه الذي كان مرميا في أحد الأركان وهذه المرة كان واضحا لها أنه اتخذ قراره وستسمع صوت رصاصته تخترق جسد حسام الذي يصارع وحده هناك...

مع وصوله إلى حسام كانت هي تقف حائلا بينهما فهي كانت الأقرب إليه، تتحدى النظرات القاسية لمروان وهي تقول بثقة

- " قلتها قبل عدة سنوات وسأكررها الآن، لن تمسه بسوء إلا إذا قتلتني أولا، هيا وجه سلاحك نحوي أنا.. "

لم يعر كلامها اهتماما وهو يشهر المسدس في اتجاهه هو ويحرر صمام الأمان.... لم يكن أمامها خيارات كثيرة غير الإمساك بذراعه والتشابك معه لكسب الوقت على الأقل، فهي تعلم جيدا أنها ليست ندا له، بينما كان حسام يحرق نفسه من ذلك الحصار مستغلا الفرصة التي منحها له حتى رآها تتهاوى أرضا وقد نالت ضربة قوية على رأسها جعلتها تتأرجح بين الوعي واللاوعي فلم تدري بعدها إلا وصوت طلق ناري يخترق سمعها...

حاولت فتح عينيها وقلبها يصارع الفاجعة، فاجعة أن تكون تلك الرصاصة اخترقت جسد حسام...

أسبلت أهدابها سامحة لنفسها بأن تغرق في غيبوبتها وهي تشعر بالراحة تنتابها بعد أن رأت جسد الآخر يسقط صريعا...

أما حسام الذي كان يراقب صدمة خصمه بعد تلقي تلك الرصاصة وشحوب وجهه قبل أن يتهاوى أمامه بملامح جامدة خالية من أي مشاعر قبل أن ينخفض بجسده ويقترب من مروان قبل أن يفارق الحياة وهو يسبح في دمائه ليسأله ببرود



- " أين كمال يا مروان؟ أين هو رئيسك القدر؟ "

تطلع إليه بعيون ميتة رغم الألم الذي حاول اخفائه ليرد عليه  
بضحكة مختلطة بسعاله وفمه يغرق بالدماء لتسيل على  
جانبه قبل أن يجيبه بغموض يحمل في طياته كل سموم حقه

- " لن تعثر عليه اطلاقا حتى لو أفنيت كل لحظة من عمرك  
الباقي في البحث عنه... "

ليسكت قليلا وقد اعترته نوبة ألم حادة قبل أن يتابع وهو  
ينظر بطرف عينه ناحية ليلي

- " لكن لما لا تسألها هي ربما أخبرتك يوما ما ولتجعلها  
تخبرك بالمرّة عن حقيقة ما حدث لوالديك... "

تطلع حسام إليها بشك والعديد من الأسئلة تتخر عقله فهو  
كان شبه متأكد أنها تعرف شيئا عنهم وأنها ستوصله لكمال  
لكنه فوجئ بمروان وحده والذي أكد له ما كان يفكر فيه بما  
تفوه به الآن، لكن ما علاقتها بما حدث لوالديه؟

عاد بنظره إليه عله يعرف المزيد منه لكن الآخر كان قد لفظ  
آخر أنفاسه بعد أن أشعل فتिला آخر للكره...

تحرك ناحيتها بعد أن استقام في وقفته ينوي معرفة الحقيقة كاملة ومنها هي مهما كان الثمن حتى وقف أمامها فهاله مظهرها ومدى التعذيب والعنف الذين تعرضت لهما والذين نالا من كامل جسدها...

انحنى إليها ويدها تحاوطان جسدها كي يحملها خارجا عندما فتحت عينيها بإرهاق هامسة

- " هل أنت بخير؟ "

للحظات كاد شيطان قسوته يتغلب على ضميره الإنساني قبل أن يخمد جذوته فهو ليس بتلك النذالة حتى يؤذيها أكثر خصوصا وهو ينظر إلى عينيها المطمئنة برويته سالما... هل كانت قلقة عليه لتلك الدرجة أم أنه مجرد امتنان لأنه أنقذها؟ أخيرا نحى كل شيء جانبا حتى يحين وقته وهو يسألها بجفاء

- " هل ستقدرين على السير وحدك أم سأضطر لحملك أيضا؟ "

أومات برأسها أنها ستمشي فأسندها لتقف لكنها ترنحت  
وكانت ستقع لولا أنه سارع بأمساكها مما جعلها قريبة جدا  
منه...

لحظات مرت وهما بذلك القرب، يتشاركان نفس الحيز يكاد  
كل واحد منهما يتنفس أنفاس المقابل له... لحظات مرت  
وهي تتأمل وجهه الصارم حاد التقاسيم، تقاوم الضياع في  
تلك الحدقات البنية الداكنة، تقاوم الاحتراق بذلك اللهب الذي  
يكاد ينبثق منها... لحظات مرت وهي تستند على ذلك الصدر  
القوي الدافئ رغم قسوته وقلبه ينبض بقوة تحت كفها...  
ليته فقط كان مكانها بين تلك الجنبات لما كانت تركته أبدا...

لم تكن الوحيدة التي تأثرت بذلك الموقف، فتلك الخيوط  
السحرية الخفية كانت تقوده هو الآخر حتى يغرق في عينيها  
كما حدث من قبل، لكنه لم يكن نفس الشخص الذي كان عليه  
قبل سنوات وما كان يسمح لنفسه بالرضوخ لذلك  
الانجذاب....

أخرجها من تلك النشوة المطعمة بالألم وهو يبعتها عنه  
بحزم قد يكون موجهها له أكثر منها قبل أن يأمرها بجفاء  
- " هيا سأساعدك حتى نصل إلى السيارة.. "

تمسكت به سائرة إلى جانبه ببطء نحو الخارج ليمرأ جنب  
جثة مروان... نظرة ألقها عليه كأنها تمزق ورقة أخرى من  
كتاب الماضي الذي تبدو كل صفحاته مخطوطة بالدم قبل أن  
يتجاوزاه ليجدا باقي رجاله تحت سيطرة مرافقي حسام الذي  
لم تكن تدري ما الذي يدور في خلداه وقتها على الإطلاق...

\*\*\*\*\*

كانت تجلس إلى جانبه في السيارة والصمت يرافقهما، تنظر  
إلى الطريق من نافذتها قبل أن تشعر بالاختناق وكل أضلعها  
تئن وجعا وتطبق على رئتيها فقامت بفتحها قليلا عنها  
تحصل على هواء كاف..

أغمضت عينيها وهي تشعر بذراته تلسعها ببرودتها وتزيد  
من حدة ألمها لكنها لم تكن لتبالي، المهم أنها بخير وهو  
كذلك...

تطلعت إلى نصف وجهه المقابل لها وهو لا يزال على نفس  
جموده منذ أن انطلقا من ذلك المكان قبل أن تهمس بتردد  
- "شكرا لك على انقاذي وللمرة الثانية على التوالي... لو  
تأخرت قليلا لا أدري ما كان سيحصل لي.."

قبض على المقود بيديه الاثنتين بقوة وعيناه لا تحيدان عن الطريق، لا يريد رؤية ملامحها ولا سماع صوتها فهو كان يمارس أقصى درجات السيطرة على النفس والتي فشل فيها بجدارة ما إن تفوهت بأول حرف، ليجيبها بعد لحظات من تجاهلها

- " لو كنت أجبت عن سؤالي يومها ما كنا اضطررنا لخوض هذه المشاكل... أنت من أخفيت هوية من كان يلاحقك... "

تلكأت في الإجابة فهي لا تدري كيف تشرح علاقتها بمروان أو سبب تكبده لكل تلك الخسائر ليصل إليها، فهي كانت بالأساس تتلاعب به ولا تملك شيئاً ضده وما كانت تنشره هو ما استخرجته من بطاقة الذاكرة ولا تملك غيره، ولو شرحت ذلك له لن يصدقها لكنها لا تملك غير ذلك الحل...

استجمعت شجاعته في الأخير وهي تجيبه بالحقيقة

- " مروان كان يعتقد أنني أملك معلومات ضده قد ترميه وراء الشمس أو بالأحرى أنا من دفعه ليعتقد ذلك لكني... "

- " كاذبة.. "

تطلعت إليه بصدمة أجمتها وهي تسمع اتهامه الصريح لها  
وبتلك النبوة الواثقة، لكنه تابع كلامه دون أن يلتفت إليها من  
الأساس وبنبرة أكثر حدة

- " يمكنك اختراع كذبة أفضل، لا أصدق للحظة أنك  
ستجازفين بحياتك مرتين في مقامرة ضد مروان من أجل  
تحقيق سبق صحفي، لن تخذعيني بادعاء التفاني لعمك  
ونشر الحقيقة وغيرها من الخطابات... هناك جوانب أخرى  
للقصة تحاولين اخفاءها، لقد كنت أشك من البداية بأن هناك  
علاقة تجمعك به والآن صرت متأكدا..."

لم تخرج من صدمتها وهي تستمع لتصريحاته المتتالية دون  
أن تتفوه بكلمة واحدة قبل أن ينعقد حاجباها بشك وهي  
تراجع كل الأحداث في رأسها ليطرق سؤال ملح عقلها

- " كيف عرفت مكاني بل وقبل ذلك كيف عثر عليّ رجاله؟ "

تجاهل سؤاها ببساطة وواصل القيادة لئسمعها تهتف بجنون  
وصدمة ويدها تتحركان بعشوائية وقد ربطت كل الحقائق  
معا

- " يا إلهي.. يا إلهي... لا يمكن أن تكون قد فعلتها.. "

تطلعت إليه تنتظر منه أن ينفي استنتاجها، أن يكذب ما جنح إليه تفكيرها المضطرب، لكنه بلا مبالاة وبرودة جبل جليدي رد عليها

- " أنت من كنت تكذبين من البداية ولا زلت إلى الآن، لذا اعفيني أرجوك من مشاهدة عرض الضحية المسكينة..."

زفرت نفسا حارا وهي تهز رأسها بلا تصديق من هول ما تسمع قبل أن تفقد السيطرة على نفسها وينفك جنونها من عقاله فصرخت فيه بثورة ويذاها تلكمانه غير مبالية بالألم مع كل حركة عنيفة تقوم بها خاصة وأن حزام الأمان يقيدها

- " أيها الحقيير.. أنا لم أكذب.. لقد استغلّيتني.. كيف استطعت؟ .. كيف استطعت.."

بترت سيل كلماتها وهي تضع يدها على فمها وقد داهمها غثيان فظيع تمنع نفسها من الاستفراغ، لتهمس بعدها بصعوبة

- " أوقف السيارة..."

لم يتجاوب مع ثورتها السابقة ولا مع أمرها الأخير له وتابع القيادة إلى وجهته لتتهتف فيه بأعلى صوتها وعيناها

تشتعلان بتهديد واضح تلقاه عندما رأى يدها على مقبض

الباب

- " أوقف السيارة حالا أو أقسم بالله سأنزل منها وهي تسير  
بهذه السرعة وتحمل النتائج بعدها.. "

عندما أيقن جدية وعيدها ورؤيته لشحوب ملامحها أكثر من  
السابق وذلك العرق الذي تجمع على جبينها أدرك فعلا أنها  
ليست في حالة طبيعية على الإطلاق... ضغط المكابح فجأة  
لتتوقف السيارة بعنف وعجلاتها تصدر صريرا مرتفعا وهي  
تحتك بالإسفلت تحتها..

ترجلت بسرعة واندفعت إلى ذلك السياج الحديدي على جانب  
الطريق تتكئ عليه وهي تستفرغ ما في جوفها رغم قلته،  
لكن الأهم أن ما كانت تخرجه هو مرارتها وشعورها بالدونية  
وأكثر من ذلك احساسها بالغدر من ناحيته فهي لم تتوقع فعلا  
خسيسا كالذي فعله وخصوصا من شخص مثله..

من جهته هو لم تكن حاله أحسن وهو يشعر بالحنق من  
نفسه وربما بالخجل من تصرفاته الأخيرة لكنه في كل مرة  
يطمر ذلك الشعور مبررا لنفسه بالدوافع التي يكررها دائما..



تطلع إليها للحظات وهي في تلك الحالة الهشة المتعبة قبل أن يعود لرشده وينزل خلفها يحمل زجاجة ماء، وما إن وقف محاذاتها حتى مد يده لها بها وهو يسألها بقلق حقيقي - " هل أنت بخير؟ "

رمقته بطرف عينها بنظرة حادة تحمل الكثير من الغضب والنفور تخفي بهما خيبتها وصدمتها من فعلته قبل أن تحرك يدها بتعب وتدفع تلك القارورة بعيدا لتنزلق من يده وتسقط على ذلك المنحدر خلف السياج والذي تغطيه الصخور والأحراش..

تحركت مبتعدة عنه وعن السيارة وهي تتجاهل وجوده، ويدها تضغط على جانبها عليها تخفف الألم الذي صار لا يحتمل باستفراغها...

زفر بضيق وهو يرى نيتها في اكمال الطريق مشيا على الأقدام وهي بالكاد تستطيع الوقوف على قدميها على العودة معه...

كان ينوي اللحاق بها واعادتها إلى السيارة ولو بالقوة عندما رآها تتهاوى أرضا فاقدة للوعي... لم يفكر وهو يندفع ركضا نحوها ليرتمي جاثيا أمامها يحاول افاقتها لكنها لم تستجب

نهائيا فحملها بين ذراعيه وهو يستقيم واقفا ليسير بها إلى السيارة ونظره لا يفارق ملامحها المستكينة رغم تشوهاها جراء كل ما لاقته من أذى... لا يدري لما أحس بشيء يؤرق ضميره وهي بين يديه ويوقد مشاعر غريبة لا يفهمها...

## الفصل الحادي عشر

أخيرا ستتعم بقسط من الراحة... تلك الفكرة وحدها كانت مغرية لها لدرجة تجعل النوم يداعب جفنيها وهي لا تزال واقفة تجفف شعرها بعد حمام دافئ كانت بحاجة ماسة له بعد مناوبة ليلية طويلة مرهقة للأعصاب أكثر منها للجسد....

وبين الفينة والأخرى كانت تخطف نظرة إلى السرير المزدوج المقابل لها في المرآة والمرتب كما تركته عندما خرجت بالأمس، ليقفز السؤال إلى رأسها؛ أين قضى ليلته، في مكتبه كما يفعل في الآونة الأخيرة أم أنه لم يمضها في البيت من الأساس؟ لكن بالطبع تفكيرها كائنثى وكزوجة علاقتها متوترة مع شريكها يرجح الاحتمال الثاني حتى لو كانت تعلم أنه غير صحيح...

قطبت جبينها وعقلها يرسم لها صورا عديدة للاحتمال الثاني، ليسحب ذلك السؤال الوحيد عدة تساؤلات أخرى وأجوبتها بالتأكيد ليست على قائمة ما تحبذ في تلك الأوقات الشائكة، فمنذ أيام وبروده معها يزداد ليتحول إلى صقيع قد لا يكون حتى بين الغرباء فكيف بالأحرى بين زوجين، حتى محاولاته المعتادة للتقرب منها والتي تصدها هي دوما بكل عنجهية لم تعد تلاحظها كأنه ينس من احراز أي تقدم في علاقتهما...

أبعدت نظرها عن السرير لتركز في ملامحها بعد أن أطفأت مجفف الشعر ووضعت على طاولة الزينة، تدقق في كل تفاصيل وجهها ومن كل الزوايا، حتى أنها أمسكت بضع خصلات من شعرها الأشقر تفحصها...

ما الذي حدث معه؟ هل خبا جمالها الذي كان يتغزل به سابقا؟ صحيح أنها أصبحت تهمل مظهرها وشحوبها صار واضحا لكل لكنها رغم ذلك لا تزال جميلة بل فاتنة حسب ما تسمعه من الجميع...

ليواجهها عقلها بإجابة تسخر من كل ما فكرت به... ومنذ متى كان رجلا سطحيا يلهث وراء الفتنة أو الجمال المبهر؟

ألم تعرفه لسنوات لتتأكد من أنه مختلف عن غيره؟ إذن لا بد أنه وصل لأقصى درجات صبره متحملاً برودها وصدها المستمر لكل محاولة لرأب الصدع بينهما، وهي من كانت تعتقد أن وجوده معها أمر مسلم به ومهما دفعته بعيدا سيظل متمسكا بها ضد كل الظروف، لكنه يظل في النهاية رجلا كرامته تأبى اهدار عشقه على من لا تبادله إياه...

لتعود للتمسك من جديد بواجهة القسوة والعدا بآنها محقة فيما تفعله بعد خداعه لها بتلك الخطة الدنيئة، لذلك لن تتراجع حتى لو خسرتة هو الآخر...

لكن هل ستتحمل خسارته وخروجه من حياتها؟ كيف سيكون طعم أيامها وهي خالية من نكهة عشقه الميؤوس منه، حنانه الأسر وحنضه الدافئ، لمساته الجريئة أحيانا، مزاحه الأخرق وحتى صمته القاتل؟ حقيقة لم تفكر فيها من قبل رغم تشبثها بمعاقبته وواقع لم تضعه على طاولة التشريح رغم أنه لا مفر منه وهو النتيجة الحتمية لرغبتها في ابعاده....

وقبل أن تبدأ في التعمق في تلك الدهاليز علا صوت جرس الباب، كانت ستتجاهله لتتغمس في جدال جديد بين أفكارها ومشاعرهما المتضاربة والتي تحسسها بالضياح، لكن من كان

يقف خلفه لم يكن لديه أي نية في السماح لها بذلك وهو  
يضغط باستمرار على ذلك الجرس...

لوهلة اعتقدت أنه هو وربما نسي مفتاحه في البيت عندما  
غادر باكرا لأجل عمل مستعجل... فعلا أرادت أن تنسى  
الاحتمال الذي كان يزعجها وتصدق هذا لتنتفض بسرعة  
نحو الباب بخطوات واسعة كأن رؤيته واقفا أمامها بلامحه  
الهائلة العطوفة المعتادة ستمنحها الجواب الشافي للأسئلة  
التي كانت تورقها منذ قليل حول خسارته... وربما تكون  
إجابة القدر التي ستريحها...

امتدت يدها للباب تفتحه وعيناها تشعان ببريق لم يكن  
يناسب تلك الوجوه الواجمة التي كانت تقف مقابلة لها ولا  
من أي زاوية نظر....

ظلت تتطلع إليهما بصدمة عدة لحظات كأنها نقلت إلى عالم  
مواز ليس مدخل شقتها على الاطلاق أو أن تلك الملامح  
المتجهمة مسحت من ذاكرتها كليا خصوصا وأنها تختلف  
عمن كانت تأمل في ظهوره أمامها...

أخرجها من ضياعها صوت أحد الواقفين وهو يسألها بنفاذ  
صبر

- " هل ستبتعدين عن طريقنا كي ندخل أم ستقضين اليوم بطوله تطالعينا هكذا؟ "

رمشت بجفنيها عدة مرات تسمح لعقلها باستعادة التحكم في الوضع وهو يستوعب الموقف المخجل الذي وضعت فيه وهي تقف بملابس نومها الحريرية ولحسن الحظ لم تكن مكشوفة نهائيا، أمام صديق زوجها الذي لم يكن يبالي بما ترتديه من الأساس وهو في تلك الحالة السيئة ولا أسوء منها سوى وضع من كانت ترافقه وتقف متكئة على الجدار.. تتحنحت بإحراج وهي تضم جانبي الروب الطويل قبل أن تفتح الباب أكثر وهي تمد يدها في إشارة منها ليدخلا...

عاد حسام للخلف كي يسند ليلي التي كانت بالكاد تستطيع الوقوف على قدميها فكيف بالأخرى التحرك لكن ما أن رأت يده تمتد لها التصقت أكثر بالجدار فزفر بضيق واقترب منها حتى أمسك ذراعها رغما عنها وهو ينظر لها بتحدي أن تواجهه وهي في تلك الحالة المزرية لكنها لم تكن لتسمح له بامتهان كرامتها أكثر والتظاهر بالاهتمام الذي تعلم علم اليقين مدى زيفه بعدما فعله بها...

ورغم وهنها إلا أنها استلت يدها منه بعنف أيقظ كل أوجاعها التي بالكاد استطاعت المسكنات التخفيف منها لكنها ضغطت على نفسها كي لا تضعف أمامه وتحركت بمفردها إلى الداخل تكابد ألمها تاركة إياه خلفها يقبض على يديه بشدة قادرة على تحطيم عظامها لو أمسك بها....

كل ذلك المشهد كان تحت نظر ريمة التي هالتها الحالة التي كانت فيها ليلى كمن دهسته شاحنة بلامحها الشاحبة التي لا يخالفها سوى الكدمات التي أصبح لونها قاتما والجروح التي خطت آثارها على صفحة وجهها لتشوهه بقسوة أما حسام فقد كان ينذر بثورة عاتية كبركان يتأجج ولم يجد بؤرة غير شقتها التي في الأساس الأجواء فيها على كفة عفريت... تحركت من مكانها فورا وهي ترى تعثر ليلى لتسندها حتى أوصلتها الأريكة وأجلستها عليها ببطء قبل أن ترفع رأسها باتجاه حسام وهي تسأله بقلق

- " ما الذي حدث معكما تبدو ان كمن خرج من معركة طاحنة؟

"

تجاهل الإجابة على سؤاها ليقول لها بتقرير كأنه صاحب البيت ولا يحتاج لطلب الإذن لأن كل ما يخرج من فمه يطبق دون نقاش

- " ستبقى هنا حتى أرى ما سأفعل بشأنها، اهتمي بها لو سمحت "

نظرت بطرف عيناها إلى الجالسة بصمت سارحة في ملكوت آخر غير مبالية بما يدور حولها أو هذا ما كانت تعتقده ثم عادت بنظرها إليه لتراه يحرق هو الآخر فيها كأنه يحاول السيطرة على أعصابه ضمن الحدود المعقولة ليعتريها الشك حول ما حدث فهي تعرف مدى عنف من يقف قبالتها عندما يتحرر فسألته بتوجس

- " ما الذي فعلته بها يا حسام... قل.. "

- " لا شيء يعنك فلا تتدخل.. "

هكذا ببساطة قطع عليها كل السبل نحو أي سؤال آخر... لكن مظهر ليلي لم يكن يسمح لها بالصمت عن أي ظلم تعرضت له فهتفت فيه بغیض وهي تمسك ذراعه بقوة مديرة إياه جهتها



- " كيف لا يعينني وأنت في كل مرة تجرني لمصائبك... انطق ولا تثر غضبي أكثر... هل انحدرت لدرجة تعنيف امرأة سعيًا وراء انتقام أهوج؟ هل هذا ما وصلت إليه؟ أجبني... "

جذب ذراعه من قبضتها قبل أن يجيبها بقسوة

- " لم أضع إصبعًا عليها لكن بسببها قد أتدنى لأكثر من هذا فلتحكم عقلها لمصلحتها هي قبل الجميع... "

تحرك بعدها جهة الباب ينوي الخروج كما دخل عاصفة هوجاء، ليسترعي انتباهه ويوقفه دون أن يلتفت للخلف صوت ضحكاتهما التي أخذت تعلو وتعلو تدريجيا حتى صارت مجلجلة واختلطت بتصفيقها الذي رافقها... استدار يتطلع لصاحبة ذلك المشهد بتوجس لم يختلف كثيرا عن حال ريمة التي طغى عليه الخوف أكثر... خوف من انهيار التي لا تزال جالسة مكانها رغم نظراتها الغريبة تحاول حبس دموعها ولا تدري هل سببها ذلك الضحك المجنون أم ما حدث سابقا ولا تدري كنهه..

نهضت ليلي مستندة على ذراع الأريكة وتحركت بوهن تجاه حسام المتسمر مكانه ينظر إليها بقسوة قبل أن تهتف بمرارة ساخرة ما أن وقفت أمامه

- " طبعاً لم تفعل لي شيئاً يا صاحب المثل العليا... كيف تفعل وأنت لا تسعى سوى لتحقيق العدالة ولا تطبق سوى القوانين أليس كذلك يا حضرة القائد المغوار؟ "

قالت جملتها الأخيرة وهي ترفع له التحية بطريقة هزلية أتبعها بابتسامة متهكمة قبل أن توجه أصبعها ناحية صدرها وهي تتابع بحدة ونبرة قاسية

- " فقط اتخذتني كطعم لتتأكد من شكوكك وهو أجسك المريضة مثلك... "

ورغم يقينها أنها ليست هو أجس ولا شكوك بل حقيقة إلا أنها أرادت أن تؤذيه لا أكثر لتردف دون أن ينطق أي واحد من الموجودين في تلك الغرفة

- " مبارك لك.. لقد حصلت على ما تريد وحققت مرادك... قتلت عدوك من تسبب في حالة زوجتك وانتصرت عليه... وسام آخر يضاف لك يا بطل... لذا حلفتك بالله دعني وشأني ... أخرجني من حساباتك فلا رغبة لي بأن أكون طرفاً في معادلة انتقاماتك القادمة ولا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى لأنك أصبحت تثير اشمئزازي... "

كلماتها لم تزد سوى النيران التي تتقد داخله خصوصا بعدما سمعه من مروان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لكن أي تصرف منه الآن قد يؤذيها أكثر مما هي فيه لذا حاول تجاهل ما رمته به وهو يجيبها مغادرا

- " اتقي شري يا ليلي لم تري بعد غضبي الحقيقي... "

وما ستفعل أكثر يا حسام؟ بقي أن تعلق حبل المشنقة وتنفذ الحكم الذي كنت أنت القاضي الوحيد فيه... ولأن انهيارها وصل أقصاه ولم تعد تتحكم في أي من تصرفاتها بعقلانية لحقت به وهي تهتف بجنون

- " لم يعد لديك شيء تهددني به ... لقد فعل مروان كل شيء ألا ترى وضعي؟ لذلك هنا تنتهي هذه المهزلة المقيتة... لا يهمني ما حدث لك ... لا أوجاعك ولا غضبك ولا أكثرث لأي موضوع له صلة بك.. نقطة نهاية السطر... "

زفر بنفاذ صبر وهو يلتفت لها بكامل جسده ممسكا لها من كتفها يهزها بعنف غير مبال نهائيا بتألمها ولا بهتاف ريمة أن يراعي حالتها وهو يزمجر فيها

- " لم ولن ينتهي الأمر إلا لما أعلن أنا ذلك... أعلم أنك لا زلت تخفين الكثير من الأسرار ولن أتوانى في استخراجها منك ولو بالغضب... "

صرخت فيه تفجر كل ما تكبته

- " أنت فعلا شخص مريض... لا مزيد من الأسرار مروان من وراء حادث زوجتك وأنت تعلم ذلك جيدا حتى لو أنكرته ولا علاقة لي به فلم أعرف عنه إلا منه عندما كنت في ذلك المستودع... هل تبحث عن مجرد شخص آخر تلتصق فيه مصائبك كي تبرر لهائك خلف الانتقام أم أن أنك أصبحت تستسيغ طعم الدماء كغيرك؟ "

ودون تردد واجهها بالسؤال الذي يلح عليه منذ أن غادرا المستودع... سؤال ترجع اجابته لسنوات بعيدة... كان قد يئس من معرفة شيء بخصوصه وهو من فقد كل خيط يربطه به حتى بعد التحاقه بالجيش والمكانة التي وصل إليها ... ماض طمر جيدا تحت أنقاض لا سبيل لرفعها وهي من تقف أمامه الآن تعرفه جيدا وعليها الإفصاح عنه

- " ماذا تعرفين عن موت والداي في ذلك الحادث قبل سنوات؟ هل لكمال علاقة؟ ما صلته بهما؟ "

انفجرت شفتاها ترسمان ابتسامة عمقها ينضح مرارة لكن  
في ظاهرها سخرية لاذعة قبل أن تطالعه بنظرة جوفاء  
مجيبة إياه بجمود

- " لا علم لي بما تتحدث عنه ولا يهمني من مات أو لم يموت  
... وليكن معلوما لديك بعدما فعلته بي حتى وإن كنت أعرف  
شيئا لا تحلم بأن أخبرك لأنك لا تستحق وأتمنى أن تتعفن  
وحدك في عذاب لا ينتهي أيها الحقير.. "

احتدت نظراته وهو يصر على أسنانه يكاد يطحنها جنبا مع  
كتفيها الذين لا يزالان يرزحان تحت ضغط يديه دون رحمة  
ليهدف فيها مهددا

- " ليليسسسسى... لا ترغميني على أذيتك "

تراجعت للخلف بعنف لكي تحرر نفسها منه وما إن نجحت  
حتى بدأت بضربه بقبضتيها على صدره دون توقف وهي  
تصرخ بهستيرية رامية بتهديده عرض الحائط

- " ما ذا ستفعل ها؟ أخبرني... هيا...ماذا ستفعل؟ "

رغم كل تلك الحرب الكلامية بين حسام وليلي ظلت ريمة  
على موقفها الصامت والحيادي تراقب الوضع فقط والذي

تحول تدريجيا لساحة حرب قد تكون مخلفاتها وخيمة  
والضحية الواضحة هي تلك المجنونة التي لا تزال تصرخ  
وتوجه لكماتها لذلك الجلمود الذي بدأ ينفذ صبره وقد يؤذيها  
فعلا...

تحركت لتقف حائلا بينهما وتلقت بعضا من ضربات ليلي  
العشوائية التي لم تكن تفرق أي جسد كانت توجه له لكماتها  
لتقول بنبرة متزنة ممسكة بيديها

- " يكفي إلى هذا الحد يا ليلي سترهقين نفسك وتؤذيها بهذه  
الطريقة... لنضع حدا لهذا النقاش العقيم حاليا فلا حالة أي  
منكما تسمح بالاستمرار "

لم يبد على أحد منهما الانصياع لما قالتة فزفرت بضيق وهي  
تسحب ليلي معها مجبرة إلى إحدى الغرف عندما علا صوت  
حسام قائلا

- " لم ينتهي كلامنا بعد و... "

وقبل أن ينهي كلامه التفتت له ريمة ترمقه بشراسة وقد  
طفح بها الكيل من تصرفاته

- "بلى انتهى... هيا غادر ولا تجبرني على طردك.. الفتاة بالكاد تستطيع الصمود لتدخلها جولة أخرى من جنونك" تركته مكانه واختفت معها خلف أحد أبواب الغرف غير مبالية بثورته التي دفع باب الشقة ثمنها وهو يغلقه بعد خروجه العاصف بقوة هزت جدرانها...

\*\*\*\*\*

بعد أن أوصلتها ريمة إلى الغرفة التي ستبقى فيها تركتها وحدها كي تحضر لها ملابس نظيفة فاتجهت إلى الحمام الذي أرتها إياه قبل خروجها تجر قدميها بوهن... ذلك الحقير حطم لها عدة أضلاع وتسبب في فتح جرحها الذي لم يشف بعد... عضت على شفتها التي بدت كدمتها واضحة في ذلك الوقت وهي تحس بوجع رهيب بسبب محاولتها لنزع السترة التي ترتديها والتي كانت لحسام أصلا فتنهدت بضيق من عجزها... أي وضع مزر هذا الذي وصلت إليه... لم تتمنى يوما أنها لم تعد من للبلد مثل ذلك الوقت... عادت للمحاولة من جديد وأناتها الخافتة ترافق كل حركة تبدر منها عندما فتحت ريمة الباب ودخلت واضعة المناشف والثياب جانبا قبل

أن تهب لمساعدتها التي رفضتها في البداية لكن مع إصرار الأخرى لم يكن أمامها حل غير الرضوخ لكلامها...

ما أن وقع نظرها على آثار الضرب المبرح على ذراعيها وكتفيها حتى شهقت بصدمة لم تستطع تداركها قبل أن تتمتم بغيض

- " كسر الله أيديهم... لقد تفنن الأندال في تشويه جسدك "

لامست أصابعها بلطف تلك الإصابات لكن حتى ذلك لم يكن ممكنا وهي ترى امتقاع وتغضن ملامح ليلي التي ابتعدت كرد فعل تلقائي عنها فأدركت أن درجة ألمها فاقت قدرتها على التحمل وهي من أصيبت سابقا برصاصة ولم تشتكي حتى بعد زوال المخدر ...

كانت ستساعدها في خلع بقية ملابسها لكنها أوقفتها قائلة بضعف امتزج بالإحراج

- " يكفي إلى هنا لو سمحت، سأتكفل بالأمر... شكرا لك لقد أتعبتك معي من جديد "

لم تكن ريمة تنوي التراجع عما تفعله بل قالت بإصرار مشيرة بيدها إلى جسمها



- " كيف يكفي هذا؟ ألا ترين جسدك المهشم؟ يجدر بي مساعدتك حتى على الاستحمام أيضا"

تطلعت إليها بحزن وهي تجيبها بنبرة كسيرة

- " لو سمحت يكفي ما أريق من كرامتي حتى الآن... دعيني على الأقل أحتفظ بالقليل الباقي"

عند الوصول للكرامة وعزة النفس لم تستطع مجادلتها أكثر، صحيح هي تجهل أحداث ما جرى معها هناك وكيف وصل بها الأمر لتلك الحالة لكنها تفهم مشاعر المرأة التي تتعرض للإهانة والواضح أنها نالت منها كفايتها حتى تعترف بما قالته منذ لحظات... هي في حد ذاتها لم تستطع مسامحة أحمد على كذبة واحدة قد تتغاضى عليها معظم نساء العالم كي لا يفقدن شخصا مثله يغدق عليهن بالحب لكن بالنسبة لها كلما زاد حجم ذلك الشعور كانت صدمة الحقيقة أشنع ورغم ذلك لا تستطيع إلا حبه حتى لو أنكرت أمامه....

تركها رغم قلقها عليها وهي تقول

- " عندما تنهين حمامك ارتاحي قليلا وستجدين مسكنا على الطاولة الجانبية... لكن إن تأخرت كثيرا في الداخل فسادخل سواء أعطيتني الإذن بذلك أو لا، ففي حالتك هذه لا أضمن

ألا يغمى عليك وأنت وحدك ولا داعي لتناقشيني في هذا لأنني  
لن أرضخ لك هذه المرة"

أومات بصمت وهي توليها ظهرها... ما أن تأكدت من  
خروج ريمة وهي تسمع صوت انغلاق باب الغرفة حتى  
اتجهت للمرأة المقابلة لها ووقفت أمامها شاردة للحظات قبل  
أن تخلع باقي ما كانت ترتديه... ظلت تتطلع إلى نفسها وهي  
على نفس شرودها... إلى كل تلك الكدمات بلونها الداكن  
والخدوش وحتى الجروح التي لم يسلم منها أي جزء منها  
قبل أن تزفر بإرهاق وتقف تحت سيل المياه الدافئة تفرك  
ذراعيها وجسدها بيديها تتخلص من الدماء المتخثرة على  
تلك الجروح والأوساخ العالقة معها وياليتها تجرف معها كل  
تلك اللمسات والأنفاس القذرة لمروان ورجاله... تلك الصور  
البشعة للتعنيف والضرب التي انقضت عليها ما أن أسدلت  
جفنيها مغمضة عينيها... ليتها تمحي كل ما مرت به ليس  
ليلة أمس فقط بل طوال سنوات حياتها كلها...

لقد استباحوا كل ذرة كرامة لديها... لقد كانت تتوقع ذلك من  
شخص قدر كمروان لكن من حسام فذلك لم يخطر على بالها  
أبدا... كيف رماها بتلك الطريقة دون حتى أن يفكر في  
مصيرها... هل هي بلا قيمة لتلك الدرجة... حتى لو من باب

الإنسانية كان فكر بما سيحل بها لو خابت حساباته ولم يصل لها في الوقت المناسب، لقد كان يهددها ذلك الوحش بأن يتركها لرجالها كي يمتعوا أنفسهم بها... هل كان سيضحى بها دون أن يرف له جفن؟ متى أصبح أنانيا هكذا؟ لطالما كان تحت مراقبتها حتى عندما كانت خارج البلد ولم تر منه إلا الحب والاحترام لكل من حوله رغم خسارته لوالديه في ذلك الحادث المأساوي... هل انقلب لقياس غير مبال بالغير في تلك الفترة البسيطة التي ركزت فيها على ما يجري في الملجأ وغفلت عنه ووقتها حدث ما حدث لزوجته والواضح جرح الماضي انفتح من جديد بسبب المأساة الحديثة وكل تراكمات مشاعر الغضب عادت للتأجج.... هل ستدفع ثمن الماضي الذي أجمت فيه وحتى الحاضر الذي لم تكن حتى تدري عنه يا ترى؟

حضنت جسدها الغارق تحت المياه بقوة متكئة على الجدار الزجاجي خلفها وهي تحس بارتعاش جسدها ليس بسبب البرودة طبعا بل بسبب تلك الشهقة المكتومة التي تحاول منعها من الخروج كي لا تعلن ضعفها لكن ذلك كان مستحيلا، فلم يعد لديها أي قوة للتجدد والتماسك فأطلقت سراحها أخيرا وهي تشهق بقوة ولم يعد لها بعد ذلك سلطان على دموعها

التي طال حبسها حتى صارت تحرق كالجمر عل إخراجها يريحها....

عندما استنزفت كل طاقتها في البكاء غادرت الحمام ملتفة في منشفة قطنية ضخمة تاركة شعرها على طوله دون حتى أن تجمعها أو تجففه، عينيها منتفخة حمرة، واتجهت للسريير واضطجعت عليه وهي في تلك الحالة المنهارة بعد أن تناولت أكثر من حبة مسكن ربما يخف معه وجع جسدها وأكثر منه وجع قلبها أو ربما هو مجرد هروب لعالم آخر....

\*\*\*\*\*

ما أن أنهى زيارته للمشفى ليطمئن على ندى التي انشغل عنها جراء ما حدث، وكالعادة أخذ منه الأمر عدة ساعات بين جلوس إلى جانبها وبين استفسارات موجهة منه للأطباء المسؤولين عن حالتها وكل مرة يحتدم النقاش عند وصولهم لنقطة أنها لن تتحسن ووضعها سيتردى أكثر حتى عاد للبيت ليتفرغ للموضوع الذي كان يشغله لدرجة أن لحظاته الثمينة مع زوجته والتي يستقطعها من الزمن غصبا عن كل شيء آخر ومهما كانت الظروف لم يستطع اليوم أن يعطيها حقها تماما، فما قاله مروان ظل ينخر داخل عقله

ويؤرقه ولا يعرف كيف يخرج من متاهته إلا إذا ركز معه بعيدا عن كل ما قد يلهيه، أضف إلى كل ذلك تلك الفتاة وما جلبته لحياته من فوضى من أول مرة وقع نظره عليها وهي مصابة لكن رغم ذلك، الإحساس بأنه المسؤول عما أصابها أقوى من أن يستطيع تجاهله، لكن لم يكن لديه حل وهي ترفض التعاون وهو لم يخطط لكل ما حدث وقتها ولم يتوقع تلك المعاملة الوحشية التي تعرضت لها، لقد كاد قلبه يقع عندما انهارت أمامه على الطريق ، حتى قتل ذلك الحقير لم يكن في حسبانته مؤقتا فهو أراد الحصول على كل ما يعرفه لكنه لم يزد إلا ضياعا وفتح أبواب جحيم الماضي.....

اندمج وسط الأوراق وكل ما جمعه حتى الآن من معلومات يراجع ويعيد ويربط كل الخيوط، هو يكاد يكون متأكدا أن كمال خارج اللعبة ومنذ زمن فالاستخبارات التي كانت تصله عن أعمال منظمته كانت بعيدة كل البعد عما اعتاد معرفته عنه، فالخسائر التي كانت تتعرض لها كبيرة بسبب أخطاء وهفوات لم يكن ليرتكبها شخص محنك مثله إضافة إلى انتشار ذلك الخبر بين منافسيه رغم صعوبة الحصول عليه، أي أن كل المصائب التي حدثت في الفترة الماضية رجله الأول هو السبب فيها، فلم يبق سوى احتمالين أنه قرر

التقاعد وترك الساحة وهذا شبه مستحيل مع رجل مثله أو أنه لم يعد موجودا من الأساس والدليل كلام الآخر عندما تبجح بكونه لن يعثر عليه حتى لو أفنى عمره بحثا عنه لكن السؤال هو كيف حدث ذلك؟ لو كان للحكومة علاقة كان عرف منذ زمن وهو من كان مكلفا بالقبض عليه، ولو كان منافسا له كان استولى على مكانته، فلم يبق غير عمل داخلي لم ينتشر حتى تظل هيبة المنظمة راسخة فاسمه كان يرعب الجميع فلو عرف خبر قتله لكانت اختفت من الوجود فالفاعل أراد ربح الوقت حتى يثبت قدميه في الامبراطورية ويرسخ اسمه....

حسنا لقد خطأ أول خطوة وتقريبا أخرج كمال من معادلة ما حدث لندي وما كان يحدث منذ اختفاء أثره إن كانت استنتاجاته صحيحة، فليعد إلى ليلى فبرغم ما فعله لم يعرف صلتها بمروان وبالتأكيد لم تكن على لائحة المفضلين لديه أو ما كان أذاها بتلك البشاعة، هل كانت فقط بسبب تحقيقاتها؟ إذن كيف تعرف بما حدث لوالديه كما أشار؟ قد تكون اكتشفت شيئا وهي تنبش خلفهما ويعود للتساؤل مجددا ما صلتها بكمال... فقط لو يعرف أي معلومة صغيرة....

تحرك من مكانه باتجاه المكتب الموجود في الغرفة وفتح أحد أدراجة ليأخذ منه ملفا معيناً وكان يخص كل ما توصل إليه بخصوص حادث والديه قبل 12 سنة، ذلك الحادث الذي حطمه إلى أشلاء وكاد يضيع كل مستقبله لولا لطف الله....

شرد في ذكريات تلك الليلة المشؤومة التي لم يسفر فجرها سوى عن المآسي والفقدان، كان هو من يقود السيارة ووالده في المقعد المجاور له، كان الجو سيئاً وقد هطل المطر بغزارة قبل أن يذهب لإحضارهما من ذلك العشاء الذي عزمنا إليه من أصدقاء للعائلة، طوال الطريق كان يشعر بإرهاق نتيجة سهره بسبب الامتحانات، لقد كان أحمد مهووساً بالدراسة وكان يجبره على المراجعة معه ولولاه ما كان أتعب نفسه من الأساس... لم ينتبه حتى لتلك الشاحنة التي ظهرت فجأة بجانب السيارة ومهما حاول الابتعاد عنها لم ينجح، وقتها لم يفهم ما الذي يحدث ولم يسعفه الوقت حتى للتصرف والسيارة تخرج عن مسارها بسرعة رهيبية ورغم محاولاته الحثيثة كي يتحكم فيها فشل لتسقط مباشرة عبر المنحدر وبعدها لم يعي شيئاً سوى أن والديه قد لقيا حتفهما وهو كاد يجن والجميع يردد أنه السبب وهو لم يستطع أن يدافع عن نفسه فكل ما يذكره هو شعوره بالتعب

والنعاس وقتها لدرجة أنه صدق الأمر وبدأ الذنب يتآكله  
ونأى بنفسه عن الكل حتى الجامعة تخرى عنها وعن حلمه  
بأن يكون محاميا...

أغض عينيه يزفر نفسا موجعا وكل ما أحسه وقتها يعود  
إليه كالطوفان الجارف الذي يدمر كل ما يعترض طريقه...  
الضياع والذنب والرغبة في الموت كل ذلك كان ينهش  
ضميره ويعذبه خصوصا أن القضية أغلقت مباشرة وأرجع  
الحادث لانزلاق السيارة بسبب عدم قدرة السائق على التحكم  
فيها نتيجة الحالة السيئة للطريق لكن أصابع الاتهام ظلت  
موجهة نحوه...

ترى ما الذي وجدته ليلى ولم يستطع هو الحصول عليه هذا  
ما كان يدور في عقله عندما قفزت صورتها لمخيلته وهي  
تقف في مواجهة مروان دون أن تهاب الموت لقد أنقذت  
حياته بمنحه تلك اللحظات كي يتخلص من الخناق حوله، فتاة  
متهورة فعلا وما كانت لتفعلها لو علمت أنه سبب ما كانت  
فيه... ابتسم بسخرية عند تلك النقطة ربما كانت هي من  
أطلقت النار عليه بدل أن تضحي بحياتها للمرة الثانية من  
أجله....



اختفت الابتسامة من محياه و عبارتها ترن في أذنيه " قتلها قبل عدة سنوات وسأكررها الآن، لن تمسه بسوء إلا إذا قتلتي أولاً، هيا وجه سلاحك نحوي أنا.. " ، هو متأكد أنه سمع نفس الكلام من قبل عندما كان في المستشفى بعد الحادث ولسنوات عديدة ظن أنه مجرد وهم لأنه كان تحت تأثير المسكنات ولم يستطع تبين صاحبة الصوت أو حتى ما حدث جيداً لكنه بالتأكيد يذكر عبارة " تمسه بسوء إلا إذا قتلتي أولاً" وبعدها ضجيج و ظلال أشخاص وتشابك بالأيدي قبل أن يختفي كل شيء عندما فتح عينيه لتؤكد له الممرضة أن لا أحد دخل هناك غير المتابعين لحالته... مستحيل أن تكون هي لأنه وقتها ستكون في الرابعة عشر فقط من عمرها حسب عمرها الحالي.. لكن بقع الدم التي وجدها على غطاء السرير هو يذكر ذلك جيداً خصوصاً أنه لم يكن هناك جروح قد تسبب ذلك النزيف على جسده....

ومئة لغز يدور حولها وهو يغرق تدريجياً وهي لن تساعد بالتأكيد لكنه يعلم جيداً من يستطيع....

## الفصل الثاني عشر

تجاوز الوقت موعد عودته للبيت بكثير، لكن القضية التي يعمل عليها معقدة جدا وخيوطها متشابكة لدرجة أنها أخذت من وقته عدة أشهر خصوصا بعد تضاعف عدد القضايا التي يتولاها بعد أن سافر شريكه في المكتب وترك كل قضاياها معلقة ورغم أن بديله هو محامية كفوة إلا أنها تظل مبتدئة وغير معتادة على كل ذلك الضغط لذلك يرافقها في كل خطوة ولا يستطيع التفرغ فقط لتلك القضية، لكنه لا يستطيع الانسحاب منها رغم المخاطرة التي يرمي نفسه فيها، لقد التزم مع موكله الذي وثق فيه عندما خذله أشهر المحامين وأكبرهم وهو لم يتعود على الاستسلام عند العقبات أو كان قد خرج من حياة ريمة منذ زمن وهي تبني بينهما جدارا بعد الآخر... ابتسم بسخرية وعقله يجنح عن مساره باتجاه شباك حبيبته العنيدة....

تنهد بارهاق وهو يخلع نظارته الطبية التي يستعملها وقت العمل فقط، عيناه مرهقتان من شدة تركيزه على تلك الأوراق المترامية على مكتبه من جهة وعلى شاشة الحاسوب من جهة أخرى....

تراجع بكرسيه للخلف ليقوم من على مكتبه وتحرك باتجاه النافذة الزجاجية التي تحتل كل الجدار تقريبا والمطلّة على

وسط المدينة يتطلع إلى أضوائها المغرية من علو حيث يقع مكتبه في الطابق الأخير، تجاهد كي تبعد عنها ظلام الليل لكنه في النهاية يشدد الخناق حولها...

امتدت يده خلف عنقه يمسه لربما خف التشنج قليلا حتى يعود لعمله بما أنه قرر عدم العودة للبيت قبل أن يشرد في المنظر أمامه وصورتها تكتسح مخيلته وترتسم أمامه... ليتهما فقط تقدر ما فعله من أجلها في الماضي وتتفهم دوافعه، لكنه أيضا يتحمل جزء من المسؤولية، ما كان عليه الصمت وكان يتوجب عليه ارغامها على الاستماع إليه حتى لو صمت أذنيها بل وكل حواسها لكن قلبها أكيد كان سيستوعب... هو متأكد أنه وصل لقلبها وامتلكه، لقد لامس حبها في كل اختلاجة من اختلاجاتها لكن ما حدث بعد ذلك خرب كل ما سعى لأجله، هو من خاطر واعترف بما فعله لأنه لم يكن ليرضى بحب بني على تشويه علاقة كانت تربطها بآخر، كان عليه أن يكون صادقا معها، حبه أكبر من أن يبني على الركام أو على أسس من الخداع حتى لو كان ما فعله لمصلحتها، لكنه في النهاية يبقى بشرا أيضا وكان تسأوله في كل مرة إن كانت ستغرم به أم كانت ستتمسك بالآخر حتى

لو دفعت حياتها ثمنا لذلك أحد الأسباب ليخبرها بكذبتة رغم أنه أخفى نصف الحقيقة....

لكن لو عاد به الزمن لكان كرر ما سبق وأقدم عليه ولربما أكثر منه على أن تخسر حياتها، كان ليحاربها هي شخصيا المهم أن تكون على قيد الحياة أمام ناظريه، رغم أنه يراها الآن آلة تتحرك دون مشاعر، لكنه متأكد أنها موجودة في أعماقها، لو تمنحه فقط فرصة جديدة ليبعد ذلك الرماد من عليها كي تعود تلك الشعلة المندفعة التي أوقعته في غرامها من أول لقاء.....

وعلى ذكر الشعلة المندفعة انفتح باب المكتب بقوة تبعها وقوف حسام أمامه بلامح مكفهرة لا تفسر ولم يكن في مزاج حتى ليحاول ذلك فما يعيشه يكفي العالم بأسره من البؤس...

لم يلتفت له بل بقي موليا إياه ظهره يتطلع فقط لانعكاس صورته على زجاج النافذة لتزيد من قتامة ملامحه، ولم يبدر عن الآخر أي كلمة سوى أنه تحرك من مكانه بهدوء عكس دخوله ليرتمي بإرهاق على الكرسي المقابل للمكتب وهو يتنهد بتعب ولم يتفوه بشيء غير ما لتمر اللحظات بطيئة

ساكنة كل واحد منهما في عالمه الخاص قبل أن يكسر أحمد ذلك السكون وهو يستدير له مكتفا ذراعيه أمام صدره يسأله بنبرة متهكمة

- " ما الذي رماك عندي في هذه الساعة المتأخرة يا صاحبي، ولا تقل أثقلت عليك الهموم فلدي كفايتي منها وحاليا لا أفرق عنك كثيرا سوى أن زوجتك تتنفس بالأجهزة وزوجتي طبيعيا... "

لم يجبه وهذا عكس طبيعته تماما لو سمعه لكان حطم صف أسنانه الأمامي... تطلع إليه بتوجس قبل أن يجلس أمامه ويسأله بجدية

- " ماذا هناك يا حسام؟ هل أنت بخير؟ وما كل هذه الإصابات؟ "

- " لقد قتلت مروان "

ثلاث كلمات وقعت كالصاعقة على المقابل له الذي وقف على طوله مصدوما وهو يردد

- " قتلت مروان؟؟ حسام هل تعي ما تتفوه به كيف حدث ذلك؟ بالأمس فقط كنا نتحدث ولم تخبرني بشيء، بالله عليك

هل جننت كيف تتصرف وحدك بتهور هكذا؟ وأساسا كيف تقتله هكذا من غير مقدمات؟ "

بعد لحظات من الصمت وهو يخفض رأسه أرضا بدأ بسرد كل ما حدث بدء بخطته حتى إنقاذه لليلي والآخر تعبيراته تتغير من الصدمة للسخط وعودة لعدم التصديق وهو جالس ينصت إليه بتركيز...

عندما أيقن أنه أفرغ ما في جعبته زفر بضيق قبل أن يفرك وجهه بيديه وهو لا يدري كيف يرد عليه لأن ما سيقوله لن يعجبه فقد حذره سابقا من عواقب جنونه لكن لا مفر من سماع الحقيقة

- "هل أنت فعلا حسام؟ صديقي الذي أعرفه منذ الطفولة وتربينا معا... هل أنت نفس الشخص الذي كنت أعتقد أنني أعرفه أكثر من نفسي؟ كيف طاوعك قلبك أو بالأحرى كيف استطاع ضميرك الصمت على فعل مخز كالذي أجرمته في حق الفتاة؟ ألم أحذرك بأن لا تدخلها في دوامات انتقامك؟ ألم تفكر في مصيرها كيف كنت ستعيش مع نفسك لو أصابها مكروه؟ "

رفع رأسه وهو يستمع لسيل التائب الذي يدرك مدى حقيقته  
وأصابه تتخلل شعره يكاد يقتلعه من جذوره وهو يقبض  
عليه ليجيبه بنبرة تقطر عذابا

- " أنا أدرك ذلك يا أحمد، قسما بالله أدرك ذلك، صورتها  
وهي في تلك الحالة لا تنفك تعذبني وبعدها صوتها وهي  
تلومني يتردد على مسامعي ولا يتركني، لكني كنت مضطرا  
وقد أوصدت كل الأبواب في وجهي حتى أنت أخفيت عني ما  
تعرفه عنها لو أنك قلت لي كل شيء عندما وكلتك بالبحث في  
ماضيها لكنت وجدت طريقة أو لا أدري... أي شيء... أنا  
ضائع يا أحمد يبدو أن مروان وراء ما حدث لندي وليلى رغم  
علاقتها به لم تكن تعلم عن أي من ذلك واتضح أنها تعرف  
شيئا عما حدث لوالدي.... "

تحرك في المكتب بعشوائية يفكر بما سيخبره، هو صحيح  
أخفى عليه بعض الأمور لكنه متأكد لو أطلعها أنها تعرفه لكان  
تهور وقتها لكنه تصرف بغباء أكبر...

قطع تفكيره نبرة الرجاء في صوت حسام وهو يسأله

- " أحمد أرجوك أخبرني ما تعرفه.... "

عاد للجلوس أمامه وهو يفرك يديه بتوتر قبل أن يتطلع إليه وهو يجيبه

- " حسنا رغم أن ما أعرفه لن يفيد قضيتك في شيء، لقد التقيتها سابقا لذلك ما أن أعطيتني صورتها للبحث عن معلومات عنها تذكرتها، أول لقاء لي معها كان في بريطانيا قبل ثلاث سنوات كانت تعمل هناك على قضية مع أمين أحد أصدقائي، لقد كان يعمل على تحقيق صحفي يخص كمال ومنظمتة وهي كانت صلة الوصل على حد علمي هذا ما قاله لي وقتها ولم يتفوه بغيره وأنا لم أسأله لكن علاقتهما كانت وطيدة وكان يثق بها جدا، أتذكر أني سألته هل ما تعرفه مهم لدرجة يلحقها إلى هناك بدل أن تعود هي للوطن وقتها أخبرني أنها ممنوعة من العودة وهذا منفاها، لم أفهم شيئا لكنني أغلقت الموضوع... ظلا على تواصل يجمعان الأدلة إلى أن دخل أمين السجن وبعدها قتل بتلك الطريقة البشعة، لم يعرف أحد سبب موته ولا حتى أنا رغم أني كنت محاميه إلى أن ظهرت في جنازته لتحذرنني من أن التحقيق الذي يعملان عليه هو السبب وهي متأكدة، بعدها اختفت من جديد ولم أعرف حتى أنها هنا إلا لما أتيتني أنت هذا فقط ما أعرفه عنها..."



تطلع إليه بشك قبل أن يسأله مؤكدا

- " هل هذا كل شيء فعلا؟ "

- " أجل... والآن ماذا تنوي أن تفعل بخصوصها؟ لا أظنها

ستتعاون معك حتى لو قتلتها هذه المرة "

رفع كتفيه في إشارة منه لجهله أيضا للخطوة التالية قبل أن

يجيبه

- " فعليا لا أدري هي الخيط الوحيد لدي، لقد تركتها في

الوقت الحالي في بيتك مع ريمة وبعدها.... "

وقبل أن يكمل كلامه انتفض أحمد من مكانه وقد تغيرت

ملامحه فجأة وهو يسأله بقلق

- " تركتها في بيتي؟ مع ريمة؟ يا إلهي... يا إلهي... تبا لهذا

الموضوع ألم تسمعي منذ قليل أقول إنها كانت صديقة

أمين... أمين يا معتوه... ألم تفكر في اخباري بموضوع

بقائها عندنا إلا الآن "

كان يشتم ويلعن وهو يبحث عن هاتفه بين الأوراق والآخر

لا يفهم ما يحدث وما أن حاول الاتصال بريمة كان هاتفها

مغلقا فضرب سطح المكتب بقبضته بقوة وتلك أول مرة يرى

فيها صديقه ثائرا بتلك الهمجية، لما تجلب تلك الفتاة  
المصائب أينما تحل....

وماهي إلا لحظات حتى رآه يستل سترته من مكانها ويخرج  
بسرعة من المكان غير آبه لمن تركه خلفه يناديه.....

\*\*\*\*\*

ما أن انفتح باب المصعد المخصص لموقف السيارات حتى  
ركض نحو سيارته لينطلق بها بأقصى سرعة مخلفا صوتا  
قويا لاحتكاك العجلات ولحسن الحظ لم تكن هناك زحمة سير  
بما أن الوقت متأخر من الليل... طوال المسار كان عقله  
يخلق عشرات السيناريوهات لردة فعلها، فليلي تدرك بعض  
الحقائق على الأقل وإذا ما تفوهت بكلمة واحدة تخص أمين  
لن تتركها ريمة حتى تعرف كل شيء على الأقل من جهتها  
هي... ذلك المتهور وضع النار قرب الزيت فريمة ستتخيل  
الأسوأ رغم أن اعترافه السابق كان صادقا...

ما أن وصل الشقة الخاصة بهما فتح الباب بسرعة وهو  
يتوقع عاصفة بانتظاره وكان يجهز نفسه لكل تبرير ممكن أو  
حتى لكل توسل يعرفه المهم أن يشرح لها وجهة نظره لكن  
ما صدمه هو الهدوء المخيم على المكان الغارق في الظلام...

وأول ما خطر على باله طبعاً هو أنها وجدت حجتها أخيراً كي تتركه وترحل فاندفع يركض إلى غرفتهما بعدما أسقط المفاتيح والسترة التي كان يحملها في يده فمراثون الركض الذي خاضه جعله يتخلص منها قبل أن يصل وجهته..

تردد قليلاً وهو يمسك مقبض باب غرفتهما بقوة يشجع نفسه كي يواجه ما ينتظره قبل أن يتحامل على خوفه ويواربه قليلاً ليقابله ذلك الضوء الشحيح الشاحب كحياته الزوجية والذي بالكاد ينير مساحة صغيرة ينبعث من المصباح الجانبي للسرير...

تقدم بهدوء بعد أن تنفس الصعداء وهو يحمد الله أن لا شيء مما توقعه حدث ليقف عند رأس النائمة على ذلك السرير دون أن يصدر أي صوت...

شرد للحظات في ملامحها المتشنجة وأصابها التي تقبض على حافة الحاف بقوة... من الواضح أنها لا تزال مستيقظة لكنها كعادتها تستمر في تلك اللعبة ككل مرة، تتظاهر بأنها نائمة حتى تفاداه وفي كل مرة يتظاهر هو بأنه يصدق تمثيلها المفضوح فقط كي لا يضغط عليها ولا يجرها خارج منطقة راحتها والمشكلة أنها تتكرر لو عاملها ببرود في اليوم التالي

كأن التجاهل حق حصري لها وحدها، وهكذا تستمر حياتهما...

ابتسم بسخرية عند تلك النقطة وهو يتراجع متجها إلى الحمام يفتح أزرار قميصه بغضب.. أي حياة؟ وهل هناك حياة في بعدها؟ وحتى في قربها الحياة والموت سواء...

وفي منتصف المسافة توقف وهو يزفر بضيق وقد سئم من كل ذلك وكأن كل ذلك الخوف من فقدانها تحول لحق من تكرار نفس المشهد المهين له... يحتاج أن يفرغ ما يكتبه في صدره حتى لا يجرحها لكنه ينحره هو.. عليه أن يتفوه بشيء يبرد النار التي تتأجج داخله وتحرق كبريائه وصبره الذي وصل أقصاه...

- "ارتاحي ولا داعي لكل هذه الدراما... لن أقربك ولو ارتميت في حضني يا ريمة"

رمى بكلماته وواصل طريقه دون أن ينتظر ردها الذي يعلم جيدا أن لن يحصل عليه، لكنه لم يرى ما فعلته كلماته والجرح الذي خلفته على التي أغضت عينها وانكشمت على نفسها تحضن اللحاف عله يخفف برودة الغرفة التي تحولت لسجن موحش أو ربما فقط قلبها الذي يحس بالضياح

والوحدة وهو يخسر توأمه الذي تعود أن ينبض له ومن  
أجله...

\*\*\*\*\*

قد تكون المسكنات التي أخذتها أخرست أوجاع جسدها خلال  
تلك الليلة الطويلة لكن سحرها بالتأكد اختفى، فما أن فتحت  
عينها حتى عادت جروح قلبها للنزيف من جديد فلا سحر  
على وجه الأرض قد يشفي تلك الجروح بين ليلة وضحاها،  
لكن الحياة تستمر ولا تتوقف من أجل أي كان حتى يسترد  
عافيته بل عليه أن يسير مع التيار ويداوي نفسه خلال ذلك  
او سيتعذب كثيرا، وهكذا عليها أن تتصرف، وأول شيء  
عليها فعله هو مغادرة ذلك البيت فلن تقع في نفس الفخ  
مرتين...

نزلت من السرير ببطء وأخذت الملابس التي وجدتتها على  
حافته فلا بد أن ريمة هي من تركتها هناك بالأمس...  
ما أن أنهت ارتداءها حتى خرجت من الغرفة بهدوء تتطلع  
حولها وكل نيتها الهرب من هناك وبلا رجعة فهي صارت  
تتوقع كل شيء فأشباح الماضي كلها تكاتفت كي تؤذيها ...

عندما وصلت غرفة المعيشة أخذت تتفقد الوضع فكل الغرف تفتح تلك الغرفة التي تتوسط البيت فهي لا تريد أن يلمحها أحد ولا أن تخضع لاستجواب على يدي تلك الطيبة فهذه المرة لن تعتقها، حتى وقع نظرها على هاتف أرضي بدا لها وقتها كنجدة من السماء فتضرعت أن يكون موصولا فقط، لا تريد شيئا آخر...

لم تفكر كثيرا وهي تتقدم نحوه وما أن رفعت السماعه ممسكة إياها بقوة كأنها ستخذلها هي الأخرى لو أرخت قبضتها حولها حتى حمدت الله أن به حرارة وليس متوقفا فهو فرصتها لإجراء ذلك الاتصال المهم... ضغطت الأرقام بسرعة وانتظرت للحظات تتلفت حولها كأنها لصة حتى سمعت الإجابة في الجهة المقابلة فردت بسرعة

- " هذه أنا سيدي، ليلى "

بعدها كانت اجاباتها مقتضبة ردا على أسئلة مخاطبها

- " أجل أنا بخير... أحتاج مساعدتك في الخروج من مدينة (.....) ... لا، لا ترسل أحدا، لا أثق في غيرك حاليا... سأنتظر حتى تصل... شكرا لك "

ما أن أعادت السماعة إلى مكانها حتى استرعى انتباهها إطار صور كان موضوعا بجانب الهاتف على الطاولة، لم تكن الصورة التي يحملها ظاهرة بل جهته الخلفية فقط....

قد يكون الفضول هو ما دفعها لرفعه أو أنه القدر فقط لتتسع عيناها بصدمة وهي تنظر الى الثنائي الموجود في الصورة....

كان عليها أن تعرف أن الحياة لن تكفي بصفعة واحدة أو اثنتين بل لن تتوقف حتى تنهكها تماما...

انزلق الإطار فجأة من بين أصابعها المرتعشة وهي تسمع صوت الذي يخاطبها ليقع أرضا ويتحطم زجاجه إلى شذرات صغيرة جعلها تتابعها بنظرها، رغم أنها لم تستوعب ما قاله لأن فكرة واحدة راودتها وقتها وهي أن خطة الخروج تلاشت وأن صاحب ذلك الصوت قد يكون هو نفسه الموجود في الصورة، قبل أن تستدير للخلف ليتحقق توقعها وهي تلمحه يتكى على باب احدى الغرف بهدوء مكتفا ذراعيه إلى صدره وهو يسألها بتفكه

- " هل صدمت؟ كأن كتاب تاريخك انفتح وكل الشخصيات عادت للحياة أليس كذلك؟ "

لم تتحرك من مكانها ولم تتفوه بكلمة رغم انفراج شفثيها بل ظلت تطالعه بعيون متسعة، فتقدم هو منها حتى وصل إليها وجثا أمامها فابتعدت عنه بخوف لكنه لم يكن يقصدها هي بل امتدت يده إلى الصورة فرفعها وأعادها مكانها بعد أن تطلع إليها بحزن، لما كل شيء ينبئ بانتهاء علاقتهما حتى صورة عقد قرانهما لأنهما لم يقيما حفل زفاف تحطمت لأشلاء....

ما أن أنهى جمع قطع الزجاج المبعثرة أرضا حتى استقام والتفت إليها يبتسم بحبور وهو جزء من شخصيته رغم الحزن الذي أصبح رفيقا دائما له، قبل أن يسألها

- " هل أنت بخير يا ليلي؟ "

تجاهلت سؤاله لتجيبه بسؤال غبي حقا

- " ما الذي تفعله هنا؟ "

تحولت ابتسامته لضحكة صغيرة قبل أن يجيبها ببساطة

- " هل أثر فيك ضرب مروان لهذه الدرجة؟ ألم تتعرفي على

ريممة في المرات السابقة؟ "

حركت رأسها بلا وهي تجيبه



- " لم أتدخل يوماً في الحياة الشخصية لأمين ولا هو هذا كان قانوننا وآخر مرة التقينا منعني عنها ألا تذكر؟ "

تنهد بإرهاق قبل أن يقول

- "بلى أذكر، لهذا أحتاج منك معروفا لا أريد لريمة أن تعرف بما جرى بيننا أو بعلاقتك بأمين في الماضي لو سمحت، حتى أخبرها أنا فهي ستتخيل أشياء لم تحدث وتتفجر الأوضاع أكثر مما هي عليه الآن "

انفجرت شفاتها تنوي اخباره بنيتها في الرحيل من الأساس عندما قاطعها صوت التي فتحت الباب الخارجي تحمل في يدها كيس مشتريات ومن الواضح أنها تركت الباب مفتوحا عند خروجها قبلا فلم ينتبه أي منهما لعودتها وهي تسألها بتحفز

- " هل كنت تخطط لإخباري في أي وقت قريب؟ "

أغمض أحمد عينيه بينما ضغط صدغه بأصابعه فها هو الانفجار الذي كان يتوقعه، أما ليلي فوقفت بينهما لا تدري كيف ترد فهي لا تعرف شيئا عن خليفة علاقتها أو إن كان يجدر بها الرد في المقام الأول ليأتي السؤال الذي جعلها تتسمر مكانها من هول الصدمة

- "إذن هذه حبيبة أمين التي تركني من أجلها قبل أن تغير كلامك وتقول إنها مجرد كذبة والآن أسمع هذا الكلام، ما هذه اللعبة السقيمة التي تلعبها يا أحمد؟"

خرجت من صدمتها على صرختها بالجملة الأخيرة لتهمس  
- "أنا سأغادر وأنتما حلا مشاكلكما الخاصة"

ما أن خطت خطوة واحدة جهة الباب حتى أوقفتها زمجرة ريمة

- "لن تتحركي إلى أي مكان حتى أفهم ما يجري هنا، ما الذي كان يربطك بخطيبي أمين"

كلمة "خطيبي" أخرجت الصامت طيلة ثورتها عن طوعه، كيف استطاعت نطقها أمامه هو، زوجها، دون مراعاة لمشاعره، لطالما تفهم موقفها لكنه لا يستطيع التحمل أكثر فهتف بحنق وقد اشتعل فتيل غضبه

- "ليلي عودي إلى غرفتك وأنت على الأقل احترمي الذي يقف أمامك قبل أن تتفوهي بكلمات لا تعرفين تأثيرها"

لتصرخ فيه بجنون

- " لا تطلب احتراماً أنت لم تمنحه لي، منذ بداية علاقتنا وأنت لا تتردد في الكذب عليّ مرة تلو الأخرى لكن هذه المرة ستشرح لي كل شيء أخفيته عني بخصوص أمين "

وها هي تنطق اسمه من جديد، لطالما كان بينهما حتى بعد رحيله، لم يدري كيف تفوه بتلك الإجابة التي أحرصتها ومعها ليلي التي تتوالى عليها الصدمات لكن كان عليه أن يرد اعتباره، أن يجرحها في المقابل

- " ليكن في علمك ليلي هي المرأة التي أحب وليس حبيبك الغالي أمين هو الوحيد الذي عشقها، لأنها عرفت كيف تمنحني ما تمنعت أنت عنه "

إن كان خطط لأذيتها فقط فقد نجح بل وحقق أكثر من ذلك عندما بعثر كل ما كانت تؤمن به من حب يكنه لها ليطرحها شبه جثة واقفة فقط من غير أحاسيس وصفق الباب خلفه بعد خروجه...

\*\*\*\*\*

غيرة قاتلة وغضب قادر على احراق الأرض بكل اتساعها ذلك ما كان يحمله في صدره وهو يقود سيارته بسرعة جنونية... كان عليه المغادرة من هناك قبل أن يقول ما يندم

عليه بيد أن ما بدر منه لم يكن بالهين... كيف استطاع حتى التفكير بتلك الطريقة لكنها دفعته إلى أقصى تعقله حتى وصل إلى البدائية...

لم يكن يدري إلى أين يذهب أو أي وجهة يقصد فلا مكان في العالم أجمع قد يستطيع إخراجها من عقله وقلبه ولو لثانية واحدة، لقد حاول عدة مرات قبل حتى أن تدرك هي مشاعره أو وجوده قربها من الأساس أن يتخلى عن حبها ويبتعد عن حلم مستحيل التحقق، لكنه فشل في ذلك فقرر التعايش فقط مع ذلك الحب حتى لو لم تكن له، لكن شاء القدر أن تكون من نصيبه وتزوجها ومع ذلك لم يهنأ بالسعادة التي تحولت لسراب كلما ظن أنها صارت ملك يمينه سخرت منه وهي تبتعد عنه...

أوقف السيارة أمام شاطئ صخري بعد أن جاب كل المدينة وطرقاتها وقبع في مكتبه حتى سئمت منه جدرانها وأطبقت على صدره... ترجل منها سائرا باتجاهه تاركاً ذلك النسيم البارد يتلاعب بخصلات شعره البنية ويحرك سترته المفتوحة في كل اتجاه مهاجماً جسده عله يطفى السعير الذي يتأجج داخل قلبه...

ظل جالسا هناك محاولا تصفية ذهنه ومعرفة الخطوة التالية حتى الساعات الأولى من الصباح التالي عندما اتخذ قراره أخيرا... قرار النهاية...

لكن قبل ذلك كان عليه أن يعرج على محطة أخيرة كانت منها البداية....

وصل احدى المستشفيات التي كانت تبعد مسافة ساعة تقريبا عن المكان الذي كان يوجد فيه وما أن تخطى بوابتها حتى ساقته قدماه إلى غرفة يعرفها قلبه جيدا ويحفظ عقله الطريق إليها... هناك أين التقاها أول مرة، وقتها كانت لا تزال في الجامعة... ذلك اليوم كان في الأسبوع الأول من تدريبها في قسم الطوارئ في الطابق السفلي... كانت مبتدئة وشاء القدر أن يكون أول ضحاياها... كان قد تعرض لحادث بسيط وجرح جبينه مما احتاج قطبا ولأن الجرح لم يكن بتلك الخطورة فتلقائيا وجه إلى أحد المتدربين... وكانت هي...

يذكر كيف شحب لونها عندما وجهت إليها المهمة هي بالذات، وكيف اتجهت نحوه بخطوات متثاقلة كمن يتجه لحتفه، كيف كانت يدها غير ثابتة أثناء تقطيبه، كيف أنها لملم ترفع عينيها عن الجرح وهي في كامل تركيزها حتى أنه

تجراً وطلب منها أن تتحى عن الموضوع إن كانت غير كفوء  
لذلك... وكانت تلك هي اللحظة... اللحظة الأولى التي رفعت  
فيها عينيها لتحتضنهما عينية وهي ترمقه بنظرات ساخطة  
جعلت حدقتيها العسليتان تتأججان كلهيب كان هو الوحيد  
الذي احترق به... لم يستطع منع نفسه من التحديق فيها بل  
كان من الصعب ابعاد ناظريه عن مجال تأثيرها... عن شعرها  
الكستنائي المرفوع في كعكة لم يرى لفوضويتها مثيلا من  
قبل، بشرتها البيضاء الخالية من أي زينة، وجنتيها  
المرتفعتين وأنفها المرتفع في إباء رغم وضعها المحرج  
وقتها، شفتيها الرقيقتين... لقد كانت بها جاذبية خاصة أو  
بالأحرى خطيرة..

ومنذ ذلك اليوم لم يستطع الفكاك من سحرها كأنها قيدته  
بتعويذة أربكت قلبه وقلبت كيانه فجعلته يتردد على تلك  
المشفى بسبب وبدون سبب حتى أن حسام لقيه بالمترصده  
وقتها...

عندما تحلى بالشجاعة أخيرا ليخبرها بمشاعره كان موعد  
سفره للخارج قد اقترب فأراد المجازفة ولينتهي الموضوع  
كيفما قرر القدر لكن لم تسنح له الفرصة حيث كانت فترة

تدريبها هناك قد انتهت ولم يستطع الوصول إليها فظن أن تلك هي النهاية...

كان قد أطل الوقوف أمام تلك الغرفة يتأمل تلك المتدربة التي تشبهها إلى حد ما وذكرياتهما الأولى تسجنه وتسحبه نحوها عندما تقدمت منه تسأله إن كان بخير لترتفع يده تلقائيا إلى مكان الإصابة القديمة مما جعلها تتابعه بنظرها قبل أن يرسم ابتسامة مريرة معذرا منها ويغادر مرددا داخله

- "لا لست بخير... لست بخير نهائيا حتى أضع حدا لكل هذا"

## الفصل الثالث عشر

ليلة طويلة مهلكة للأعصاب، هذه هي الصفات التي تناسب تلك الساعات التي مضت حتى أتى الصباح... لم يغمض لها جفن ولم تذق طعم النوم وهي تنتظر كما طلب منها من لجأت إليه للمساعدة فلا مكان آخر تقصده...

جلست على حافة السرير ساهمة تفرك أصابعها ببعضها تفكر في كل مجريات الليلة الماضية التي فاجأتها على قدر لم

تتوقعه رغم كل ما رآته من مصائب قبلها، ما الذي دهى أحمد حتى يكذب مورطا إياها فيما لا تعلم... كان عقلها يحثها على تفقد القابعة في الغرفة الأخرى والتي أمضت بدورها ليلة عصبية فكانت في كل مرة تقترب من باب غرفتها تسمع صوت بكائها المكتوم لكنها لم تستطع فعل أي شيء من أجلها فهي لا تريد التورط في مشكلة لا تعرف مداخلتها من الأساس ولا تعرف حتى كيف أو ماذا ستقول لها...

وقبل أن تحسم قرارها استرعى انتباهها صوت تحطم شيء في الخارج فتطلعت تلقائيا جهة الباب بشك، هل عاد أحمد أم أنها ريمة فقط تنفس عن غضبها بتحطيم مقتنيات البيت؟

ورغم تحذيرات عقلها التي تجاهلتها اتجهت نحو مصدر الصوت لتتفاجأ بريمة في المطبخ ومن المشهد استنتجت أنها أوقعت فنجان القهوة من يدها، لم تكن تلك هي المفاجأة بل مظهرها الذي لم يكن يوحي نهائيا بأنها امرأة تعيسة أمضت ليلة مقتطعة من العذاب... كان فستانها الأسود القصير يعكس بياض بشرتها، شعرها الأشقر مصفف بعناية في تموجات جميلة مع زينة هادئة ناعمة زادت من أنوثتها، حتى عطرها عبقه يسلب الأنفاس.. أي قوة تمتلكها؟ أو أي قلب متحجر لديها؟



لكن ما أن اقتربت منها أكثر مما جعل المنخفضة أرضاً تنظر إليها بينما كانت تجمع قطع الخزف حتى انتبهت لجفنيها المحمران والمنتفخان من طول بكائها...

تجاهلتها وهي تعود لما كانت تقوم به لكن برودها لم يصمد طويلاً وفضحتها يدها التي كانت ترتجف وهي تكبت انفعالها فضغطت على إحدى القطع التي اخترقت أصبعها لتتسلل من بين شفتيها آهة وجع استفزتها أكثر فرمت ما بيدها بغضب وهي تستقيم واقفة لتمر بجانب من كانت تراقب ما يحدث، عندما أوقفها صوتها وهي تقول

- "يدك تنزف عليك تعقيماً"

عادت لتواصل مشيها متجاهلة إياها لتتجاوزها قليلاً وتقف من جديد وهي تأمرها ببرود

- "غادري بيتي"

ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتي من تلقت الأمر لتتبعها وتقف مواجهة لها قبل أن ترد ببرود أتقنته أكثر من أي شخص آخر

- " لم يكن لدي نية في البقاء لكن دعيني أقول لك أمرا قبل رحيلي، شخصية أنانية مثلك لا تستحق شخصا مثل أحمد، رغم أنه زوجك إلا أنك لازلت متعلقة بشخص غيره "

لم تكن تتوي التدخل لكنها فعلا رأت الخوف في عيني أحمد عندما أخبرته عن قتلوا أمين وأن خطيبته رغم عدم معرفتها لها في ذلك الوقت قد تكون على لائحة التصفية كي لا يتركوا مجالا لأي ثغرة، كما رأت الألم وريمة تتحدث عن خطيبها السابق دون أن تبالي بمشاعره

للتابع دون مراعاة غضب المقابلة لها والتي تكاد تفتك بها وهي تسمعها تواصل صفعها بكلامها الجارح

- "أنا وأمين كنا مجرد زميلين لا أكثر، جمعنا نفس الطموح والهدف، أردنا كشف النقاب عن كل من يحاول زعزعة أمن الوطن، أردنا عالما يكافح كي يختفي الفساد، وأظننا غفلنا عن حقيقة أن الفساد مرض متفشي ويصعب التخلص منه بمجرد كلمات، لذلك انسي فكرة العلاقة التي جمعتني به فهي كذبة يجدر بك سؤال زوجك عنها أما أن أكون حبيبة لرجل متزوج فالفكرة في حد ذاتها تقرفني ولا أدري كيف صدقت

الأخرق زوجك عندما تفوه بها، لكن بما أنك متعجرفة لا ترين  
أبعد من أنفك فلن تدركي دوافعه حتى لو شرحها لك"

حسنا لقد فاض بها الكيل وتجاوزها وصل حد الوقاحة  
وعليها وضعها عند حدها... صفة مدوية هوت على وجنة  
ليلي جعلت وجهها يلتف للجهة الأخرى بينما وقفت صاحبها  
تلهث غيضا وقد رفعت اصبعها باتجاهها تهتف بعنف

- " أنت لا يحق لك الحكم على حياتي الشخصية ولا التدخل  
فيها وهذه الصفة ستذكرك بعدم الاقتراب ممن يخصني مرة  
ثانية"

أبعدت يدها عن مكان الصفة الذي ارتسمت عليه آثار أصابع  
ريمة وهي ترفع وجهها وتقابلها بثبات لم يتأثر

- " سأتغاضى عن الصفة هذه المرة، فقط لأنك أنقذت حياتي  
سابقا واستقبلتني في بيتك أو كنت أريتك كيف يكون الرد"

زفرت بضيق وهي تفقد السيطرة على نفسها قبل أن تمسك  
بذراع ليلي بقوة دون مراعاة لحالتها الصحية فالغيرة حجت  
تعقلها قائلة

- "حسنا، لقد اكتفيت منك ومن ترهاتك السخيفة..."

حاولت سحب ذراعها ولم تدرك مقدار القوة التي استعملتها  
أو أن الأخرى لم تكن متوازنة من الأساس خصوصا وهي في  
حالة هستيرية إضافة إلى الكعب العالي الذي ترتديه ففقدت  
توازنها بمجرد دفعها لتسقط ويصطدم رأسها بحافة  
الطاولة...

تسمرت ليلي مكانها ذراعها ممدودتان فقد كانت تحاول  
امساکها ما أن رأتها تهوي لكنها تأخرت في ذلك...

أفاقت من صدمتها على صوت ريمة المتوجع وهي تحاول  
القيام من مكانها ممسكة جبينها المصاب فأسرعت إليها  
تسندها عندما دفعت يدها بعيدا وهي تنهرها بغضب

- " ابتعدي لا أحتاج مساعدة منك "

خطوة واحدة وبدأ الدوار ينتابها وكادت تقع من جديد لولا  
التي أمسكتها قبل ذلك وهي تقطع عليها الطريق قبل أن  
تتفوه برفضها مجددا قائلة

- " توقفي عن المكابرة غير المجدية ودعيني أوصلك لغرفتك  
لأرى جرحك فهو ينزف "

وتحركت بها غصبا عنها حتى أجلسها على الأريكة ودخلت الحمام تبحث عن صندوق الإسعافات الأولية...

جثت أمامها تحاول تعقيم الجرح عندما قبضت على راسها تبعد يدها بنزق وهي تقول

- " أستطيع القيام بذلك لوحدي فقط دعيني وشأني لو سمحت... "

تجاهلت كلامها الجارح قبل أن تجيبها بسخرية

- " كلنا نعم أنك طبيبة وقادرة على فعل ذلك وحدك لكني رغم ذلك أصر، ستكون ذكرى جميلة الحبيبة تعنتي بالزوجة... كوميديا ساخرة فعلا أليس كذلك؟ لازلت لا أصدق أنك فعلا تظنين أن أحمد قد ينظر لغيرك ألم تري عشقه لك أم أنك عمياء إضافة لغبانك الفطري؟ "

ارتفع حاجبا المقابلة لها من مدى وقاحة التي تتكلم دون مراعاة أي حدود للباقة قبل أن تقول بنبرة تخالف ثورتها السابقة

- " بعد زواجي بأحمد عرفت معنى الحب الحقيقي، أنا متأكدة من أنه يعشقتي لكنه بنى علاقتنا على كذبة، واليوم يأتي

ليرمي كذبة أخرى في وجهي لمجرد ان يجرحني لا أكثر  
ويثأر لكرامته، أنا كنت أتكلم عن الحقيقة عندما ثرت وسألت  
عن أمين، ليس لأنني أسأل عنه هو شخصيا فهو لم يعد  
يعنيني رغم أنه كان صديقا جيدا، لكن أحمد لم يفهم قصدي  
وذبحني بكلامه..."

أسبلت جفنيها عند آخر جملتها حتى لا تنتبه الجائمة أمامها  
إلى احمرارهما من طول حبسها للدموع..

لم تنتبه كلتاهما إلى وصول احمد الذي كان يقف عند الباب  
يستمع لحديثهما دون أن يتفوه بكلمة واحدة إلى أن رأى ما  
فعلته في الأخير فأيقن أن دوره قد حان عندها تكلم فالتفت  
جهته ليلي خصوصا أن حديثه كان موجها إليها وهو يقول  
- " سأتولى الأمر يا ليلي ارتاحي أنت..."

استقامت من جلوسها وتحركت جهته وما أن وصلت  
بمحاذاته حتى توقفت وهي تهمس له

- " أخبر زوجتك بالحقيقة كاملة هذه المرة فعلاقتكما لن  
تتحمل كذبة أخرى حتى لو كانت في صالحها، وكلامك الأخير  
جرحها، هي امرأة في النهاية واعترافك الكاذب عن حبك  
لامرأة أخرى هو أكبر إهانة لها"

بعدها غادرت الغرفة والبيت ككل دون أن تخبر أحدا... أما ريمة ما أن رآته يغلق الباب ويقترب منها حتى قامت متجهة للحمام ليعترض هو طريقها ممسكا ذراعها مصرا على وضع نهاية للخلاف الذي طال دون سبب ليقول بنبرة ملؤها الرجاء

- " دعينا نتكلم ارجوك وبعدها يمكنك التصرف كما تريد  
لن أعترض طريقك مطلقا"

رفعت عينيها إليه وقد غطي حدقتيهما غشاوة من دموع  
أحرق كيانه ومزقته وهي أقرب إليه من روحه، الموت  
أهون عليه ألف مرة من عذاب رؤية انكسارها الذي يشاهده  
الآن، وما أمعن في قتله هو صوتها الذي تستحكه غصة  
وهي تغلق كل الطرق أمامه

- " انتهينا يا أحمد، لا قدرة لي على الاصغاء لشيء، وحتى  
لو فعلت لا أظني قادرة على تصديقك"

ترك ذراعها الذي استلته من قبضته لتدخل الحمام وتغلق  
الباب على نفسها قبل أن تتكى عليه بجبينها سامحة لدموعها  
بالتحرر أخيرا وأكثر من ذلك شهقتها التي غافلتها وخرجت  
فكتمتها وهي تضع يدها على شفيتها حتى لا يصل صوتها  
لمن وقف في الخارج يتطلع إلى أثر اختفائها خلف ذلك

الجدار الذي يعزلها عنه، لكنه لن يسمح بوجود حاجز آخر بينهما، سيحطمها جميعها، واحدا تلو الآخر إلى أن يصل إليها...

جلس بجانب الباب يستند على جدار الحمام ورأسه للخلف، هو يعلم أنه تستمع له وسيوصل لها الحقيقة ولو غصبا عنها...

خرج صوته أخيرا بنبرة يغشيها الشجن والحنين لذكرياتهما حتى المؤلمة منها، المهم أنها جمعتهما - هل تذكرين حبيبتي أول لقاء بيننا؟"

ابتسم عند تلك الذكرى بينما عضت هي شفتها السفلى تمنع نفسها من الهتاف وكيف أنسى؟

ليتابع بعدها قائلا

- " لقد سرقت قلبي من يومها ولم أسترده أبدا، بالنسبة لي كنت غير كل النساء بل المرأة الوحيدة على وجه الأرض، تحولت بسببك إلى مترصد يتعقبك في كل مكان إلى أن فقدتك وفقدت راحتي برحيلك من تلك المشفى، وقتها لم يكن لدي الكثير من الوقت قبل سفري لكني رغم ذلك حاولت ايجادك



واطلاعك على مشاعري لكني فشلت في العثور عليك، لتمر بعدها السنوات، لم أحب غيرك رغم أنني ظننت أنني قد تجاوزت احساسى نحوك إلى أن جاء ذلك اليوم الذي جمعني فيه القدر بك مرة أخرى، لكنه حطم كل أحلامي حولك، وقتها كنت قد تعرفت على أمين وصرنا أصدقاء بعد أن كنت محاميه لا أكثر، يومها أخرجته من الحجز من مركز الشرطة بسبب مقال محرض كتبه وطلب مني أن أوصله لخطيبته حتى يطمئنها عليه، فكانت صدمتي بل الطعنة التي وجهت لي أنها أنت دون غيرك، من بين كل النساء كان يجب أن تكون أنت، أتذكر أنني أردت أن أبعد عيناى عنك حتى لا أفصح نفسي لكن شوقى إليك الذي كنت أجهل حتى وجوده تغلب على إرادتي وهو يبحث في كل تفاصيلك، أردت أن أسألك هل تذكرتني؟ هل شكلت جزء ولو صغيرا من ماضيك؟ لكنى أرغمت نفسي على المغادرة وعدم الالتفات أبدا ففي النهاية كنت خطيبة صديقي ولن أكون نذلا أبدا وأغدر به وحتى لو حاولت فحبك له كان واضحا وذلك ما كان يؤلمني..."

صمت للحظات يستجمع طاقته خصوصا أن ذلك الماضي كان موجعا له خصوصا وهو يرى من يحب تنتمي لغيره، تخيل الفكرة فقط كان يدفعه للجنون، أما هي فكانت كل كلمة يقولها

يصلها احساسها ودرجة الألم فيها فتشاركه فيها بدموعها التي لم تعد تستطيع التحكم فيها...

- " حاولت الابتعاد عن أمين وعنك لكن القدر كان له تخطيط آخر، فالأخرق كان كل مرة يورط نفسه في مصيبة لأجدك أنت أمامي تطلبين المساعدة، أردت مرة الصراخ فيك بأن لا تتصلي بي مرة ثانية حتى لا أغرق في حبك الآثم أكثر وأكثر حتى لا يعود لي قدرة على تركك... بعدها تورط أمين في قضية المافيا وصار يحقق فيها وتعمق أكثر مما يجدر به، لقد كان طموحه لا حدود له، بعدها التقيت بليلي، كنا وقتها في بريطانيا، للوهلة الأولى شككت بوجود علاقة غرامية بينهما فهما كانا لا يفترقان، كانا مقربين لدرجة كبيرة، لكن اتضح لي بعدها أنهما صديقين لا غير فأمين مهما كانت عيوبه كثيرة لم يكن يوما خائنا، إلى أن حلت الكارثة الكبرى عندما لفقت له تلك التهمة وسجن بسببها، لم تكن مهمة صعبة بالنسبة لي اخراجه من السجن لكن في كل مرة كانت تضاف تهمة جديدة ويفشل اطلاق سراحه فمن أدخله الى هناك في البداية كانت وساطته قوية وضمن أن يبقى حتى ينفذ ما كان يخطط له، كان الجميع يخضعون للمراقبة خصوصا أنت بما أن والداه كانا في الخارج، هل تذكرين لما اقتحم أحدهم

منزلك وقلبه رأسا على عقب ولحسن الحظ لم تكوني هناك أو كنتُ..."

لم يستطع المتابعة فلولا ستر الله كان فقدتها يومها...أخذ نفسا طويلا قبل أن يواصل

- " بعدها أقنعت أمين بصعوبة بفسخ الخطوبة حتى أبعاد الخطر عنك لكن الأصعب كان اقناعك أنت، لم يكن لدي خيار وقتها سوى تليفق علاقة بينه وبين زميلته في العمل خصوصا وأنا أعلم بأنه كان يتحدث دوما عنها أمامك وأنت كنت لا تطيقينها لأنها تمضي معه وقتا أطول منك... لا تعرفين كم لعنت نفسي وأنا أشهد انهيارك وأنت تتوسلين إليه أن يقول أنها كذبة وأنه لم يخنها لكني من جهة أخرى لم أكن لأتحمل أن يصيبك مكروه... لم أتوقع أن يتمادوا في اجرامهم لدرجة قتله في السجن وادعاء أنه مات في شجار بين السجناء لتغلق القضية، وبما أن ليلى لم تتوقف عن العمل فتلقائيا كنت لا تزالين تحت أعينهم خصوصا بعد ظهورك في جنازته أي أنك كنت لا تزالين مقربة منه، يومها ظهرت ليلى وكانت ستحذرك لم أكن لأسمح لها بالاقتراب منك، كنت ستصبحين على قائمة القتل مباشرة، كانت أياما صعبة لم أكن أغفل عنك لحظة واحدة خوفا من أن يتعرضوا

لك، عندها اتخذت قراري النهائي وطلبت منك الزواج ورفضت طبعاً وظللت ألح عليك حتى وافقت بعد عدة أشهر... لم تكن علاقتنا عادية كأي ثنائي وكان الوصول إلى قلبك مهمة صعبة جداً، لم أرد يوماً الضغط عليك وفي نفس الوقت لم أرد أن أصدمك بمشاعري نحوك والتي أصبحت السيطرة عليها في قربك مستحيلة، كدت أجن وأنا أبعد عن فكري إمكانية أن تكوني لا تزالين تحبين أمين ولولا كذبتني كنت رفضت حتى الارتباط بي فقررت اخبارك بكل شيء وعندها انفجر كل شيء وتعلمين الباقي، لقد تحولت إلى امرأة أخرى كلياً حتى أنك صبغت شعرك أشقر كأنه نوع من التمرد..."

وحل الصمت بعدها لا يتخلله سوى نشيجها الذي يصله ويمزق نياط قلبه فوقف هو الآخر أمام الباب يطرقه بينما يكلمها

- "حبيبتي افتحي الباب أرجوك، ولا تفعلي بنا هذا..."

بينما كانت تقف هي خلفه أصابعها تستند عليه مع جبينها دون أن تفتحه ليتابع هو برجاء

- "حلفتك بالله لا تعذبي قلبي أكثر من هذا يا ريمة فقط دعيني أراك..."

وأخيرا رأى مقبض الباب يتحرك فعلم أنه حصل على الإذن  
أخيرا فاندفع إلى الداخل ليراها في تلك الحالة زينتها قد  
سالت مع دموعها وشعرها قد التصق بوجنتيها وهي لا تزال  
على نشيجها المتواصل ولم ترفع حتى عينيها إليه، فاقترب  
منها بلهفة ممسكا وجهها يرفعه إليه وهو يمسح دموعها  
التي تحرقه

- " لا تبكي يا قلب أحمد، أنا آسف... آسف لأنني خدعتك...  
كنت سأموت لو فقدتك.. "

لم يبدو انها سمعت ولم تستجب لكلامه فجنبتها يفرسها بين  
ضلوعه بكل قوته وهو يقبل رأسها ويهددها بهمسه الحاني  
علها تهدأ، عندها ابتعدت عن حضنه قليلا وهي تهذر بكلمات  
متقطعة بعد أن انهار كل التماسك والجليد الذي كانت تغلف  
به نفسها

- " قل بأنك تزوجتني لأنك كنت تحبني وليس شفقة  
ومسؤولية منك، قل بأنني أستحق فعلا كل ذلك الحب ولم أكن  
مجرد عبء، قل بأنك لم تبحث عما حرمتك منه عند  
أخرى... "

ظلت تردد نفس كلامها بينما أعادها هو لحضنه من جديد  
يقسم لها بأغلظ الأيمان على صدقه

- " ليس شفقة ولا مسؤولية ولم تكوني يوما عبئا حبيبتي،  
أنت عمري كله يا ريمة صدقيني، أنت الهواء الذي أتفسه،  
لقد كنت أمنية حياتي الوحيدة التي أردت تحقيقها من كل  
جوارحي..."

ظلت ترتجف بين ذراعيه، تحرك رأسها بغير تصديق فأبعدها  
هو هذه المرة ممسكا بوجهها فتطلعت إليه بعيون حمراء  
محتقنة بينما ثبت هو عيناه عليهما حتى تستوعب كلامه  
وهو يقول ضاغطا على كل حرف

- " ريمة أنا أعشقتك بكل ما فيك، لم أحب ولن أحب غيرك  
ولو انتزعوا روعي مني افهمي هذا"

اقترب بوجهه منها ببطء حتى لا يصدما بتصرفه حتى  
أصبحت شفتاه أمام شفتيها مباشرة، لم تتمكن عنه ولم تبتعد  
أو تدفعه حتى تلامستا... لم تكن قبلة شوق ولهفة مجنونة  
على قدر ما كانت قبلة مداواة وتضميد جراح، قبلة بطعم  
الدموع والوجع الذي يرفض توديعهما.. وأخيرا استطاع هدم  
آخر جدار بينهما...

\*\*\*\*\*

لا تدري بالضبط منذ متى وهي تمشي على غير هدى أو بالأحرى تهيم في الشوارع بين أناس كل واحد منهم يعلم محله ومستقره إلا هي، لا عائلة، لا أقارب، لا أصدقاء، لا هوية ولا انتماء، لو لم تذكر نفسها بما تصبو إليه مرات ومرات لكانت ضاعت تماما، أهدافها بالنسبة لها هي هويتها... قد يكون أكبر أهدافها هو تحقيق العدالة لحسام وعائلته لكن ذلك لم يعد ممكنا الآن بعد اختفاء والدها وموت مروان فلم يبق أحد يستحق العقاب غيرها... ربما عليها الرحيل والعودة إلى منفاها فليس هناك عقاب أسوأ من أن يبعد الشخص عن وطنه وبذلك تكسر سلسلة الانتقام المشؤومة... لكن هل سيشفى هو وداخله فوضى وضياع يحكمه غضب أعمى خصوصا بعد أم سلبوه آخر شعاع نور في حياته... أي جبروت كنت تمتلكه يا مروان!؟

بدأ الإرهاق يشق طريقه إليها والأوجاع تتفاقم عليها فهي لم تأخذ دواءها ولم تأكل شيئا منذ وقت لتزيد برودة الطقس الوضع سوء...

توقفت للحظات تلتقط أنفاسها المتعبة وهي تجول ببصرها فيما حولها ليتوقف عند حديقة صغيرة بالقرب منها...  
تحركت ببطء نحوها حتى عبرت بوابتها لتجدها شبه خالية  
ماعدا بعض كبار السن خصوصا أن الوقت لا يزال صباحا...  
استقرت على أحد المقاعد وحيدة، معزولة عن كل شيء  
حولها كما كانت دوما...

ظلت شاردة لا ترسوا أفكارها على بر ولا تمنحها هدنة تهنأ  
فيها بلحظة هدوء، لكن الفكرة الأساسية والأهم هي ماذا  
ستفعل حتى يصل من سيخرجها من بؤرة الجحيم التي تغرق  
فيها كل يوم أكثر وأكثر، فهي لا تملك لا وسيلة اتصال ولا  
مكان تبقى فيه ولا دينارا واحدا في جيبها ولا تريد استعمال  
بعض أساليبها الملتوية في الحصول على كل ذلك لكن ان  
اضطرت قد تلجأ إلى احداها، إذن حاليا هي كالمشردين  
حرفيا...

رفعت إحدى ساقها على المقعد الخشبي تضمها إليها  
بذراعيها وانحنت إلى الأمام تتكى بذقتها على ركبتيها، شعرها  
الأسود الذي تتخلله ظلال فاتحة يغطي أغلب ملامحها كأنه  
يحجبها عن العالم حتى لا يرى نظراتها الضائعة كحالها  
ويكتم صوت الوجع والقهر في تهديتها التي أطلقت



سراحها، هي فقط تريد أن تصرخ، أن تزيح ما يجثم على صدرها، وربما تسمح لضعفها بالسيطرة عليها وتنتهي الأمر فقط...

أغمضت عينيها للحظات وجيزة عندما أحست بحركة كأن أحدهم جلس إلى جانبها، كيف لم تحس باقترابه لهذه الدرجة؟! تطلعت إلى يسارها لتجده هناك يستريح على المكان الشاغر قربها وقد تراجع برأسه للخلف مغمضا عينيه هو الآخر بينما يكتف ذراعيه على صدره، لم تتحدث بل عادت لما كانت تفعله ولا هو بادرها بالكلام، فقط جالسان هناك في صمت كأنهما غريبان قريبان أو أيا كان المسمى المناسب لعلاقتهما...

دقائق مرت وهما على حالهما حتى افتتح هو الحوار وهو يسألها بهدوء غريب عن طبعه الناري المهدد في العادة

- " كيف حالك؟ "

رغم أنها تفاجأت من لهجته وسؤاله في المقام الأول إلا أنها لم تجبه للوهلة الأولى كأنها قررت تجاهله لكنها واجهته بسؤال آخر

- " هل كنت تراقبني؟ "

كالعادة اجابتها هي سؤال، انفرجت شفثيه عن ابتسامه هادئة كمزاجه الذي يحاول الحفاظ عليه ربما لأنه مرهق حتى النخاع ولم يعد لديه أي طاقة لصراع آخر أو قد يكون هناك هدف يخطط للوصول إليه..

ليجيبها بعدها ببساطة وصدق لم يتكلفهما

- " ليس تماما، كنت في طريقي لبيت أحمد لمقابلتك عندما رأيتك تمشين في الشارع فلحقتك... إذن لم خرجت وأنت لم تشفي تماما؟ "

لقد طورت موهبة جديدة يا حضرة القائد! أصبحت منافقا من نوع ممتاز، تتظاهر بالقلق عليّ بينما ترميني لفريق الذئاب عند أول فرصة تخدم أهدافك، هذا ما كانت تفكر فيه وتمنع نفسها من رميه على مسامعه مع الألفاظ الأخرى لو استطاعت لكنها اكتفت بجواب ساخر لاذع

- " لا تقلق على صديقك سيد حسام لست هنا لإخفاء جثتيهما وآثار جريمتي الشنيعة "

انحنى للأمام قليلا ليرتكز بمرفقيه على ركبتيه بينما يشابك أصابع يديه ليتطلع إليها من أسفل وهو يجيبها

- " لا أظنك قادرة على ذلك يا ليلي "

وهجوم ساخر يحمل في طياته ثقته بها التي تحطمت إلى  
أشلاء كان ردها عليه

- " لا تقل لي بأن ظنونك بي لم تكن اسوء من ذلك بأشواط  
لأنني لن أصدقك "

استقام واقفا يزفر بتعب ليقف مواجهها لها، عليه أن يصل  
معها لنقطة تفاهم، صلتها بأمين وكونها مصدر معلوماته  
يؤكد ما قاله مروان، لكنه مهما تجاهل مبادئه مثلما فعل  
سابقا لن يستطيع انغامها على شيء وهي في هذا الوضع،  
يكفي أنه لم يعد قادرا على تحمل نفسه بعدما فعله بها آخر  
مرة...

أخيرا حرر مشاعره التي قلما يتحدث عنها أو يبوح بها  
ليخرج صوته يغشوه الحزن ويغلفه الألم والعذاب وهو يقول  
لها

- " أنت لم تعيشي ما عشته من عذاب وفقدان لكل من  
أحب... "

كلماته جذبت انتباهها فرفعت نظرها الذي كانت تشتته في كل اتجاه سابقا ليتابع هو بنفس النبيرة

- " أتعرفين كيف هو الشعور أن أستفيق كل صباح وأنا أدعو أن كل تلك المآسي التي مرت كانت مجرد كابوس وانتهى وأن كل شيء عاد إلى طبيعته بمجرد أن أفتح عيني؟ كنت كل يوم أتمنى نفس الأمنية ألا أفقد شخصا آخر لكن الواقع يظل يصدمني بالحقيقة الموجهة مرة تلو الأخرى... أتعرفين شعور أن أخسر كل مرة شخصا أحبه في البداية والداي، صديقي أمين، رجالي الذين هم أكثر من اخوة لي في كل مهمة نخرج فيها، ابنتي التي لم أرها إلا في جهاز وصورة أحتفظ بها، زوجتي ندى... كل هؤلاء... كأن هناك من ينتزع قلبي كلما خسرت أحدهم ليعيده إلى مكانه ثانية كي يتلذذ بنزعه مرة بعد مرة عند كل فقدان لدرجة صرت أتمنى أنه لا وجود لشيء يدعى إحساس..."

أقسم أنني أحس بكل كلمة تقولها خصوصا أنني كنت السبب في موت بعض منهم.... آه فقط لو أستطيع أن أنسيك الماضي بكل جراحه وأغلق دفاتره إلى الأبد..

تنهيدة وجع تحررت من بين حطام أعماقها المثقلة قبل أن  
ترد بنبرة ربما أشد انكسارا من نبرته السابقة

- " وأنت أيضا لم تكن في وضعي يوما، أنت كنت دائما  
الضحية بينما كنت أنا المذنبة في كل قصة... "

صمتت قليلا تستجمع شجاعتها بينما هو كان في كامل  
تركيزه مع ما ستقوله وربما تكون هذه فرصته في معرفة  
الحقيقة لتتابع بقهر

- " أنا كنت كل ليلة أدعو الله ألا أستيقظ في اليوم التالي حتى  
لا أكون السبب في موت مزيد من الناس، وكل صباح كنت  
أتمنى لو كان وجودي مجرد كابوس بشع في حياة كل هؤلاء  
الأشخاص الذين فقدوا حياتهم وأنهم الآن استيقظوا ليكون  
كل شيء طبيعي لا هم عرفوني ولا القدر أخذ أرواحهم  
بسببي، حتى أنني في أوقات كثيرة تمنيت أنني لم أولد أبدا  
هكذا الكل سيكون بخير، على أي حال حياتي ليست بهذه  
الأهمية... "

عندما أنهت كلامها كان يتطلع إليها بنظرة تحمل الكثير من  
المشاعر المتناقضة قد تكون الشفقة والرغبة في الحماية  
وربما الذنب وقد تكون عكس كل ذلك تماما المهم أنه لا يقف

في منطقة حيادية، لا يدري أين الحقيقة في كل ذلك خصوصا وهو يرى جفنيها الذين لم يعودا قادرين على كبح سيل الدموع الذي يهدد بتحطيم كل الحواجز...

- "لم لا تقولين لي الحقيقة وترتاحي وترحيني معك..."

زفرت بقله حيلة وهي تجيبه

- "لن ترتاح يا حسام حتى عرفتها، الماضي رحل بمن معه، لا فائدة من فتح الجروح، لن تحقق شيئا ومن قتل والديك لا وجود له..."

لكنه مصر رغم كل ما قالتة عليه أن يعرف السبب بعد أن تأكد من أن موتهما ليس حادثا بل مدبرا

- "لا بد من وجود سبب، لا يمكن أن يتعرضا للقتل هكذا ببساطة، لم يكن لهما أعداء ولا مشاكل مع أي كان، كيف..."

وقبل أن يتابع كلامه قاطعه رنين هاتفه كان سيتجاهله لكن رؤيته للرقم جعلته يتأهب كأنه لا يزال في الجيش كما كان ليجيب بسرعة

- "نعم سيدي، متى وصلت؟ أنا قادم فورا"

انتبهت إلى نبرة صوته التي تغيرت وتحفز فقطبت بشك ما  
الذي قلب هدوءه يا ترى... أفاقت على أمره وهو يحثها على  
التحرك بالسرعة

- " هيا علينا الذهاب لمكان ما، هناك شخص عليّ مقابلته.. "

ارتفع حاجبها بصدمة من جراته قبل أن تسأله بتحفز

- " وما شأني أنا فيمن ستقابل، هل تظني غبية مثلاً حتى  
اثق بك وأرافك ببساطة؟ "

زفر بضيق قبل أن يجيبها محاولاً التحكم في انفعاله الذي بدأ  
يطفو على السطح

- " أعدك لن أفعل ما يؤذيك صدقيني، لكني لا أستطيع تركك  
وحدك، ليس قبل أن تبوح بما أريده منك "

اعتدلت في جلوسها وهي تكتف ذراعها لتحدها بأنها لن  
تتحرك وليفعل ما يشاء لأنها لم تعد تبالي..

عندها انفجر فيها وهو يزرها هاتفاً

- " ليلي لا.... "

عند نطقه لاسمها كانت زخات المطر قد بدأت بالتساقط لتشتد تدريجيا ف جذب يدها غصبا عنها موقفا إياها وتحرك وهي معه تحاول الفكاك من قبضته حتى وصلا سيارته التي أوقفها أمام الحديقة ففتح بابها ودفعها للداخل وأسرع للجهة الأخرى محتلا مقعد السائق قبل أن يلتفت إليها وهو يهتف بغضب

- " هل أعجبك هذا؟ لما تعاندين في كل...شيء... "

انخفض صوته عند نهاية سؤاله وهو يتأملها، يتفرس في ملامحها التي توقظ ذكرى ما لديه، نفس العيون كأن الزمن لم يغيرها، نفس النظرة والمظهر غير أن السن مختلف، فتاة مراهقة مبلة بالمطر شعرها الملتصق بوجهها يغطي أغلب ملامحها فلا يظهر منها غير عينيها التي رمقته بنفس النظرة التي يراها الآن... هل أصيب بالجنون، حرك رأسه بعنف يبعد الفكرة عنه وأعاد بصره جهة المقود ليشغل السيارة وينطلق، أما هي فمظهره تحت المطر ولامحه العفوية تثير فيها مشاعر لن تسمح بها مهما كلفها الأمر لذلك تطلعت جهة النافذة وركزت نظرها على الطريق حتى وصلا وجهتهما ليتضح أنها المستشفى...



حاولت مجاراة خطواته المسرعة ما أن دخلا إلى هناك وهو في طريقه لغرفة محددة كانت تجهل تماما لمن تكون أو ما الذي ينتظرها داخلها...

وقف أمام إحدى الغرف فتوقفت معه ليستدير إليها قبل أن يأمرها بجفاء

- "انتظري هنا وإياك أن تتحركي حتى أخرج ودعيني أحذرك لا تفكري في الهرب لأنني سأجذك أينما كنت.. مفهوم؟"

حركت عينيها بنزق من تأمره عليها وجلست بعنف على المقعد قبل أن تشير له بيدها ليدخل ويدعها وشأنها... وماهي إلا لحظات حتى عاد للخروج من جديد برفقة الطبيب ليحدها بنفس النظرات المحذرة والتي طبعا ضربتها عرض الحائط خصوصا وهي تصل لاستنتاج واحد وهو أن القابع في الداخل لا يمكن ان يكون سوى زوجته التي يتحدث عنها الجميع...

تطلعت في اتجاه اختفائه قبل أن تعود بنظرها إلى الغرفة التي ترك بابها مفتوحا قليلا فاتجهت إليها دون أن تفكر في العواقب، لم يكن يدفعها فضولها هذه المرة بل الرغبة في

رؤية من امتلكت قلبه، في التعرف على المرأة التي فقدناها  
أظهر أسوء جوانب شخصيته، إلى أي درجة مميزة هي؟

دفعت الباب ببطء حتى انفتح تماما ونظرها يبحث عن  
أشعلت رغبة أنثوية بدائية كمن تبحث عن غريمتها، حتى  
وقع عليها، ممددة على سريرها موصولة بأجهزة الإنعاش،  
شاحبة لا تمت للحياة بصلة، حالها كحال الغرفة الصامتة  
الكئيبة الموجودة فيها...

ظلت تطالعها من مكانها بنظرات غلبت عليها الشفقة  
خصوصا وهي ترى وضعها، همت بالخروج لتصطدم بجسد  
شخص ما، للوهلة الأولى تشهدت على روحها مغمضة  
عينيها وهي تعتقد أنه حسام إلى أن سمعت صوته يهمس  
باسمها فرفعت عينيها إليه وقد ارتسمت على شفثيها  
ابتسامة حقيقية وكأنها وجدت راحتها أخيرا قبل أن تهتف  
بسعادة

- " سيد إبراهيم... "

الفصل الرابع عشر

- " سيد إبراهيم... "

رغم الدهشة التي ظهرت جلية على ملامحه فكيف لها أن تكون هناك، في غرفة ندى زوجة حسام؟ أي أقدار هذه التي جمعتهم من جديد أم أنها مجرد مصادفة؟ كتم تساؤلاته لوقت لاحق فهو هنا من أجلها في النهاية...

تهللت أساريره لرؤيتها أمامه بخير فصوتها في حديثهما الأخير لم يعجبه، لكن سرعان ما توجهت ملامحه وهو يرى الندبات وآثار الضرب على وجهها... ارتفعت يده وأمسك ذقتها يرفع وجهها قبل أن يسألها بقلق حقيقي

- " يا إلهي نور ما الذي حدث معك؟ هل أنت بخير؟ "

أبعدت وجهها عنه وهي تخفض رأسها بإحراج قبل أن تجلي صوتها وهي تجيبه بصوت منخفض

- " أنا بخير، مجرد تبعات من الماضي الأسود الذي لن أتخلص منه "

التفت خلفه يمسح المكان بعينه قبل أن يعيدها معه للداخل ويغلق الباب خلفه، واتجه للكرسي الموجود في الغرفة واحتله بينما أجلسها هي على حافة السرير قبل أن يسألها

- "والآن أخبريني ما الذي حدث معك وبالتفصيل منذ أن انقطعت أخبارك، حتى من كان مسؤولاً عن مراقبتك تعرض لحادث مؤسف، وريعان لم تفدني كثيراً"

تململت بعدم راحة في مكانها ولم تستطع البقاء ساكنة قريبة من ندى فاستقامت واقفة وتحركت باتجاه النافذة ووقفت مقابلة لها تتطلع للخارج وعقلها يستعيد كل تلك الأحداث المؤلمة التي توالى عليها تباعاً... أغمضت عينيها بقوة تحاول حجبها عندما سمعته يكرر سؤاله بقلق فتهدت بتعب ماذا ستقول وماذا ستشرح....

صمتها أقلقه فهذه لم تكن طباعها، فهي صريحة وماندة لأقصى الحدود، هل ما تعرضت له مؤلم لتلك الدرجة أم أن هناك شيء آخر لا تريده أن يعرفه؟

- "هل حسام متورط في الموضوع؟"

استدارت إليه بسرعة قبل أن تتيقن أنها منحتة الإجابة على سؤاله برد فعلها ذاك...

زفر بحلق وهو يدرك أنه كان محقا والأخرق تهور من جديد... استعاد هدوءه بسرعة قبل أن يطمئنها بنبرته الدافئة التي تعرفها يحثها على الإفصاح عما تحمله في أعماقها

- "أنت تثقين بي صحيح؟ وتعلمين أن مكانتك من مكانة أولادي أليس كذلك؟"

أومات برأسها إيجابا قبل أن تستند على إطار النافذة خلفها وبدأت بسرد كل ما لاقته بدء من خطفها واحتجازها من طرف مروان واصابتها بالرصاصة، لقائها بحسام وخطته وانتهاء بموت مروان بعدما فعله بها، عند وصولها للنهاية كانت حدقتها تلمعان بدموع حبيسة وصوتها يكاد لا يسمع بسبب الغصّة التي تكتمها فهي لم تكن تريد تذكر أي من ذلك...

أما إبراهيم فكان يستمع بصدمة لكل كلمة تقولها، أين كان هو من كل هذا؟ لقد فشل فشلا ذريعا في حمايتها، لقد كان مسؤولا عنها، فكيف غفل عنها؟ كل ذلك بسبب المسؤوليات الكثيرة التي كانت على كاهله فحالة الحدود متوترة وتحتاج تواجده الدائم في القاعدة العسكرية، مما أرغمه على الانشغال عنها وعن المتسرع الآخر الذي لا ينفك يتصرف بطيش...

زفر بضيق وهو يستقيم واقفا يكاد يفقد وقاره وهدوءه قبل أن يترجم أفكاره إلى كلمات وهو يقول من بين أسنانه

- " ذلك المتهور عديم التفكير، لطالما كان غضبه أسرع من النار في الهشيم، يتصرف قبل أن يفكر عندما يكون الأمر شخصيا خصوصا إذا كان يحب المعنى بالأمر، لقد صار خارجا عن السيطرة فعلا بعدما تعرضت ندى لمحاولة القتل "

وكأنه لكمها على معدتها بقوة، لا تدري لما تنزعج كلما ربط أحدهم حسام بندى، هل صارت تتوهم مشاعر غير موجودة؟ هل أصبحت مهووسة به كأنه مرض أو شيء من ذلك القبيل من كثرة مراقبتها لها واهتمامها بكل تفاصيله؟ أم أن ذنبها نحوه صار يتحول لشيء آخر؟

لا تدري كيف تحركت شفيتها وهمست فكرة طرقت عقلها قبل أن تستطيع كبحها

- " لابد أنه كان يعشقها جدا؟ "

كان قد وصل إليها ووقف مقابلا لها... استغرق لحظات قبل أن يجيبها كأنه يبحث عن تعبير مناسب لوصف علاقتهما وصمته كان يعبث بعقلها ويثير فوضى من غيرة لا تدري مصدرها بالضبط ولا تقدر على اخمادها...

أخيرا أراحها وتكلم بنبرة يشوبها الحزن ففي النهاية ندى  
تربت مع أبنائه وكانت واحدة منهم بل حتى أعز منهم فهي  
ذكرى شقيقه الوحيد

- " حسنا، هو ليس عشقا بالمعنى المتفق عليه، لم يكن حبا  
أسطوريا أو شيء من هذا القبيل "

تنبهت كل حواسها وهي تستمع بكل كيائها تترقب ما سيقوله  
لاحقا ليتابع هو

- "بعد وفاة سمراء و خليل والدي حسام كاد يضيع بالمعنى  
الحرفي، ترك الجامعة، وانغمس في شعور من تدمير الذات،  
لقد كان يلوم نفسه على الحادث ويعاقبها عليه بأسوأ الطرق،  
بعدها لا أدري ما الذي قلب حاله، وصار يبحث عن تسبب  
به مؤكدا أنه كان مدبرا وتحول إلى مهووس يتصرف  
بجنون، ورغم حالته تلك إلا أنني صدقته وقتها فأنا كنت  
أعرفه منذ ولادته وليس ممن يؤلفون القصص الكاذبة لكن  
لم يكن هناك ما يدعم أقواله حتى السيارة انفجرت عند  
اصطدامها بالجرف، لذلك لم يكن أمامي خيار سوى أن أخذه  
تحت جناحي وأهتم به تحت ناظري، وتلك كانت المهمة  
الصعبة، فلجأت للحيلة معه ووعدته بالتحقيق في الحادث

بنفسي و عليه أن يشارك أيضا بالتحاقه بالجيش حتى تكون كل المعلومات تحت تصرفه"

ابتسم عندما تذكر بدايته في العمل، يا إلهي لقد تسبب في ظهر الشيب في شعره قبل أوانه

- " ذلك الأخرق جعلني أعاني الأمرين معه، لقد كان كالبركان الثائر، يصعب السيطرة عليه، لكن كان لا بد أن أكون حازما معه لأقصى الحدود فلم أتوانى في جعل المسؤولين عنه يعاقبونه عند الضرورة، لم يكن يجد راحته سوى في قاعة التدريب وبعدها في الميدان أثناء العمليات، ورغم رفض الجميع لوجوده فهو كان لا يطاق بمعنى الكلمة إلا أنه أثبت كفاءته بمرور الوقت لدرجة أنه نسي نفسه، لقد كانت القوات الخاصة كل حياته إضافة لهاجسه بالعثور عن قاتل والديه فلا عائلة ولا بيت يعود إليه، لا أصدقاء إلى جانبه، حتى أحمد كان يسافر كثيرا بسبب دراسته وعمله ولا يعود إلا نادرا، وتدرجيا بدأ يفقد إنسانيته وكل مشاعره، أتذكر وقتها أنني صدمته بطلبي منه بأن يتزوج ندى لكني كنت متأكدا من موافقته فهو لشدة احترامه لي لم يكن ليرفض طلبا لي، وطبعا كنت محقا فقد وافق.."



- " ألم تفكر في المسكينة التي كنت سترميها مع شخص مثله؟ ماذا كان يضمن لك أنه لن يجرحها؟ "

اندفع السؤال من بين شفيتها في لحظة تهور فهي كانت منزعة من سماع بداية حبهما وكانت بحاجة للتخلص من توترها، عضت شفيتها تلعن تسرعها عندما ابتسم بفخر أبوي كأنه يتحدث عن ابنه من صلبه

- " لأنني أعرفه ومتأكد أنك لم تقصدي ما قلته لأنك تعرفينه أيضا، رغم ثورته إلا أن قلبه نظيف ولا يقدر على إيذاء امرأة، وندى كانت الشخص المثالي، شخصية هادئة، رقيقة كالنسمة بمعنى نقيضه تماما، صحيح في البداية واجها الكثير من المتاعب حتى يستقرا لأنهما مختلفان تماما كالليل والنهار، لكنها استطاعت امتصاص غضبه تدريجيا، أيقظت فيه مشاعرة جديدة ورغبة في حمايتها كأنها كنز ثمين وهش في نفس الوقت، لقد تحولت لوطن يعود إليه، وطن دافئ عطوف يستقبل كل مشاعره وانقلاباته بصدر رحب، كانا سعيدين جدا خاصة بعد حملها، كأنه تعويض عن كل الماضي، لكن ذلك الوحش سلبه فرصته وأعاد للجحيم الذي تركه خلفه "

كانت غارقة في دوامة أخرى وهي تستمع لمدى روعة زوجته المثالية التي حولته لملاك مسالم بينهما هي أيقظت الشيطان الحبيس، لما لا ترى منه سوى وجهه الآخر؟

عند بلوغه النقطة التي تحدث فيها عن مروان أرغمت نفسها على الخروج من دوامة الغيرة التي تسحبها لتصدمها معلومة أخرى، من يقف أمامها الآن يعرف كل الماضي بتفاصيله إذن لما سمح بصدام مروان وكمال مع حسام؟ ماذا لو فتح الماضي؟ لعنت نفسها، لقد فتح وانتهى الموضوع وحسام لا ينفك يسألها عما حدث لوالديه...

وكأنه قرأ تساؤلاتها وتخبطها فسبقها بالإجابة

- "لأنني أردته أن يحقق العدالة لهما حتى تخف حدة غضبه عندما يعرف الحقيقة فلقاءهما كان حتميا مهما طال الزمن، لكن حسب ما أعرفه كمال لم يعد موجودا أو أنه يحسن الاختباء جيدا"

رغم تنكرها لكل الصلات معه إلا أنه يبقى والدها، من كان يحميها حتى لو حرق العالم فداء لذلك، المهم أن تكون بخير، ليبتها فقط تعرف أي شيء أكيد عنه...

قطع أفكارها صوت إبراهيم وهو يجيب على هاتفه ومن نبرة صوته الرسمية فالموضوع كان يتعلق بالعمل، أشار لها بأنه سيخرج من الغرفة قليلا ليتحدث مع المتصل براحة فأومات برأسها وهي تشاهده يغادر قبل أن تلتفت للنائمة قربها غائبة عن كل ما يحدث واقتربت منها ببطء لتقف عند رأسها تتأملها ولا تدري كم استمر ذلك، كانت نظراتها غريبة لا تمت للشفقة التي كانت ترمقها بها في البداية والعديد من الأفكار تتخبط في عقلها قبل أن تستقر على قرار واحد...

\*\*\*\*\*

كان في مكتب الطبيب المسؤول عن حالة ندى عندما رن الهاتف الداخلي، راقب ملامحه التي اكفهرت قبل أن يبدأ في إعطاء التعليمات لمن يخاطبه في الجهة الأخرى... إحساس لم يستسغه تملكه وهو يستمع إليه... إحساس بالفقدان... ما أن أغلق الخط حتى التفت إليه وهو يتحرك من خلف مكتبه ليغادر بسرعة ليقول بتردد لم يعجبه

- " سيد حسام، زوجتك... "

وقبل أن يكمل جملته تحركت ساقاه ما أن سمع تلك الكلمة ليركض خارج المكتب سابقا الطبيب...

كان يجري في الرواق كالمجنون، غير مبال بمن يصطدم به، كل الوجوه انمحت، وكل الجدران اختفت، ولم يعد يرى سوى الطريق الذي يوصله إليها لكنه بدا طويلا جدا لا ينتهي كأنه سيستغرق إلى الأبد كي يبلغها، لما لا يصل إلى هناك؟ عليه الوصول إليها، هي تحتاجه، حبيبته تعاني كما عانت سابقا وهو بعيد عنها...

وصل أخيرا أمام غرفتها، جسده يتصبب عرقا من الركن والخوف عليها في نفس الوقت، أنفاسه هادرة كأنه يحتاج إلى أكبر قدر من الهواء، كاد قلبه يتوقف وهو يرى الممرضات يحاولن انعاشها وهي لا تستجيب، اندفع للداخل عندما كانت إحدى الممرضات تشحن جهاز الصدمات الكهربائية مرة أخرى، لينتفض جسدها بعنف ما أن لامسه لكن ذلك لم يغير شيئا في اشاراتها الحيوية، لم يستطع التحمل فأسرع إلى جانبها يمسك يدها بحب ويهتف باسمها عليها تسمعه، عليها ترحمه...

كان كالمغيب والمرضة تصرخ به أن يغادر حتى تستطيع القيام بعملها، لم يكن يسمعها نهائيا فقد عزل نفسه في عالم آخر يتوسل ذلك الجسد المسجى أن يجيبه، أن يخرج من صمته، أن يكافح من أجل الحياة، حياتهما معا...

ما أن وصل الطبيب حتى أبعدته عن جسدها غصبا عنه  
واستلم الجهاز من الممرضة بينما سحبتة الأخرى بالقوة  
وظلت ممسكة له حتى لا يتهور...

كانت هي في الزاوية البعيدة من الغرفة تكتم شهقاتها بيديها  
ودموعها تنهمر بلا توقف، إنها تتألم معه، رؤيته منهارا  
يشعرها بعشرات الخناجر تمزق قلبها بلا هوادة، هي لم تكن  
تخطط ليحدث كل هذا، لم يكن أي مما حدث في حساباتها...

كانت تنتفض وهي ترى الوجع في كل نفس هادر يخرجها، في  
كل نظرة ضائعة باتجاه من فقدت كل صلة بالحياة، يا إلهي  
إنه يحتاجها.. هي تستطيع أن تحس بذلك...

مدت يدا مرتجفة نحوه، تحاول أن تطبب على جرحه، أن  
تخبره أنها هنا إلى جانبه، أنها ستفعل المستحيل كي تأخذ  
وجعه بدلا منه، لكنها كانت بعيدة جدا عنه كأن سنوات  
تفصلهما...

قبضت أصابعها في الهواء بقوة حتى انغrust أظافرها في  
راحة يدها لكنها لم تبالي فما يشعر به هو أقصى بكثير،  
أعادتها أمام صدرها وهي تلعن عجزها وضعفها في تلك  
اللحظات...

بعد عدة دقائق من المحاولة استسلم الطبيب للأمر الواقع وسمعته يعلن وقت الوفاة قبل أن تخرق صرخة حسام صدمتها وهو ينفي الأمر غير مصدق لما يحدث...

كان كل شيء متداخلا ويجري بسرعة رهيبة أصابتها بالدوار، تراجعت للخلف حتى اصطدمت بالجدار وراها وهي تترك العنان لدموعها وشهقاتها وكل ما كانت تكبته...

أما حسام فقد اندفع مبعدا الجميع عن طريقه وأخذ ينعش ندى بنفسه، رافضا الإصغاء لأي أحد فلا قوة على وجه الأرض كانت قادرة على إخراجها من تلك المأساة، حتى أنه لم يسمح لأي منهم بالاقتراب منه أو منها.. كان هو الآخر دموعه تسقي وجنتيه في غمرة ألمه غير مبال بوجود جمهور حوله... أجل هو لا يهتم بالشخص الوحيد الذي يهتم به يضيع من بين يديه وهو عاجز...

عندما نجح الطبيب أخيرا في سحبه بعيدا رفع الملاءة البيضاء على جسد ندى مخفيا إياها ومغلقا كل أبواب الأمل في عودتها أمامه...

بعد حرب داخلها استطاعت استجماع بعض من قوة واهية لتقترب منه ببطء حذر، بينما كان هو لا يزال ضائعا، قبل أن

ينهار جالسا على الأرض فارتمت بسرعة إلى جانبه، تبكيه وتبكي فاجعته، حضنته بقوة كأنها الملاذ الأخير له، وتمسك هو بها أكثر كأنها الوهج الوحيد أمامه والذي سيخرجه من العتمة التي اكتنفته....

ظلا على حالهما قابعين على الأرض عدة لحظات، تهدئه بكل طريقة خطرت على بالها فهي لم تتوقع يوما الوضع الذي وقعت فيه، قبل أن تحس به يتململ مبعدا إياها عنه، ليتطلع إليها أخيرا، كأنه كان غائبا عن الوعي ولا يدري كيف وصل إلى هناك، بل أنه استغرق وقتا حتى تعرف على صاحبة الوجه المحترق الغارق في الدموع، راقبت انعقاد حاجبيه وتغير ملامحه قبل أن يدفعها بعنف حتى وقعت للخلف واستقام واقفا يتطلع إليها بعيون زائغة قبل أن يغزوها سواد أروعها فانكششت على نفسها وهي تزحف للوراء خصوصا وهي تسمعه يهدر فيها بغضب

- " أنت ما الذي تفعلينه هنا؟ ماهي خطتك؟ "

عندما استوعبت ما يصبو إليه من سؤاله هزت رأسها تنفي ما استنتجه، والكلمات تحجرت في حلقها ولم تعرف كيف تدافع عن نفسها سوى بحركتها تلك..

قطع المسافة التي ابتعدها عنها سابقا في لمح البصر لينقض عليها، شهقت بعنف وهو يقبض على ذراعها كأنه سيقتلعه ورفعها عن الأرض بحركة واحدة، ليهزها بقوة وهو يكرر  
سؤاله بصيغة أخرى

- " ما الذي فعلته لها؟ لا تصمتي، أجيبيني "

كان جوابها الوحيد دموعها التي استمرت بالانهمار، وعينيها المتسعة من الصدمة والخوف فمن تواجهه الآن هو وحش كاسر...

كانت تنتفض بين يديه لكنه لم يبالي بتاتا فهي في نظره مذنبه في كل شيء...

عندما عثرت على صوتها أخيرا لم يصدر منها سوى كلمات مبعثرة متقطعة وهي تجيبه

- " أنا.. لم.. لم.. أقسم... "

ارتفعت يده إلى ذقنها يضغظه بين أصابعه يكاد يحطمه في غمرة وهو يصرخ فيها

- " إياك أن تكذبي "



كانت تحس أن فكها سيتهشم في قبضته، تلوت محاولة تخليص نفسها لكنها لم تستطع فقوتها خذلتها، فهي لم تكن قادرة حتى على الوقوف لولا أنه يمسك بها فما بالك بدفعه...

كانت ستنهار عندما أحست بيد تمسكها وتجذبها بعيدا عن قبضته محررة إياها، استدارت قليلا لترى منقذها فوجدت إبراهيم الذي تقدم ليقف حائلا بينهما وهو يؤنبه، فسمحت لنفسها بالسقوط لتستقبلها الأرضية القاسية لكنها تظل أرحم مما كانت تواجهه قبل ثواني...

أما الآخر فقد سمعته يصرخ بأنها هي من قتلها وحاول الوصول إليها لولا وجود إبراهيم الذي ثبته بالقوة، بعدها بدأ كل شيء يأخذ شكلا مشوها وعيناها تكسوهما غشاوة، الأصوات تداخلت رغم علوها حتى أصبحت مجرد ضجيج غير واضح المعالم، تمسكت بالأرض تحتها تستمد منها توازنا لكن حتى هي كانت تميد، أنفاسها ضاقت وانقبضت كأنها تغرق في بحر شديد الظلام... دلكت صدغها وهي تكاد تفقد وعيها عندما امتدت لها يد تسندها ولم تتبين صاحبها سوى من اللباس الأبيض فاستنتجت أنها إحدى الممرضات فتركت لها نفسها لتخرجها من هناك...

عند وصولها للباب استدارت للخلف بضعف ملقية نظرة عليه  
قد تكون الأخيرة فهي لا تدري ما سيحدث لاحقا أو ما  
ينتظرها...

\*\*\*\*\*

بعد أن هدأت عاصفة غضبه واستكان، ضربه واقع أنه فقد  
نداه الغالية، لم يكن يرغب أن يشاركه أحد لحظات ضعفه  
فأمر الجميع بالخروج حتى قبل أن يقوم أي منهم بما يتوجب  
عليه، لم يكن لديهم أي نية في رؤية انفجاره مجددا فطبقوا  
الأمر بهدوء تفهما لوضعه، لم يقبل حتى بوقوف إبراهيم إلى  
جانبه وطلب منه المغادرة هو الآخر رغم محاولاته الحثيثة  
لإقناعه...

تطلع إلى الشاشة التي تعرض علاماتها الحيوية بآلم جعله  
يكبر سنوات وسنوات... هل يجب أن تكون اختبارات القدر  
بتلك القسوة؟ هل يقدر على الصبر؟

اقترب من جسدها المخفي عن نظره ورفع الملاءة عنه،  
ليلقي النظرة الأخيرة، هل حان الوداع فعلا؟ هل تلك هي  
النهاية؟ تراحمت ذكرياتهما معا في عقله، لقاءهما الأول،  
زواجهما، كفاحهما معا، سعادتهما، تألقها وابتسامتها كلما

عاد إليها، ابنتهما... كل ذكرى منهم كانت تجلده بسوط  
أقسى من السابقة...

انهار جالسا بجانبها على السرير يعتذر، نعم يعتذر عن كل  
لحظة كان السبب في نزول دموعها، عن كل لحظة لم يحس  
بأشواقها وكان بعيدا عنها، عن كل لحظة ألم لم يمسك يدها  
فيها ليؤازرها والأهم يعتذر عن فشله في حماية عائلتهما..

مسح الدمعة اليتيمة التي انسابت على وجنته قبل أن ينحني  
ليقبل جبينها بكل حب، قبلة تمنى أن تطول قليلا وتمنحه  
بضع ثواني أخرى قريبا منها... ابتعد عنها مجبرا لكن عليه  
ذلك إن كان سينفذ ما في باله...

ألقي نظرة أخرى على تلك الشاشة كأنها ستتغير لكن لا...  
إنها حقا النهاية، نهاية حياة جمعتهما، نهاية أحلامهما  
والمستقبل الذي رسماه بسعادة، كل ذلك سطره مجرد خط  
مستقيم على شاشة جامدة، وصوت رتيب يعلن خاتمة قلب  
خبا وتسللت منه الحياة، الحقيقة حياتهما معا فهي من أعادت  
له روحه بعد أن كاد يفقدها، هي لم تكن شريكة حياته فقط بل  
نقطة الضوء الوحيدة فيها...

تحرك أخيرا باتجاه باب الغرفة لكنه لم يكن نفس الشخص الذي كان عليه منذ قليل، كانت نظراته تقدح شرا وتصميما ولا أحد يدري من سيكون ضحية القرار الذي اتخذه وصمم على تنفيذه مهما كان الثمن....

\*\*\*\*\*

عادا للمنزل منهين تماما في وقت متأخر من الليل، بعد الدفن وانتهاء كل مراسم الجنازة، لقد كان يوما مرهقا بمعنى الكلمة فما مرا به لم يكن هينا اطلاقا، بدء بشجارها صباحا وانهيار ريمة وبعدها فاجعة موت ندى، لقد كانت وفاتها شبه متوقعة لكن ظل الخبر صادما، منذ أن تعرفا عليها صارت جزء من العائلة وفقدانها ترك أثرا بالغا خصوصا على ريمة، فقد كانت رفيقتها وأنيسة وحدثها في غياب حسام المستمر، حتى في المشفى كانت دائما إلى جانبها...

راقب ريمة التي تحركت باتجاه غرفتهما بخطوات مترنحة، طوال الطريق كانت صامتة شاردة كأنها عزلت نفسها عنه مجددا، لم يرد الضغط عليها لكنه لن يسمح بخلق مسافات جديدة بينهما، لقد حققا خطوة هائلة اليوم وإذا تراجعت عنها سيخسرهما هذه المرة..

تنهد بارهاق قبل أن يلحق بها... ما أن دلف الغرفة حتى رآها  
تجلس على حافة السرير، ظهرها منحني للأمام وشعرها  
يغطي أغلب ملامحها... عندما أحست بوجوده تطلعت إليه  
بنظرة أرعبته لحد ما، هو كان متأكدا من انهيارها الوشيك  
ولم تكن سوى مسألة وقت، لكنه لم يتوقع تلك النظرات  
الضائعة... كان وجهها شاحبا يكاد يكون خاليا من الدماء،  
عيونها اغرورقت بالدموع التي تنذر بالنزول في أي لحظة..  
اندفع نحوها ما أن تحركت شفاتها تهمس بأحرف اسمه،  
وجثا على ركبتيه أمامها ممسكا ليديها الباردتين كالجليد بين  
كفيه...

أخيرا تكلمت بصوت متقطع و غصة مؤلمة استحكمت حلقها  
- "أحمد، قل بأنك لن تتركني مهما حدث، لن أستطيع  
الاستمرار بدونك، أقسم أن أموت بعدك لو أصابك مكروه"  
وضع سبابته على شفتيها منهيها كلامها الذي اخترق قلبه،  
ماذا يقول هو، فلحظات قليلة فقط في بعدها أشبه بالإعدام  
بالنسبة له، أجابها بصوت دافئ متحشرج من تأثره  
- "شششش... أنا هنا حبيبتى ولن أتركك أبدا إلا إذا حان  
أجلي ووقتها لا اعترض على مشيئة الله"

راقب ملامحها التي تعكرت أكثر ودموعها التي بدأت  
بالانهيار ما أن سمعت جملته تلك....

لعن بصمت غبائه، هل كان يجب أن يتطرق لذلك الموضوع  
وهي في تلك الحالة الهشة...

رفع يده يمسح دموعها عندما سمعها تهمس

- " أرجوك فقط عدني أنك لن تتركني وحيدة... أرجوك... "

اقترب منها وهو يضم رأسها لصدره، فاستكانت قليلا ودقات  
قلبه التي تنبض لها تهدئها كترنيمة سحرية، ليهمس بهدوء  
وهو يمسد شعرها

- " أعدك، مهما حدث، معا للنهاية، فقط اهدئي "

ظلا عدة دقائق على ذلك الوضع، لم يحاول ابعادها عن  
حضنه بل تمسك بها أكثر وأكثر حتى استكانت تماما، بعدها  
أحس بها تتلمل بين ذراعيه فخفف الضغط عليها قليلا،  
فأبعدت رأسها عن صدره وسمعها تقول

- " لقد كان اليوم مؤلما جدا، خسارة ندى كانت فاجعة رغم  
توقعها، مراسم الجنازة كانت فوق قدرتي على التحمل، يا  
إلهي كنت أمسك نفسي حتى لا أنهار أمام حسام عندما كنت

أعزیه، لقد ظل لساعات تحت المطر بجانب القبر بعد الدفن،  
لولا أنك أعدته للبيت مجبرا لما غادر من هناك"

عاد ليتذكر صديقه، حاله لم يعجبه نهائيا، لقد كان غريبا،  
وهادئا جدا بطريقة أخافته، حتى نظراته كانت خالية من  
الحياة لا يكسوها سوى السواد، لقد أبعد الجميع عنه  
وانسحب ليبقى وحيدا، هو متأكد أنه يخطط لشيء...

قبل رأسها وهو يشكر الله على نعمته لوجودها بقربه قبل أن  
يجيبها بشرود

- "أتمنى فقط أن يلهمه الله الصبر في فقدانها وبعض العقل  
كي لا يتصرف بتهور..."

## الفصل الخامس عشر

كانا يجلسان متواجهين كأنهما في ساحة حرب، لكنها حرب  
مختلفة من كل النواحي، حرب باردة، استنزفت كل المشاعر،  
كان ميدانها تلك الشقة الصغيرة التي وفرها لها إبراهيم بعيدا  
عن الأعين، لكن من الواضح أنها لم تكن بعيدة كفاية عنه،

فيبدو أن لا شيء يصعب على ذلك الشخص إذا ما وضعه نصب عينيه...

كان يجلس على الأريكة المقابلة لها بكل أريحية كأنه بيته الخاص، يقاطع ساقيه متكئا للخلف بينما يفرد ذراعيه على ظهر الأريكة، يتطلع إليها بنظرات باردة ساخرة، معبقة برائحة الكره الذي تراه يكاد يقفز من عينيه ويسلب روحها...

حاولت التماسك على قدر استطاعتها والتصرف بهدوء بل حتى وبرود خصوصا بعدما حدث بينهما منذ ساعتين تقريبا...

تجاهلته لوقت طويل لكنها وصلت إلى أقصاها وهو يواصل تعذيبها بتلك الطريقة حتى استفز كل عصب فيها، فاستقامت واقفة وهي تزفر بضيق تنوي الابتعاد عن مجال تأثيره، الذي يضغط عليها أكثر من اللزوم وبالتأكيد سيفسد ما خططت له، لكنه رمقها بنظرات مهددة أشد فتكا من أي سلاح..

فتحت فمها تنوي الاعتراض عندما قاطعها صوت جرس الباب.. ارتفعت سرعة نبضات قلبها وهي تعي أن المواجهة



قد حانت وعليها التحلي بالقوة حتى تتجح، أما هو فقد تطلع إلى الساعة في معصمه قبل أن يبتسم بتهكم وهو يقول لها - "حان وقت العرض حبيبتي، ابترسمي ففي النهاية أنت عروس جديدة "

(قبل ساعتين)

أخيرا ستعود من حيث أتت، لا تدري كيف مرت السنتين بسرعة البرق منذ أن غادرت إنجلترا من أجل أن تساعد أمين، لكنهما كانتا مليونتين بالمواقع، خسرت الكثيرين ممن تحبهم خلالهما، ويبدو أنها خسرت قلبها أيضا، فرغم أنها لا تريد سوى الابتعاد عن هذا البلد إلا أن هناك شيء ما يشدها للبقاء... لما تشعر أنه يحتاجها؟.. هزت رأسها بعنف تخرج تلك الأفكار السخيفة من عقلها..

يحتاجها!!؟

أي فكرة عبقرية هذه!!؟ هو لا يتمنى سوى أن يفصل رأسها عن رقبتها ما أن تقع تحت ناظره..

تحركت من مكانها تجمع حاجياتها القليلة بسرعة وآلية والتي جلبتها لها المرأة التي أحضرتها إلى تلك الشقة بالأمس، فهي لم تكن تملك سوى الثياب التي كانت عليها عندما اتصل بها إبراهيم لتخرجها من المستشفى يوم وفاة ندى...

توقفت فجأة وهي تشعر أن قلبها يعتصر عندما عبرت مأساة ما حدث ذاكرتها، لقد كان يوما سيئا حرفيا، لم تتوقع تلك المصائب أبدا، لكن ما ألمها بشدة هو حالته، لقد كان محطما، ضائعا، ناقما على كل شيء حتى على نفسه، كأنه عاد نفس الشخص الذي تحول إليه عند وفاة والديه...

لقد ظلت في المقبرة تراقبه لساعات بعد رحيل الجميع، تشهد انهياره، وعوده، ذكرياته... تمنيت لو اقتربت منه، لو أخبرته أنها بجانبه، أنه يستطيع أن يشاركها أحزانه، لكن بأي صفة؟ بصفتها عدوته التي يمقتها؟ سائلة من دمروا حياته عبر السنوات؟ لا... لم يكن الوقت المناسب لمخاطرة كتلك... لكنها رغم ذلك لم تغادر إلا بعدما تأكدت أنه بخير برفقة أحمد الذي عاد لأجله واصطحبه معه بالقوة...

أفاقت من أفكارها على طريقة خفيفة على الباب، فعضت على شفتها تؤنب نفسها على تأخرها، فالسيد إبراهيم قد وصل كي يصطحبها وهي لم تجهز بعد...

تحركت بعفوية جهة الباب حافية القدمين، وهي لا تزال تحمل قطعة الثياب التي كانت في يدها، وما أن فتحتة حتى طالعها وجهه القاسي بكل معالمه الحادة... هل ازدادت وحشيته أم أنها تتوهم فقط؟ حاولت غلق الباب وعدم السماح له بالدخول لكنه دفعه بقوة فارتد للخلف وكاد يسقطها لولا أنها تماسكت قليلا، وتقدم للداخل بعد أن أغلقه خلفه...

لن تكذب وتقول إنها لم ترتعب، فمظهره لم يكن مريحا أبدا، كان يبدو كمن تلبسته روح شريرة، تمنى فقط لو تهرب لآخر نقطة في العالم لحظتها وألا تقع تحت رحمته، لكنها رغم ذلك تشفق عليه،

لا تدري كيف استطاعت جمع الشعورين معا في قلب واحد، لكنها نجحت في ذلك...

حاولت النطق وتحرير صوتها فلم يصدر عنها شيء سوى حركة شفتيها الصامتة... أما هو فقط أمال رأسه جانبا ونزل بنظره من وجهها الشاحب حتى قدميها ليتوقف قليلا عند

القميص في يدها، فارتفعت زاوية فمه بسخرية قبل أن يعيد  
عينيه إليها وهو يسألها

- "تتوين الذهاب لمكان ما؟"

قبضت أصابعها بقوة على القميص وأعادتها خلف ظهرها،  
قبل أن تطالعه بقوة متهاوية وترد على سؤاله بصوت مهتز

- "ما الذي فعله هنا؟ لا شيء لك عندي، لذا لو سمحت  
فلتخرج لدي عمل أنهيه"

أنهت جملتها وهي تجاهد للتمسك بقوتها دون أن تحيد  
عينها عن عينيه، فتقدم الخطوة التي كانت تفصلهما ببطء  
قاتل جعلها تبتلع ريقها بصعوبة خوفا منه، فهي صارت  
تتوقع منه المستحيل، خصوصا أنه في حالة نفسية غير  
مستقرة..

لم يعد يفصلهما سوى انشآت قليلة.. أحست أن الهواء لم يعد  
كافيا وهي تراه بذلك القرب وقد أخفض رأسه ناحية  
وجهها... هربت بعينيها منه لكنه أمسك ذقنها ورفع وجهها  
كي تواجهه...

تطلعت إليه بعيون زائغة قابلها بأخرى تخلت عن جبال الصقيع التي كانت تغلفها منذ قليل واحتلتها عواصف سوداء قادرة على ابتلاع كل من ينظر إليها..

تململت بضيق كي تبعد وجهها عن قبضته لكنه أحكم أصابعه حوله، قبل أن يقرر أخيرا عتقها من معاناتها واجابتها على سؤالها

- " الحقيقة أنت مدينة لي بالكثير.. الكثير جدا... بدءاً بتواجدك المريب في غرفة زوجتي وللصدفة تزامن مع موتها، ارتباطك بماضي والداي والحادث، علاقتك السرية بإبراهيم، أمين، أحمد والأهم كمال... اختاري أي موضوع تريدن التحدث عنه منهم فكلي آذان صاغية"

ناظرته للحظات قبل أن تنفجر ضاحكة وهي تدفعه عنها وقد قررت السباحة في مياه عميقة لا تدري إلى أين ستوصلها لكن لا يهم...

تراجع للخلف وقد قطب جبينه وطالعتها بتوجس وهي تواصل ضحكها متسائلا عن اللعبة الجديدة التي تلعبها... وأخيرا بعد أن هدأت واسترجعت أنفاسها بصعوبة خرج صوتها مهتزا رغم محاولتها السيطرة عليه ومواصلة التمثيلية

- " أنت مريض.. لديك هوس بالمؤامرات التي تحاك ضدك، لا بد أنك طلبت تحاليل لزوجتك وتنتظر النتيجة ولو كان هناك شيء يدينني لكنت قتلتني منذ دخولك، أما علاقاتي الخاصة فليست من شأنك فلا تحشر أنفك فيها... والآن أنا أرجوك أن تتصرف فلا طاقة لدي للتعامل مع جنونك في الوقت الراهن " وبدل أن تكون وجهته باب الخروج، كانت رقبتها في قبضته في ثواني، حاولت الفكاك منه لكنها كانت كمن يدفع جدارا صلبا..

أحست بأنفاسه الهادرة تحرق جانب وجهها وهو ينحني ليهمس بفحيح قرب أذنها

- " ليلي لا تلعبى معي مثل هذه الألعاب، فليس من مصلحتك استفزازي لأنى لن أجد صعوبة في دفنك هنا بالذات دون أن يرف لي جفن "

احتقن وجهها وهي تحاول التنفس بصعوبة بينما يدها تبعد ساعده عن رقبتها دون فائدة عندما سمعته يهمس من جديد

- " لا تقاومي يا صغيرة، أنت لست ندا لي، فإما أن تعترفي بإرادتك وتتجنبي ما سيحل بك، أو ستكون حياتك جحيما لآخر يوم وسأحرص على أن يكون ذلك اليوم بعيدا جدا، حتى

تتذوقي كل فنون العذاب... والآن أخبريني كيف تريدني أن  
يتم الأمر؟"

ضربت صدره عدة مرات لأنها لم تعد قادرة على التحمل لمدة  
أطول، فخفف من قبضته قليلا دون أن يحررها تماما،  
فاستنشقت الهواء بقوة كأنه سينفذ في أي لحظة إن لم تغتم  
الفرصة، قبل أن تتماسك وهي تشجع نفسها، هي لن تنهار،  
لقد اتخذت قرارها ووضعت تردددها وخوفها جانبا، ستغامر  
بكل شيء بما في ذلك حياتها فهي في النهاية مدينة له  
بذلك...

رفعت رأسها مقابلا له تستدعي كل ذرة ثبات تمتلكها، رغم  
أن جسمها لم يتخلى عن رعشته بعد، ليعلو ملامحها جمود  
جعله يتراجع للخلف في حركة دفاعية قبل أن تحتد نظراته  
ويتحفز كل عصب بجسده خصوصا وهي ترفع أسلحتها كلها،  
حان الوقت ليجد شخصا جديدا ينفس فيه عن غضبه وأي  
شخص أفضل منها لتجعله يفعل ذلك، لا بأس تستطيع أن  
تتحمل الأذى لوقت شرط ألا يدمر ذاته كما يفعل دائما، تعلم  
أنها قوية...

سمعها أخيرا تجيبه بنبرة جوفاء، باردة، قاسية أصابته في الصميم مباشرة فهي في النهاية ابنة كمال ومهما أنكرت تستطيع أن تكون أقسى من قابض أرواح متعطش

- "لم يعد هناك داع لإنكار أي حقائق بعد الآن، الحقيقة هي أن كل ما أريده في هذه الحياة بعدما فعلته بي أن أراك تعاني الأمرين، أن تبقى وحيدا منبوذا ومحطما أيها الوغد"

دفعها بعيدا عنه كأنها وباء معدي، وهو يتطلع إليها بنفور، رغم أنه كان يتهمها منذ لحظات لكن أن يسمعها منها بتلك البساطة كأنها تخبره مزحة أمر لا يستطيع استيعابه أو تصديقه...

سألها بريية

- "لما كنت تنكرين الأمر إذا؟"

وبنفس النبرة أجابته وهي تميل برأسها جانبا

- "الموضوع أشبه بلعبة القط والفأر، فالقط دائما يتسلى بضحيته قبل القضاء عليها"

هز رأسه بعدم تصديق، كيف يمكن لبشر أن يكون مليئا بالبشر لذلك الحد؟



همس ببطء كأنه يحفر الحقائق في عقله

- " هل كان ذلك انتقامك مني؟ هل فعلت ما فعلته كي ترديها لي؟ وفي ندى؟ بالله عليك لقد كانت في غيبوبة... "

واصلت وضع نفس القناع الجامد وهي تؤلمه أكثر وأكثر،  
تحتاج أن تدفعه للحافة، وقالت بتهكم

- " ربما نعم، وربما لا... هل يمكنك التأكد؟ لن تجد شيئاً في التحاليل أوكد لك... "

جذبها ناحيته بقوة هزت أوصالها، قبل أن يقول مركزاً على كل حرف كي تختزنه في ذاكرتها

- " جحيمك بدأ من هذه اللحظة يا ليلي، لكن قبل ذلك سأحرص على ألا يخرجك منه أحد "

دفعها عنه بعنف، قبل أن يستل هاتفه من جيبه الخلفي وهو يتصل برقم ما ويطلب منه ما يحتاجه...

ابتسامة انتصار مريرة شقت طريقها إلى شفيتها وهي تستمع للمكالمة، لقد توقعت حركته تلك أو بالأحرى هي من سعت إليها وهي تدفع بالظنون لعقله وتتلاعب به...

(عودة للوقت الحاضر)

ابتلعت إهائته عن كونها عروسا بصمت، كل ما عليها فعله هو مجاراته فيما يفعله حتى تنفرد به، هي من ارتضت لنفسها ذلك وعليها الصمود للنهاية، لن تتراجع عند أول الطريق، ليست هي من ترفع راية الاستسلام...

قمعت افكارها جانبا وهي تعي أن حسام قد فتح الباب وسمعته يقول بسخرية صارت طبعا جديدا عنده

- " لقد تأخرت قليلا سيدي، فانتك كل المراسم لكن لا بأس بالتهنئة الآن "

عاجله بلكمة كانت قوية رغم سنوات عمره التي تجاوزت الستين، أفقدته توازنه قليلا، لكنه سرعان ما استرده وهو يعتدل في وقوفه بعد أن مسح طرف شفته الدامي، ليقول ضاحكا

- " شكرا على الهدية، مقبولة منك، لحسن حظك لازلت أحترمك رغم أنك خسرت ثقتي بك أو كنت رددتها لك "

تجاهل الرد عليه رغم أنه رمقه بنظرات حارقة، واتجه إلى الواقفة بهدوء لا يعكس أوصالها المرتعشة، ولا نبضات

قلبها المجنونة خشية مما سيعتقده بها هذا الشخص الذي لا تستطيع إلا أن تقول إنها تحترمه أكثر مما احترمت والديها...

- " هيا ستغادرين معي، كل تجهيزات سفرك تم اعدادها "

أصدر أمره بحزم دون وجود فرصة للمناقشة أو الاعتراض... لحظات مرت وهي لم تتحرك ولم تنبس بكلمة... أخيرا أدرك ترددها أو بالأحرى تقريرها لما سيحدث لاحقا... لقد علم بزواجهما قبل وصوله عندما تلقى ذلك الاتصال، لقد شك أنها كانت مجبرة لكن ما يراه الآن يقول شيئا آخر...

زفر بضيق قبل أن يسألها بحدة للمرة الأخيرة

- " هل أنت متأكدة من قرارك؟ "

وكان بينهما لغة حوار خاصة، مجرد نظرة إلى عينيها رأى فيها كل التصميم والإصرار، رأى إرادة لا تقهر، لكنه يعلم جيدا أي مصيبة أوقعت فيها نفسها رغم جهله للأسباب كلها..

هو يثق بها لأقصى الحدود ويعلم جيدا أنها ستلجأ إليه ما أن تحتاجه وحتى ذلك الوقت ستبقى تحت نظره دون أن يتدخل...

استدار عنها وتحرك مغادرا بسرعة دون أن يتفوه بحرف إضافي، فلحقته عند الباب وهمست تناديه برجاء، كأنها تريد تأكيدا أنه يفهم ما فعلته...

توقف دون ان يلتفت إليها قبل أن يجيبها بخيبة أمل

- " لقد خيبت ظني، كلامكما فعل، أرجو فقط أن تعرفي ما تفعلينه جيدا "

تهتدت بقلّة حيلة وهي تفكر أن الطريق لا يزال طويلا وأمامها معركة صعبة لتكسبها، وعت لنفسها وهو يأمرها بحدة

- " هيا تحركي، سنغادر لسجنك الأبدي "

\*\*\*\*\*

كان الوقت يقارب منتصف النهار عندما استيقظت بتكاسل ورغبة ملحة بالعودة للنوم مجددا فهي في النهاية أخذت إجازة لترتاح قليلا...

لا تدري كيف غفت ليلة أمس بعد ما حدث، لقد ظلت تبكي لوقت متأخر وتتحدث وحتى تهذر بكلام غير منطقي، لكن أحمد لم يفارقها أبدا وتحمل كل نوباتها..

ابتسمت بشجن وهي تتذكر حالتها المزرية لابد أنه كان  
يمسك نفسه بالغضب كي لا يفر بعيدا عنها فزعا من شكلها  
بعد نحيبها المتواصل لكنها كانت فعلا بحاجة ماسة لأن تحس  
أنه بجانبها كما لم تفعل من قبل...

ألقت نظرة على الباب من المطبخ المفتوح وهي تسمع صوت  
المفتاح، عندما رآته يدخل وتلقائيا ابتسم بعاطفة يخصها بها  
ما أن وقع نظره عليها..

كان شكلها طفوليا بوجهها الذي لا يزال يحمل آثار النوم،  
شعرها الأشقر المكوم في كعكة بدون معالم خصوصا وان  
أغلب خصلاته قد تحررت من عقالها، وقميصها الصوفي  
المفتوح بلونه الأبيض والذي يكاد يبتلعها بحجمه الضخم  
يعلو فستانا قطنيا منزليا قصيرا... تلك هي زوجته في لحظة  
تلك الفاتنة القاتلة وفي الأخرى الطفلة الظريفة التي يريد  
التهامها... حسنا إتهامها لا يبدو فكرة سيئة جدا... لكنها  
تظل في كل حالاتها مهلكة لمشاعره وقلبه الذي لا يتوق  
لغيرها...

بإحراج من تأمله لها، عندما تقدم منها وقبل وجنتها

مستغرقا وقته في الاستمتاع بلمسها الناعم، ورقتها  
المخدرة، وعطرها الذي يسبب الإدمان...

مسدت عنقها وهي تخفض رأسها خجلا وهي تتلاعب بكوب  
القهوة الساخنة في يدها لا تدري كيف تتصرف معه، فهي  
آخر شخص على وجه الأرض قد يكون مندفاعا في مشاعره...  
تتحننت تجلي حنجرتها قبل أن تسأله لتخرج من الجو الذي  
يحيطهما وتكاد تغرق فيه وهي تشير لآلة تحضير القهوة  
- " هل أسكب لك القليل؟ "

التمعت عيناه بشقاوة قبل أن يجيبها

- "لقد شربت قهوتي الآن... حلوة كما أعشقها تماما"

احمرت وجنتاها بخجل ما أن أدركت ما يقصده لتغير  
الموضوع بسرعة وهي تهرب بعينيها للكوب الذي تحمله  
قبل أن تسأله

- " تبدو مرهقا للغاية، فأنت لم تتم وقد خرجت باكرا حتى  
أني لم أحس بك عندما غادرت الفراش "

- " وغلطة من أني لم أنم ليلة أمس أبدا "

رفعت عينيها عندما سمعت لهجته المتهمة لتجده يتطلع إليها  
بخبث وحاجباه يتراقصان بمشاكسة...

غزت الحمرة بياض بشرة وجهها وهي تتذكر ما حدث  
بالأمس بعد انهيارها بين ذراعيه تقريبا تتوسله أن يبقى  
معها، لكنها رغم ذلك هتفت فيه باندفاع

- " لقد استغلّيت ضعفي أيها الوقح فلا تلمني أنا.. "

اتسعت عيناه وهو يراها تجاربه عكس ما توقع قبل أن  
يجيبها بشقاوة

- " بل أنت من استغلّيت طيبة قلبي، لقد تكورت كالقطط في  
حضني ودفنت رأسك في رقبتني، فكيف تتوقعين مني  
التصرف وأنفاسك الدافئة تداعب كل أوتاري الحساسة، لقد  
كانت لعبة دنيئة منك، أنت نمت بهدوء بينما أمضيت ليلتي  
أتقلب على صفيح ساخن.. "

زمت شفثيها بدلال قبل أن تجيبه بغرور أنثى تعرف قوة  
تأثيرها جيدا

- " لا تتذمر، لقد كنت تعيش حلمك أيها الوقح المستغل... "

ضحك ملء شذقيه وهي تندفع بعفوية دون حواجز، من الجيد أنها لم تعد لإبعاد نفسها عنه، فيبدو أنه يسير معها على الطريق الصحيح..

بعد لحظات سمعها تسأله بجدية

- " أين كنت منذ الصباح الباكر؟ هل حدث شيء ما؟ "

اختفت ملامح السعادة من وجهه وهو يتذكر ما فعله صباحا، فتطلعت إليه بتوجس قبل أن تسأله بقلق

- " ماذا حدث؟ هل حسام بخير؟ "

تتهد بارهاق قبل أن يسحب الكرسي ويجلس مقابلا لها ليجيبها

- " لا... لا أظنه بخير إطلاقا "

انتظرت بقلق وهي تبحث في عينيه عن أي خبر سيء حين سمعته يتابع

- " لن تصدقي ما حدث... يا إلهي، أنا كنت هناك ولازلت لا أصدق... لقد اتصل بي صباحا، ظننت أنني تفاجأت لاتصاله فهو تقريبا طردنا بالأمس لأنه يريد البقاء وحيدا، لكن



المفاجأة الحقيقية كانت لما طلب مني إحضار الإمام وشاهدين  
للعنوان الذي أملاه علي..."

صمت قليلا قبل أن يصددها هي الأخرى

- "حسام تزوج اليوم، وممن؟ من ليلى!!"

اتسعت عيناها وتدلى فكها حرفيا من هول المفاجأة... حركت  
شفتيها عدة مرات تحاول صياغة عبارة مفهومة لكن  
الحروف هربت منها ولأول مرة في حياتها...

وأخيرا بعد عدة محاولات فاشلة استطاعت تكوين بضع جمل  
مبعثرة

- "حسام تزوج؟! بعد يوم من وفاة ندى!! هذا غير معقول،  
بل لا يتقبله عقل... كيف حدث ذلك؟ ومن ليلى دون كل  
النساء؟ لو كانت أخرى كنت شككت قليلا أنه يبحث عن  
تحتوي حزنه، لكن هي!! الرجل كاد يقتلها في المستشفى...  
لا بد أنه فقد عقله"

حرك كتفيه في إشارة منه أنه لا يعرف فيما يفكر أو إن كان  
يفكر في المقام الأول...

تراجعت للخلف تستند على ظهر الكرسي لتشرذ قليلا تحلل ما سمعته قبل أن تقول

- " لا بد أنه يخطط لأمر ما له علاقة بليلي... أنا أشفق على المسكينة كيف استطاع اجبارها"

أجابها بهدوء وهو يفكر هو الآخر

- " لم تبد لي مجبرة، بل مقتنعة بما تفعله رغم أنها كانت خائفة قليلا، لقد رمت نفسها في بحر مظلّم... حسام حاليا غير متزن وقد تكون تسير نحو نهايتهما معا..."

## الفصل السادس عشر

هل قسوة العقاب تكون بقدر بشاعة الجريمة؟ إذا فجريمتها أسوء مما كانت تتخيل، لأن ما تمر به الآن لا توجد كلمات في قاموسها لوصفه...

كان الوقت متأخرا من الليل عندما أصبحت آلام جسدها مبرحة، بل لا تطاق، لم تعد قادرة على تحمل المزيد، فلو كانت صخرا لتفتت فكيف بإنسان أن يقاوم كل ذلك؟ كانت تحس بأن كل عصب في جسمها يتمزق، لقد صبرت لساعات طويلة جدا دون أن تشتكي لكن مهما كان الشخص شجاعا وقويا إلا أن هناك لحظات تخور فيها كل القوى لأن الجسد هو من يتخاذل في النهاية وليس الإرادة....

لقد رماها في نفس الغرفة التي وضعها فيها أول مرة، الفرق الوحيد هو أنها مسجونة الآن حيث أغلق الباب عليها منذ أحضرها وقت الظهر ولم تر وجهه بعدها، حتى أنه لم يهتم إن كانت حية أو قتلت نفسها... فقط لو أحضر لها أدويتها بدل ما تعيشه الآن من عذاب...

أغمضت عينيها تعتصرها بقوة، ووتيرة تنفسها تزداد بازدياد الألم... تراجعت للخلف على السرير جالسة وهي تضرب رأسها على الجدار وراءها بينما أصابعها تتمسك بقميصها الصوفي تكاد تمزقه....

تجمعت حبيبات العرق على جبينها فحرارتها كانت مرتفعة جدا، لكنها كانت تحس أن موجة صقيع باردة تجتاحها بعنف...

انكشيت على نفسها لكنها أحست كأن عشرات السكاكين تخترقها دون رحمة، فكتمت صرخة كادت تطلقها وهي تعض على اصبعها بقوة...

تحاملت على نفسها حتى وصلت عند الباب تكاد تقسم أنه لو كان أبعد قليلا لزحفت نحوه لأن أطرافها تكاد تخذلها فعليا.... طرقت عليه بصورة متواصلة بكل ما أوتيت من قوة تصرخ بأعلى صوتها وهي تحرك مقبض الباب تكاد تقتلعه من مكانه لكن لا مجيب، هي متأكدة حتى لو كان هناك لن يجيبها حتى لو توصلت إليه لأنه ببساطة يريد اخضاعها حتى تعترف... ربما تفعلها وتخلص نفسها إذا قتلها وأنهى الموضوع....

انزلقت على سطح الباب لتجلس أرضا تستند عليه بظهرها وغمرت وجهها بكفيها تخفي دموعها حتى عن نفسها... يا إلهي كم كانت غبية لتفكر في خطة فاشلة كالتى ابتكرتها، هي بالكاد تستطيع الصمود أمام وجعها، فكيف ستقف إلى

جانبه هو وتداوي جراحه التي لم تشفها السنين ولا حتى زوجته شبيهة القديسة، كان عليها فقط اخباره بكل ما حدث بدل المسرحية السخيفة التي تلعبها مدعية فيها البطولة والشجاعة...

لا تدري كم مضى عليها وهي في ذلك الوضع فكل الدقائق كانت تمر بنفس درجة السوء حتى أنها اعتقدت أن الوقت توقف ليتواصل جحيمها إلى أبد الدهر، عندما سمعت صوت خطوات تقترب، بالتأكيد هي له لأنها تميزها عن غيرها ولأن منفاها لا يوجد فيه غيرهما.... استقامت واقفة بصعوبة حتى اعتدلت في وقوفها حين فتح الباب وأطل منه حسام بوجهه المتجهم كعادته معها...

تطلع إلى ملامحها المتعبة التي تنطق ألما دون أن تتغير نظراته القاسية، لم تكن هناك أي لمحة للشفقة فيها، لو كان قد من فلاذ لكان شعر بها...

- " لقد كنت تضربين الباب وتصرخين، هل غيرت رأيك وقررت التحدث أخيراً؟ "

أخذت نفساً طويلاً مؤلماً بسبب إصابتها وضغطت على نفسها كي تتماسك لكن صوتها رغم ذلك خرج متعباً وهي تقول

- " شكرا لك على عطفك، كان ذلك قبل ساعات أيها... "

كتمت ما كانت ستتفوه به داخلها فهي لا تريد اغضابه أكثر  
مما هو فيه لتتابع

- " هلا أحضرت لي أدويتي لو سمحت؟ أم أن حرماني منها  
هو جزء من سياسة العقاب التي تمارسها علي؟ "

لم يفهم في البداية ما قصدته لكن نظرة سريعة لوجهها  
الشاحب المتعرق، ويدها التي تسند أضلعها تذكر إصاباتهما،  
لكنه لم يبد أي ردة فعل بل حافظ على جموده فهو لن يسمح  
لها بالتلاعب بعواطفه فينساق وراء شففته نحوها، ليقول  
بصوت قاس

- " إذا أردت دوائك يجدر بك البدء بالكلام حتى تختصري  
على نفسك رحلة العذاب هذه "

تجمعت الدموع الحبيسة في مقلتيها قبل أن تسيطر عليها  
بسرعة لتقول بغصة مكتومة

- " بالله عليك حسام، ألا ترى حالتي؟ أنا أكاد أموت وجعا  
وأنت تفاوضني!! أرجوك فقط أحضر لي المسكنات ولن  
أطلب منك شيئا آخر.... أرجوك "

تجنب النظر لعينيها حتى لا ترى تأثيره فهو في النهاية إنسان  
قبل أن يستدير مغادرا وهو يقول ببرود

- " حسنا كما تريدین، تحملي الألم إذا استطعت... "

ليخرج ببساطة تاركا إياها تناديه

- " حسام... حسام... أرجوك... لا تكن قاسيا لهذه الدرجة... "

لكن لا فائدة، فبمجرد خروجه ابتعد عن الغرفة بسرعة قبل  
أن يتراجع عن قراره....

\*\*\*\*\*

كان يجلس إلى مكتبه في العتمة يراقب انقشاع ظلام الليل  
تدرجيا حتى بدأت أولى أشعة الصبح بالبزوغ، ابتسم بتهكم  
قبل أن يعيد تلك السيجارة التي تغرقه وسط غمامتها السوداء  
بين شفثيه لتواصل احتراقها كما يحترق هو... لما هو فقط لا  
تزول الظلمة من حياته؟ لقد حكم عليه بفقدان من يحبهم  
واحدا تلو الآخر ليبقى وحيدا... ترى متى يحين دوره هو؟

قاطع أفكاره صوت جرس الباب، تجاهله وهو يسحب من  
سيجارتته مرة أخرى لينفث دخانها ويتأمله بشرود أقرب  
للضياء، لكن ذلك الرنين لم يتوقف فتحرك من مكانه بفتور

عل المزعج الذي لا يحترم نفسه يرحل بعد أن ييأس لكن ذلك لم يحدث...

عندما فتحه أخيرا اندفعت ريمة للداخل دون استئذان وهي تدفعه عن طريقها فتطلع إليه أحمد بقلّة حيلة...

زفر بعنف وهو يغلق الباب بقوة لتقابله بثورتها ما أن التفت ناحيتهما

- " أين ليلى؟ ما الذي فعلته بها؟ "

تجاهلها وهو ينظر إلى أحمد الذي شد انتباهه السجارة فهو يعلم أن حسام لم يدخن منذ التحق بالجيش وعودته لتلك العادة السيئة يعني أنه أدرك الحضيض

- " خذ زوجتك وغادرا "

لم تعر كلامه أي أهمية وهي تتحرك نحو الغرفة التي تعرفها جيدا... حاول اللحاق بها لكن أحمد منعه وهو يمسك ذراعه قائلا

- " دعها ترها، لأنني أريد التحدث معك على انفراد "

جذب يده من قبضته وهو يبتعد عنه قبل أن يقول بحدة



- " أعلم ما ستقوله جيدا لذلك سأختصر عليك الوقت، لا أحد له شأن فيما أفعله في حياتي أو بليلي فهي من ارتضت ذلك دون أي إجبار "

هز أحمد رأسه بيأس منه قبل أن يقول بعتاب

- " لما تصر على تدمير حياتك و حياة الفتاة المسكينة، أعلم جيدا أنها لم تقتل ندى كما تدعي أنت، لقد أرسل لي فارس كل التحاليل التي أجبرته على القيام بها، المسكين أوقف كل أعماله بسبب ترهيبك له، لا يوجد فيها أي شيء غير طبيعي بل كله من نسج خيالك، أنت... "

قطع حديثه وهو يرى ريمة تعود ناحيتهما وملاحمها متجهمة، هو يعرفها جيدا ومن الواضح أنها لا تنوي أن يمر اليوم على خير...

وقفت أمام حسام لتتطلع إليه بضيق وخيبة أمل قبل أن تقول

- " كيف تغلق عليها الباب هل هي حيوان أم ماذا؟ كيف استطعت؟ هيا أعطني المفتاح أريد أن أرى إن كانت بخير "

ضغط على أسنانه بقوة قبل أن يقول

- " ريمة لا تتدخل في ما لا يخصك وارحلي، ولعلمك أنا لم أقرب منها ولم ألمسها بسوء "

مدت يدها مفتوحة ناحيته وهي تقول بعناد

- " إذا لن تمنع أن أراها، وإلا أقسم لك أن أهد البيت على رأسك وتعرفني جيدا، أستطيع أن أفعل ما هو أسوء من ذلك "

لم يكن أي منهما ينوي التراجع عما يريداه عندما تدخل أحمد قبل أن يتأزم الوضع أكثر مما هو عليه بالأساس

- " حسام دعها فقط تراها، البنت مريضة ولا ضير من الاطمئنان عليها، أرجوك لا تكن عنيدا من أجل العناد فقط "

أخيرا وبعد تفكير مع نفسه أدخل يده في جيبه قبل أن يسلمها المفتاح...

لم يمض على ذهابها سوى لحظات عندما سمعا صوت صرختها وهي تنادي أحمد ليندفع كلاهما نحو الغرفة...

عندما فتحت الباب توقعت كل شيء إلا أن تجد جسد ليلي مرميا على الأرض، وأول ما خطر على بالها أن ذلك المتوحش قد قام بأديتها، فاندفعت نحوها لتجتو أمامها

وترفع رأسها بين ذراعيها تهمس باسمها قبل أن تناديهما  
بسرعة...

كان حسام هو أول من وصل إلى هناك ليجدها في تلك الحالة،  
مغمى عليها وهي بين ذراعي ريمة...

تسمر مكانه للحظات يتطلع إليها بنوع من الرهبة، هل  
هي....؟

فرك وجهه بين يديه وهو يستعيد بالله من الشيطان، قبل أن  
تهتف فيه ريمة أن يساعدها في حملها للسريير، لكنه لم  
يستطع أن يتقدم خطوة واحدة بل خرج من المكان كأن  
الشياطين تلاحقه حتى أنه اصطدم بأحمد في طريقه....

\*\*\*\*\*

استطاعت ريمة تولي الموقف بمهارة كعادتها بينما ساعدها  
أحمد في احضار كل ما تحتاجه من الصيدلية القريبة، أما  
حسام فقد عزل نفسه في غرفة المكتب، لا يدري هل يعاتب  
نفسه أم يهرب من المواجهة أم يبعد نفسه عنها حتى لا  
يتسبب في مزيد من الأذى لها...

لا يدري لما لا يستطيع السيطرة على انفعالاته وهو بالقرب منها كأنها تستحضر شخصيته المتوحشة البدائية...

- " هل أصبح الاختباء من عاداتك الجديدة يا صديقي؟ "

لم يرفع رأسه لمواجهة أحمد وظل صامتا يستمع إليه وهو يتابع

- " أنت هنا منذ ساعتين تختبئ كالجبناء، لعلمك فقط هي

بخير نظرا لكل ما تمر به... اسمعني يا حسام لا أدري لما خضعت هي لقرارك المجحف في حقها لكن أنت إلى أي مدى تريد الوصول؟ إن كنت تبحث عن شخص ترمي أثقالك عليه ففكر جيدا قبل أن تؤذي الفتاة أكثر، لا تهرب إليها مدعيا تحقيق نوع من العدالة، هي لن تستطيع الصمود طويلا.. "

عندما لم يجد منه أي رد فعل تنهد بتعب منه قبل أن يقول

- " ابق صامتا كما تريد، لقد جئت أخبرك أنها كانت تهذي باسمك منذ وقت، ربما يجدر بك الذهاب للاطمئنان عليها بدل السجن الذي تحبس فيه نفسك هي لا تلومك كما تفعل أنت "

وبما أنه متأكد أنه لن يجد أي إجابة على كلامه فقد خرج بمجرد أن أنهى ما جاء لقوله تاركا الآخر غارقا في عالمه الخاص من العتمة...

من ناحية أخرى كانت ريمة في غرفة ليلى تتفقد حرارتها حيث وضعت يدها على جبينها عندما فتحت الأخرى عينيها بصعوبة لتمتم بتعب

- "هل أدين لك بشكر آخر يا دكتورة؟"

ابتسمت ريمة بلطف وهي تتراجع للخلف لتجلس قربها على السرير قائلة

- "كيف تشعرين الآن؟"

تطلعت ليلى حولها قبل أن تقع عيناها على المحلول المعلق المتصل بوريدها قبل أن تعود إليها بنظرها قائلة بتهكم

- "كمن دهسه قطار لكنه يحس أنه يطير على سحابة، ما الذي حققتني به؟ مورفيين مثلا؟"

ضحكت المقابلة لها بصدق قبل أن تمازحها قليلا

- "إذن أنت بخير تماما وواعية أيضا، كما أنه مسكن من درجة أقل لذا أشك في موضوع الغيمة التي تحدثت عنها...."

والآن أخبريني ما الذي يحدث معك لم ألتق بك مرة إلا وكنت شبه ميتة أو مغمى عليك.. هل أنت مغناطيس للمصائب أم ماذا؟"

أبعدت وجهها عنها كي لا ترى النظرة التي كست عينيها وهي تجيبها بمرارة

- "ربما أنا مصيبة في حد ذاتي... أين حسام؟"

تغيرت ملامح ريمة واختفى المزاح منها ليتحول إلى ضيق لم تبذل جهدا في اخفائه لتشير برأسها جهة الخارج مجيبة إياها بنزق

- "إنه في مكتبه منذ أن جننا لابد أنه يلوم نفسه أو يخطط كيف يعذبك من جديد وحقيقة أرجح الاحتمال الثاني لأنه أصبح شخصا آخر تماما..."

أسندت ذقنها على يديها المتشابكتين وهي تثبت نظرها على الشاردة أمامها قبل أن تسألها بجدية

- "لقد سمعت أحمد يكلمه، هل سبب قبولك للزواج هو موت ندى؟ هو متأكد أنه لا علاقة لك بذلك والتحليل أثبتت الموضوع لكن حسام لا يبدو مقتنعا، هل غصبك على

الموافقة؟ لأنه إن فعل ذلك أستطيع أنا وأحمد اخراجك من هنا ولو بالقوة ولن يجرأ أحد على الاقتراب منك حتى هو" لم تجبها لعدة لحظات حتى ظنت أنها ستتجاهلها عندما قالت بهدوء

- "أنا لم ألمس زوجته بأذى ولم أخطئ لذلك... حتى وجودي في المشفى كان صدفة، هو من أخذني بنفسه لأجد السيد إبراهيم هناك، تحدثنا قليلا ثم تركني وحدي في الغرفة..." عادت بذاكرتها لذلك الوقت الذي أرادت أن تمحيه من عقلها...

بعد خروج إبراهيم اقتربت من السرير ببطء حيث النائمة في غيبوبتها... شعور قوي اجتاحتها بأنها تسمعها أو على الأقل تحس بوجودها...

تأملتها للحظات قبل أن تنحني وتهمس في أذنها قائلة - "إن كنت تسمعينني فأنا أرجوك أن تحرري حسام... أرجوك عودي إليه لتعوضا الوجع الذي عشتماه، لا تتركه يتخبط وحده، يكفي ما عاشه حتى الآن، لكن إن قررت البقاء

هناك بعيدا عنه فيجدر بك الرحيل وبصفة نهائية ولا داعي لتعلقه بآمال كاذبة، فقط اخرجي من حياته... أرجوك.."

ابتعدت عنها بهدوء تنوي الخروج قبل عودته لا تريده أن يراها هناك عندما سمعت صوت الجهاز فتطلعت إليه بجزع لتجد علاماتها الحيوية تنخفض بسرعة، لم تنتظر طويلا بل ركضت جهة الباب بسرعة تنادي الممرضات قبل أن تعود إليها تحاول انعاشها وهي تضغط على صدرها عندما وصلت الممرضة وأبعدتها لتأخذ مكانها....

ظلت واقفة هناك تدعو بصمت أن تحصل معجزة لكن القدر كانت له كلمته...

كانت ريمة تستمع بانتباه لكل كلمة حتى قطعت حديثها فسألتها

- "هل يعرف حسام هذا؟ أقصد لو أخبرته ما كان أجبرك على هذا الزواج؟"

زفرت نفسا طويلا قبل أن تقول



- " أنا لست مجبرة على البقاء بقربه، أنا من دفعته للزواج  
بي لأن لدي أسبابي الخاصة وبالأحرى أريد التكفير عن ذنب  
قمت به في الماضي "

تطلت إليها ريمة بحيرة وعدم فهم فتابعت ليلي

- " أنا السبب في موت والديه قبل سنوات "

شهقة حاولت كتمها بكفها كان رد ريمة الوحيد على ما  
سمعتة وقبل أن تتفوه بأي كلمة سمعت ليلي تهمس باسم  
حسام وقد اتسعت عيناها برعب فتطلعت في نفس الاتجاه  
لتجده واقفا عند الباب ونظراته لا تفسر ومن الواضح أنه  
سمع كل كلامهما....

تحرك ناحيتها ببطء خطير وعينيه لا تحيدان عن التي ازداد  
ارتجافها ينظر إليها بتهديد، قبل أن يهمس بفحيح

- " أعيدي ما كنت تقولينه... "

لم يكن لديها أي جواب على طلبه سوى دموعها التي  
انهمرت... ما كانت تخشاه وما كانت تؤجله لسنوات قد كشف  
الستار عنه وفي أسوء الأوقات، المواجهة التي كانت تتهرب  
منها رميت إليها دون أي تخطيط أو تحضير...

- "أنا... أنا... أرجوك حسام... سوف..."

كانت تلك الكلمات المبعثرة هي كل ما صدر عنها، لم تكن قادرة على التفوه بغيرها رغم محاولتها الشرح فهدر فيها بعنف وهو يقترب أكثر وهذه المرة قطع المسافة بسرعة كأنه سينقض عليها

- "أنت ماذا؟ انطقي..."

وقفت ريمة حائلا بينهما وهي تمسكه من كتفه مهدئة، لكنه لم يكن يستمع لأي مما تقوله فكل ما كان يعنيه هو ما ستقوله التي تختبئ خلفها، فدفعها بعيدا عن طريقه وهو ينحني على السرير جاذبا ليلي نحوه وهو يهتف بغضب

- "ما علاقتك بحادث والداي؟ من أنت تكلمي..."

حركته العنيفة تلك استلقت ابرة المحلول المثبتة في وريدها بقوة مما تسبب في إيدائها لكنه لم يبالي بدمائها التي سالت على ذراعها لتتناثر على الفراش، بينما تعالت شهقاتها تهز رأسها بضياح وهي تردد جملة واحدة من بين دموعها

- "أنا.. أنا آسفة... أقسم لك أنني آسفة حقا... لم أكن أعلم

وقتها..."

كانت ريمة تحاول جاهدة سحبه بعيدا عن ليلى وهي تتوسله  
أن يتركها قبل أن يقتلها بين يديه لكنها كانت كم تدفع  
جدارا...

أصواتهم المرتفعة جذبت انتباه أحمد الذي أسرع إلى الغرفة  
بدوره ليدخل وهو يتساءل عما يجري قبل أن يصدمه المشهد  
لتركض ريمة ناحيته تطلب منه أن يبعده بسرعة عنها، لكنه  
ما أن تحرك خطوة واحدة نحوها حتى صدح صوت حسام  
يأمره

- "إياك يا أحمد أن تتدخل أو ستكون النتائج سيئة جدا... خذ  
زوجتك وارجل من هنا"

عندما رأى تردهما هدر فيهما بعنف

- " ألم تسمعا ما قلته؟ اخرجوا في الحال..."

ظلت ريمة تحاول إقناعه بالعدول عن أي تصرف متهور لكنه  
كان كالبركان الثائر الذي لا يجب الوقوف في طريقه بل  
الانسحاب بعيدا عنه حتى تهدأ حممه...

كان أحمد يعرف ذلك جيدا فلم يكن أمامه سوى اخراج زوجته  
من ذلك البيت قبل أن يحرقه فوق رؤوسهم جميعا، أما ليلى

فهو متأكد أنها ستجد طريقها للوصول إليه ما دامت هي من رمت بنفسها أمامه...

ما أن خرجا حتى اتجه نحو باب الغرفة ليغلقه بعنف وأدار المفتاح قبل أن يرميه أرضا، واستدار للتي كانت تترنح كي تقف من السرير لتسير نحوه بصعوبة تتعثر في كل خطوة قبل أن تقف أمامه تمسح دموعها المنهمرة بيد مرتجفة...

خرج صوتها مهتزا وهي تهمس اسمه برجاء

\_ "حسام.."

قبل أن تمد يدها وتضعها على ذراعه العارية فتشنجت كل عضلاته وهو يقبض أصابعه بقوة، رفعت عينيها تتطلع إلى وجهه من بين غمامات دموعها... فكان يضغط فكيه بقوة يكاد يحطمهما وهو يجبر نفسه على التحلي ببعض التعقل حتى لا يقتلها...

تراجعت للخلف تمسك قميصها بأصابعها التي كانت تلامسه وهي ترى أنها قد تمادت بتصرفها، لكنها كانت بحاجة لطريقة للتواصل معه، أن يشعر بما ستقوله له، لكن يبدو أنها أخطأت وأشعلت فتيل غضبه أكثر ففي نظره لا أحد غيرها يملك حق لمسها... ندى..

همست بضعف وبحة بسبب بكائها

- " فقط اسمعني وسأشرح لك كل شيء... أنا... "

نظراته الحادة أجبرتها على السكوت، كيف سيفهمها إن كان في تلك الحالة، هي صحيح مذنبه لكنها لم تخطط لإيذاء أي شخص طيلة حياتها...

كانت شفقتها ترتجف وهي تحاول إيجاد الكلمات المناسبة كي توصل له ما حدث دون أن تتسبب في جرحه أكثر أو التسبب في قطع رأسها...

فرك وجهه بيديه بعنف قبل أن يكور قبضته أمام فمه وهو يعطيها ظهره... بعد لحظات زفر نفسا طويلا واستدار يواجهها قبل أن يقول بنبرة صارمة لكنها أقل تهديدا

- " ليلي تكلمي ما دمت أمسك نفسي... من أنت؟ "

عادت لتجفيف دموعها بخوف قبل أن تقول بتردد وهي تغمز عينيها

- "نور... نور اليقين سالمى... ابنة كمال..."

فتحت عينيها ببطء وهي تتوقع أن ينقض عليها في أي لحظة لكنه كان لا يزال مكانه يتطلع إليها بعدم فهم قبل أن يقول بشك

- " ابنة كمال متوفية لقد تأكدت من ذلك بنفسي ورأيت قبرها "

هزت رأسها تنفي ما يعتقد

- " لا، ليست هي من قتلت ودفنت في ذلك القبر، بل ليلى من أحمل اسمها منذ ذلك الوقت... "

- " حسنا، إذن ما علاقة كمال بالجريمة؟ وأنت؟ إن كنت في نفس عمر صاحبة الهوية التي تتحلينها فهذا يعني أنك كنت تقريبا في الرابعة عشر من عمرك فكيف تكونين مذنبه كما تقولين؟ أم أن بوادر الإجرام في عائلتكم تبدأ في الظهور منذ الصغر؟ "

أحست بجفاف حلقها وشفثتها رغم الدموع التي كانت تسقيهما فبلتتهما بلسانها قبل أن تبتلع ريقها ببطء كأنها تبحث عن وقت إضافي لتؤجل المحتوم فقط..

تسارعت نبضات قلبها حتى شعرت أنها ستصمها وهي تستعيد ذكريات ما حدث في الماضي، ذكريات حاولت طمسها لكنها ظلت تلاحقها حتى صدقت أنها عليها التكفير عن ذنبها ربما ترتاح وتسامح نفسها، لكن هل سيصفح هو عنها؟ هي نفسها تؤمن أنها لا تستحقه...

شردت في نقطة وهمية حتى تتهرب من عينيه وهي تقص ما حدث

- " هل تذكر ذلك اليوم الذي ذهبتَ فيه إلى المدرسة التي تعمل فيها والدتك؟ يومها أصرت على أن تصطحبا في طريقكما تلك الفتاة التي كانت تشبه المشردين والتي كانت تقبع تحت المطر في الحديقة المقابلة للمدرسة"

قطب وهو يتطلع إليها بتفحص، ربما اعتقد أنه رآها سابقا عندما كانا معا في الحديقة قبل وفاة ندى لكنه لم يستطع التذكر بالضبط متى وأين كان ذلك...

تابعت هي كلامها دون أن تنتظر منه أي رد بل كانت تتمنى ألا يقطعها حتى لا تجبن وتخترع كذبة أخرى فوق أكاذيبها السابقة

- "يومها خرجت من البيت دون أن أعي إلى أين سأذهب أو ماذا سأفعل لاحقا، كنت منهارا تماما، كل شيء من حولي كان يتحطم وأنا ضائعة وسطه، حياتي كلها كانت أكاذيب، فقدت صديقتي الوحيدة بل أختي إن صح القول وكنت أنا الملامة في ذلك، هي قتلت بدلا عني لأنني كنت المستهدفة حسب ما قالوا لي وقتها حتى يصل أعداء والدي إليه عن طريقيني لكنها كانت كذبة أخرى من طرفهم، والأسوأ أنهم جعلوني أحمل هويتها حتى يبعدوني تماما عن عالمهم القدر لكنني كنت ملطخة بدمائها فكيف أحمل اسمها بكل وقاحة، بعدها رأيتني والدتك لا أدري بماذا كنت أهذي أمامها أو حتى ماذا قالت هي لي، لا أذكر أنني كنت واعية لشيء لكنني فعلا أحسست بعاطفتها وحنانها وهي تجلس إلى جانبي في السيارة تحضنني إلى صدرها..."

صمتت للحظات تسترجع أنفاسها وتجهز نفسها للقادم

- " ما لم أدركه وقتها أنني كنت مراقبة، بالطبع لم يكونوا ليسمحوا لي بالابتعاد كثيرا فقد كنت أكثر خطرا من أعدائهم وأنا في تلك الحالة الهستيرية... عند عودتي أصر والدي على معرفة ما جرى بينا وبالأحرى ما الذي تفوهت به أمام والدتك، لقد كان يخشى أن أقول هويتي الحقيقية وهو في



الأصل كان يحميني حتى يبعدني نهائيا، لذلك انفجرت صارخة  
 أني سأفضحه وسأخبر العالم كله عن شره وعن جميع  
 المجرمين الذين تحت امرته مثلما أخبرتكما، كان ذلك هو  
 الخطأ الذي كلفني الكثير، لم ينتظروا حتى يتأكدوا مما قلته  
 لأن كل خطأ كان يعني وضع حياتي على المحك فقرروا  
 التضحية بعائلتك أنت... لم أكن أعرف شيئا عما حدث أقسم  
 لك، أردت فقط أن أؤذيه كما يفعل هو مع الجميع لكن الأمر  
 انقلب لكارثة بعدما تم استهدافكم..."

كانت دموعها تسقي وجنتيها عندما وصلت لتلك المرحلة من  
 الحديث ولم تستطع السيطرة على انتفاض جسدها... اقتربت  
 منه برجاء وهي تهمس بصوت متقطع  
 - " أقسم لك لم أكن واعية لما قلته ولم أعلم أن تلك ستكون  
 النتيجة.... حسام أنا.. "

كانت تتمسك بقميصه بقوة عندما دفعها عنه حتى سقطت  
 عند قدميه، لكنها واصلت توسلها

- " أنا آسفة... لو كنت أستطيع تغيير ما حدث لما كنت  
 تفوهت بأي كلمة... أعلم أني مذنبه ولا أطلب منك الصفرح

لذلك أنا مستعدة لتلقي أي عقاب، يمكنك الآن تحقيق العدالة لوالديك، أنا آخر من بقي ممن تسببوا في قتلهم... "

انخفض حتى وصل إلى مستواها وأمسك بذراعها يتطلع إليها بعيون مرعبة وقد احتقتت بالدماء قبل أن يقول من بين أسنانه

- " أي عقاب سيجدي معك؟ أخبريني كيف سأصرف الآن؟ هل سألومك وأقتص لهم أم ماذا علي أن أفعل بخصوصك؟ فقط أخبريني ماذا أفعل بك؟ "

هزت رأسها لا تدري ماذا تقول وشهقاتها تزداد...

لكنه لم يفعل شيئاً سوى أن دفعها لتتلقاها الأرض وتحرك مبتعداً قبل أن يلتقط المفتاح الملقى وفتح الباب مغادراً تاركاً إياها تبكي بنحيب...

## الفصل السابع عشر

منذ متى وهي تبكي؟ دقائق؟ ساعات؟ لا تستطيع أن تتذكر بالضبط، لم تعد تشعر بشيء كأن كيانها صار خالياً، فقط الفراغ هو ما يملأها...

رفعت رأسها ببطء تجول بعينيها في الغرفة الخالية حولها، هل هناك سبب يجعلها تبقى الآن؟ لقد أفشت أغلب الحقيقة وهو لا يبدو مستعدا لسماع الباقي فكيف سيسمح لها أن تكون جزء من حياته، حتى هي لم تعد لديها القدرة على المجابهة، لقد فشلت وانتهى الموضوع قبل حتى أن تبدأ، هي لا تقدر على تحمل القادم الذي ولا شك فيه سيكون أسوء بكثير... حسام انسان مدمر من الداخل، لا هو قادر على الحب من الجديد ولا هي قادرة على إعطائه إياه... لقد وثقت في نفسها أكثر من اللازم...

استندت على يدها لتقف بصعوبة بعد أن أمضت وقتا طويلا منكمشة على نفسها تستقبل برودة الأرضية الصلبة تحتها دون أن تهتم...

جففت جفونها ووجنتيها من أثار دموعها قبل أن تتوجه للباب عندما سمعت صوت محرك سيارة تنطلق بسرعة، لم تفكر كثيرا وهي تسرع في الممر نحو الخارج لترى سيارته قد ابتعدت كثيرا وهو يقود بتهور...

اتكأت على إطار الباب وهي تخرج نفسا مرهقا مثقلا بأحمال أكبر من أن تكون مجرد هواء كان يملأ رئتيها... أين سيهيم وهو في تلك الحالة؟

عادت إلى الداخل لتغلق الباب خلفها متجاهلة أنها تضيع فرصتها في الابتعاد والخروج من ذلك الجحيم، لقد ترك لها حرية المغادرة لكنها ببساطة لم تستدر لتلك الفرصة ولم تفكر حتى في اغتنامها وهي من كانت منذ لحظات تخطط لها، لماذا تفعل ذلك؟ لا تدري فعلا ولا تريد أن تدري لأنها ستجد نفسها متناقضة وستزيد من أعبائها الكثيرة أصلا أو ربما ستتيقن أنها تحتاج إلى علاج نفسي أكثر مما يحتاجه هو...

فكرة غبية وخطيرة قد ترمي بها إلى الهاوية إذا عاد ووجدها هناك لكنها حقا تريد أن تعرف عن حياته معها، لقد قال إبراهيم أنه حب خلق من بعد كثير من الصعاب، من بعد عشرة طويلة، لكنها تراه يكاد بل فقد عقله بعد رحيلها...

وقفت أمام الغرفة الأخرى المجاورة للتي كانت تستعملها، ومدت يدها لمقبض الباب قبل أن تتردد أصابعها قليلا وهي تتمسك به بقوة... وأخيرا حسمت أمرها لتأخذ نفسا عميقا قبل أن تفتح الباب ببطء ووقفت أمامه للحظات... كان

المكان يغرق في الظلام إلا من بعض الأشعة التي تتسرب من النافذة عبر الستائر الثقيلة والممر خلفها...

كان القاطع قريبا منها في نفس موقعه في غرفتها فأنارت الأضواء لتتجلى كل محتوياتها... لم تكون كئيبه وألوانها داكنة كما توقعتها بل تغلب عليها لمسة أنثوية ناعمة لا شك في أنها تعود لصاحبها، ورغم بساطتها إلا أنها كانت أنيقة وتحفظ بنفس ترتيبها كما تركته فلا بد أنه لم يجد في قلبه القدرة على استعمالها وهي غير موجودة معه....

وقع نظرها على السرير الكبير فأحست بعقدة تتشكل في معدتها جعلتها تشيح ببصرها عنه ليقع على الصورة الموضوعه على الطاولة الصغيرة بجانبه...

ابتلعت ريقها قبل أن تتقدم وتحملها بين أصابعها، كانت لثنائي يبدو سعيدا متأقًا، تكاد تحسدهما رغم علمها بالوضع الحالي... ندى كانت ابتسامتها لطيفة وعينيها تلمع ببريق السعادة.... تهتت بحزن وهي تتذكر منظرها في لحظاتها الأخيرة، لم تكن تشبه أبدا المرأة الموجودة في الصورة والنابضة بالحياة...

وجدت عيناها أخيرا من كانت تبحث عنه، يا إلهي! عندما عرفته قبل سنوات كان ضائعا محطما وعندما وجدته الآن لم يكن يختلف كثيرا عما كان عليه، مجرد شبوح لشخص فقد روحه، فقد معاني الحياة، جثة تتنفس وتتحرك بدون أدنى مشاعر غير الحقد والغضب ورغبة عارمة في تدمير الذات، أما معها هي فهو يبدو كعاشق للحياة، نظرته لها تحمل من العاطفة ما حرك مشاعرها تأثرا ورغبة عجيبة في الاستئثار بتلك العاطفة التي لن تكون يوما لها ربما لأنها ببساطة لا تستحقها، شخص مثلها يحمل دماء ملوثة في عروقه، ويديها ملطخة بدماء الكثيرين لا يستحق أن يحب، لا يستحق أن يرى الجزء المشرق من العالم، معه حق في أن يكرهها ويدفعها بعيدا عنه....

أحست بالجدران تطبق على صدرها فكل شبر هناك يشعرها بعدم انتمائها له فوضعت الصورة مكانها وخرجت بسرعة كأنها مطاردة من شياطينها....

ظلت تنتظر عودته لوقت متأخر لكنه لم يعد، شعور بالتشاؤم تغلب عليها وهي تتخيل أن يكون أصابه مكروه أو الأسوأ أن يكون تصرف بتهور وأذى نفسه... عند تلك الفكرة تملكها قشعريرة لم يكن سببها البرد لأنها تقف أمام النافذة المفتوحة

بل الرعب من تحققها فعلا، احتضنت جسمها بذراعيها وهي تتطلع للخارج حيث يلف الظلام كل ما يحيط بها، لكن الظلام الأكبر كان ينبع من داخلها...

مرت تلك الليلة واليوم الذي يليها وهي لم تره، كان القلق يقتلها ويتفنن في ارهاق أعصابها، حتى أحمد الذي زار البيت كان يبحث عنه ولا يستطيع الوصول إليه وكان يرجو أن يكون هناك مما جعلها تتوجس أكثر وتتقبض نفسها خوفا، حتى الأكل الذي أرسله مع ريمة لاحقا والتي حاولت جاهدة أن تقنعها بتناول لقيمات منه لم تستطع حتى أن تقربه وهي لا تستطيع الاطمئنان عليه...

بحلول الليلة الثانية لاختفائه وجدت نفسها تفكر جديا في الاتصال بالسيد إبراهيم أو حتى الشرطة إن استلزم الأمر فهو لم يكن متوازنا في ذلك الوقت... لكن قرارها ذاك ألغته فور رؤيته أمامها... قد يكون تصرفا متسرعا منها لكنها ركضت باتجاهه لتقف بعيدا عنه بمسافة صغيرة... كانت عيناها تتفحص كل جزء من جسمه ورغبة عارمة في الاطمئنان أنه بخير... تمنى لو استطاعت الاقتراب منه أكثر لكنها تعلم جيدا نتيجة ذلك الجنون لذلك قمعت رغبتها تلك عميقا قبل أن تسأله بلهفة وقلق اتضح في نبرة صوتها

- " هل أنت بخير؟ لقد أقلقنا عليك "

صوت صدر عنه نتيجة سخريته من كلامها قبل أن يقول  
بتهمك

- " وما الداعي لقلقك أنت؟ "

ثم تجاوزها متجها للغرفة الصغيرة المخصصة لمكتبه،  
فلحقت به وقد طار قلقها ليحل محله الغضب، لتقف قبالته  
وهو يرمي سترته على المقعد قائلة

- " هل تدرك ما فعله غيابك بنا؟ لقد بحث عنك أحمد في كل  
مكان ولم يجدهك.. ألم تفكر فيمن تركتهم خلفك قلقين؟ "

لم يكن في وضع يسمح له بسماع صراخها وكلامها السخيف  
وهو من لم يعد له أحد في المقام الأول ليقلق عليه، فاستدار  
لها ليقول بهمس مخيف

- " بفضلك وبفضل عائلتك لم يعد لدي من يقلق لغيابي لأنهم  
جميعا تحت التراب وسيرحبون جدا بلحاقى بهم "

ارتدت للخلف وهي تسمع تصريره الذي لم يداري ما يشعر  
به، قبل أن ترفع عينيها لتقابل عينيه المثبتة عليها، كان  
الاحمرار يغزوهما من قلة النوم لعدة أيام، وجهه يبدو متعبا



وقد نمت لحيته قليلا، شعره أشعث، ملابسه غير مرتبة  
وعليها آثار بعض الدماء والأتربة، عادت بسرعة لوجهه  
لتجد كدمة أعلى وجنته فجرت نظراتها تتفقدته عن قرب، كان  
هناك آثار لعراك وبعض الجروح على يديه والأتربة تحت  
أظافره... انقبض قلبها أكثر وبدأت الدموع تتجمع في مقلتيها  
وتهدد بكسر كل الحواجز والتحرر...

حاولت اجلاء صوتها الذي تغلبت عليه تلك الغصة وجعلته  
يخرج ضعيفا مهترا

- "لما تفعل كل ذلك بنفسك؟ لما تعذب نفسك بتلك القسوة؟  
لن أقول أنني أفهم ما تمر به لأنني أعلم مدى سوءه، لكن ما  
تفعله لن يجعله يتحسن، تدميرك لنفسك لن يجعل الأمور  
أفضل، لن يعود والديك، أو ابنتك وزوجتك للحياة إن اتجهت  
للهاوية أو حتى قتلت نفسك وحتى في تلك الحالة لن تكون  
إلى جانبهم، الاستمرار في الحياة لا يعني أنك لست حزينا أو  
أنك لا تفتقدهم، لكن عليك أن تعيش... أرجوك حسام.. عليك  
أن تمضي قدما..."

ضيق عينيه وهو يدقق في النظر إليها، لما تصر على جعله يستمع لمحاضراتها وهي آخر من يحق لها التحدث عن الحياة والاستمرار فيها

- " كلام كبير يصدر ممن كانت السبب في كل ما جرى "

حسنا سهمه أصاب هدفه... ليثها تستطيع أن تنكر ما قاله لكنه أيضا ليس صحيحا تماما

- " رغم أن حكمك مجحف ولكني أعترف أنني كنت سببا في بعض ما حدث واعتذرت وسأظل أعتذر عنه، وكما أخبرتك سابقا أنا مستعدة لتحمل أي عقاب يحقق العدالة لهما حتى وإن كان موتي على يديك "

لم يبذل له أنه أنها تتظاهر ولم يلمح أي تردد في عينها أو ارتجاف في صوتها، هي فعلا مستعدة للموت..

اقترب منها أكثر حتى لم يعد يفصلهما سوى سنتمترات قليلة... كانت عيونهما مثبتة على بعضها دون أن يحيد أي منهما عن الآخر عندما زفر نفسا لفتحها حرارته قبل أن يهمس أمامها تماما

- " ما أريده منك هو الرحيل من هنا... فقط غادري "

واستدار عنها عندما سمعها تقول بثقة

- "إلا هذا..."

تطلع إليها بعدم فهم وتحفز عندما تابعت بنفس النبرة

- "أنا لن أغانر يا حسام، ولن يكون أمامك سوى قتلي  
لتحقق ذلك... اعتبر أن طريقنا واحد منذ اليوم، قدر واحد  
حتى النهاية"

قالت جملتها وتحركت مغادرة دون أن تنتظر جوابه لأن لديها  
فكرة جيدة عما سيقوله وهي لن تغير قرارها مهما حدث،  
لتركه ينفث نيران غضبه على محتويات مكتبه وهي متأكدة  
أنه سيرميها في الخارج ما أن ينتهي مما يفعله لكنها لن  
تسهل عليه المهمة أبدا...

\*\*\*\*\*

هل تبجحت وادعت أنها لن تسهل عليه مهمة التخلص منها؟  
حسنا لقد أبخست حق تقديره جدا، وللحقيقة هو من جعل  
مهمة صمودها معه شبه مستحيلة، فخلال الأيام التالية، لم  
يتوان للحظة في توجيه الاهانات لها، بتذكيرها في كل مرة  
بهويتها، بما ارتكبه والدها ومن بعده رجاله، وحتى بما

اقترفته هي... صحيح لم يؤذها جسديا وهذا هو الخيط الوحيد الذي تمسكت به، فمزال هناك شيء من حسام القديم، رغم كل تهديداته وكلامه الجارح إلا أنه لم يقربها بأذى والأهم أنه لم يرمها خارجا فعليا فيبدو أنه تجاهل تلك النقطة أو كما أرادت أن تفسر هي تصرفه كان في لاوعيه يحتاج شخصا إلى جانبه حتى لو أنكر ذلك....

ومن جهتها هي رغم شعورها في عديد من المرات باليأس بسبب رفضه المتكرر لتواجدها ومن كونها كيس ملاكمة مجازيا يفرغ فيه نوبات غضبه، إلا أنها ظلت تذكر نفسها بأنه يحتاجها، بأنها تريد البقاء، بأنها ستتمكن من الوصول إليه مهما طال الوقت، وعندما كانت تصاب بالإحباط تماما كانت ريمة وأحمد يتوليان مهمة دفعها وتشجيعها قليلا، فهما لم يتركاها لوحدها أبدا، لكنه ظل يعزل نفسه حتى عنهما هما.....

بعد مرور أكثر من أسبوعين قرر تجاهلها تماما، أو ربما أنكر وجودها من الأساس، مهما استفزته لم يكن يستجيب لها، بل سخر كل جهوده في تدمير نفسه، لم يكن يهتم لا بصحته، ولا بأكله ولا حتى نومه، غالبا ما يعود وقت الفجر أو لا يعود نهائيا للبيت، وإذا ظهر بعد ذلك يكون مغطى

بالكدمات والإصابات كأنه يخوض مباريات قتال شوارع،  
يفتعل الشجارات مع أي كان ولأتفه الأسباب المهم أن يجد  
من يصب عليه حنقه، العمل كان آخر اهتماماته لكنه أحيانا  
كان يعود متسحا بآثار اسمنت وعلى ملابسه بعض الرمال  
والأتربة كأنه يقوم بأعمال البناء، فلا بد أنه يضغط على نفسه  
ويرهق جسمه حتى ينهار....

إن كان الحال سيستمر على ذلك المنوال فما الداعي لبقائها،  
إن كانت ستفشل في مساعدته لما لا ترحل فقط، عليها  
مواجهته، لن تتركه يستمر في الغرق في بحور كآبته لأنها  
ستفقدته فعلا....

كان قد عاد للبيت منذ ساعة تقريبا وهي المرة الأولى التي  
يرجع فيها مبكرا فالوقت لم يتجاوز السادسة مساء، ملابسه  
مبللة بسبب الأمطار الغزيرة التي تهاطلت لكنه لم يكلف نفسه  
حتى عناء تغيير ثيابه بل دخل مباشرة إلى ذلك المكتب  
البائس وصفق الباب خلفه في إشارة منه لعدم رغبته في أي  
اقتحام لخصوصيته أو إزعاجه بينما يدفن نفسه وسط  
ذكريات من غادروه، يتطلع إلى كل الصور القديمة  
والتسجيلات والفيديوهات مرات ومرات دون كلل ....

حسنا لقد صمدت كل ذلك الوقت ولم تزعجه لكنها ستتجاهل المنطق الذي ينصحها بالابتعاد عنه قدر الإمكان لأنه طفح بها الكيل....

ما إن حسمت أمرها حتى تحركت مباشرة إلى غرفته السابقة لأنه لم يعد يدخلها إلا نادرا، وأخذت منها ثيابا جافة، قبل أن تتجه لمكتبه...

فتحت الباب بهدوء واتجهت ببصرها لمكانه المعتاد، تبحث عنه من خلال الإضاءة الشحيحة للمصباح الصغير الموضوع في زاوية الغرفة، لكنه كان فارغا، رفعت عينيها باتجاه النافذة المفتوحة التي كانت ستأثرها تتلاعب بها الرياح وظله يقف خلفها، تصفعه البرودة وهو غارق تماما في عالمه، حتى أنه لم يلاحظ وقوفها تراقبه، كان ينفث دخان سيجارته بين الفينة والأخرى... ذلك الشخص لم يكن يمت لحسام بصلة، لم يكن حتى يمت للأحياء بصلة، كان مجرد شبح لمن كان يوما حسام...

عندما أحس بوجود غيره في الغرفة استدار خلفه جزئيا يتطلع إليها ببرود من بين سحابة الدخان المحيطة به والتي زادت من شكله سوء ليعود لما كان يفعله سابقا متجاهلا

إياها، يستحيل أن تبقى عاجزة هكذا وهو يضيع منها، لكن ماذا عساها تفعل وهو لا يسمح لها باختراق تلك القوقعة التي يحيط بها نفسه وكل يوم يضيف جدارا جديدا بينهما...

قبضت أصابعها بقوة على الثياب في يدها تمنعها من الارتجاف، وتقدمت إليه حتى وقفت بجانبه، قبل أن تمد يدها ببساطة للسيجارة وتنتزعها من بين شفثيه لترميها خارجا غير مبالية بزمجرته وهو يهتف فيها أو بنظرته القاتلة التي رمقها بها

- " اللعنة عليك ليلي.. لما فعلت ذلك؟ "

تجاهلت سؤاله ولعناته وهي تقول ببرود ينافس برودة الطقس في الخارج

- " عليك أن تغير ملابسك، ستمرض على هذا المعدل من الإهمال "

احتدت نظراته ونبض كل عرق في جسده بالغضب وهو يستلها من يدها بعنف ويرميها أرضا فتبعتها بعينيها قبل أن تعيدهما نحوه دون أن تتغير نظراتها الباردة عندما سمعته يهتف

- "لما ما زلت تحومين حولي؟ ألم أطلب منك الرحيل؟ يا إلهي، تحلي ببعض الكرامة وغادري قبل أن ينفذ صبري" أخذت نفسا عميقا حتى لا تعيد له اهانتته بأسوأ منها قبل أن تقول بتحدي

- "كن متأكدا أنني سأفعل ذلك عندما تتحلى أنت ببعض الشجاعة وتخرج من البؤس الذي ترغم نفسك على العيش فيه، عندما تتوقف عن التصرف كشخص مثير للشفقة يحتاج من يرثي عليه"

- "لما تهتمين بما أفعله بحياتي البائسة؟ لم تهتمين إن كنت عشت أو أردت الموت أو العيش مع الأشباح؟ ما دخلك أنت؟ لقد حررتك من عقدة الذنب التي كنت تتظاهرين بها وطلبت منك الرحيل، لا أحتاج منك شفقة أو تعاطفا..."

كان قد استنفذ طاقته في الصراخ والتحرك بعشوائية في أرجاء المكان ولم يعد لديه ما يرميه في وجهها فسكت يلتقط أنفاسه الثائرة، وصدرة يعلو ويهبط تناسبا مع ذلك...

ما كانت ستقدم عليه قد يرتد عليها بطريقة سيئة جدا لكنها كانت مستعدة للمخاطرة، هذه فرصتها، فلتجعله يفرغ ما في



جعبته ويفجر كل ما يكبته ومهما كانت النتيجة فهي بالتأكيد أفضل من صمته وعزلته...

ثورته لم تخف حدتها وهي لم تتراجع بل تقدمت ناحيته ببطء لكن رغم ذلك بثقة، حتى وقفت أمامه تماما مما أجبره على مواجهة عينيها، ويا ليتة لم يفعل، فقد تخلت عن كل البرود الذي كانت تصطنعه منذ دقائق، وأسرتة نظراتها الدافئة فظل يتطلع إليها، ليس إعجابا طبعا فهو لم يكن في حالة تسمح له بذلك، بل نوع من الاحتواء لم يكن قادرا على تفسيره ولم يكن يريد ذلك أيضا فهو في غنى عن كل ما يأتي من جهتها هي خاصة، لكنها لم تكن لتسمح له بكسر ذلك الرابط فأمسكت كفه التي تشددت بسرعة في محاولة منه لسحبها لكنها كانت مصرّة، وأحكمت قبضتها مجبرة إياه على الانصياع فلو مارس هو قوة أكبر كان سيؤدي يدها وهي كانت متأكدة أنه لن يفعل...

رفعت يده وبسطتها على صدره دون أن تتركها حيث قلبه الذي كان ينبض بقوة، قبل أن تهمس بعاطفة تتخلل كل كلمة تخرج من بين شفثيها

- "أنا أهتم حسام... أهتم لأن هذا ما زال ينبض، حتى وإن كانت كل نبضة مغذاة بالكره والغضب إلا أنه حي، متمسك بالحياة حتى الرmq الأخير، لأنك ما زلت موجودا، ما زلت تتنفس..."

رغم احساسها باستجابته إلا أنها لم تكن واثقة تماما حتى سمعته يقول بجفاء

- "لا فائدة مما تقولينه فهو لن يغير من الواقع شيئا، أنا أشعر بالخواء، أنا كيان فارغ، لم يعد هناك ما يستحق العيش من أجله، لقد خسرت كل من أهتم لأمرهم، سواء بسببي أو بسبب الغير، لم تتح لي حتى فرصة توديعهم..."

جاهدت كي تتحكم في صوتها المهترز تأثرا بما يقوله لأنها فعلا تحس به

- "كلنا جربنا الفقد يا حسام، الفرق الوحيد أننا نعلم أن الحياة لا تتوقف بل تستمر سواء واكبناها أو بقينا نتحسر على ما فات، لقد خسرت عائلتي وأصدقائي لكني ما زلت حية، أنا اتألم كل يوم لكني أوصل العيش حتى وإن كنت أعلم أنني سأتألم في اليوم التالي والذي بعده..."

انتزع يدها بعنف ودفعها بعيدا عنه وقد استعاد غضبه من جديد قبل أن يهتف باستنكار

- " لا يمكنك مقارنة عائلتك المجرمة بعائتي التي راحت ضحية ولم يكن لهم أي ذنب، وكما علمت أنت من تخليت عنهم أنت من قررت الابتعاد "

- "قد تكون عائتي مجرمة، وقد أكون رفضت مبادئهم وطريقة عيشتهم لكنهم كل من عرفت، وبدونهم لم يعد لدي أحد، أنا وحيدة يا حسام إن لم تلاحظ...."

جملتها الأخيرة كانت مليئة بالحزن والإنكسار ترجمته عينيها التي اغرورقت بالدموع قبل أن تتحرر من قيودها وتسيل على وجنتيها دون أن تحاول منعها بل تابعت حديثها

- " أعلم أن الأمر صعب جدا، ولست مطالباً بالنسيان بل أن تسمح لنفسك بالتعافي، دع الزمن يشفي جروحك تدريجيا، هي لن تختفي تماما لكنها يوما ما لن تؤلم بنفس الدرجة، وعندما يحين الوقت لن تجد سوى تلك الندوب التي تذكر بما كان لكن لن تكون موجعة... "

اتسعت عيناه وهو يستمع لكلماتها، إنها تقريبا نفس الكلمات الموجودة في الرسالة!!!

قبل أن يتابع من حيث توقفت كأنه يحدث نفسه وهو يتحرك  
باتجاه المكتب ويفتش في أحد أدراجة

- "يوما ما عندما يحين الوقت لتحقيق العدالة سأكون إلى  
جانبك، وحتى ذلك الوقت عليك أن تصمد وتتعافى... أنت لست  
مذنبا يا حسام، هناك من يتحمل مسؤولية الحادث وعليه أن  
يدفع الثمن..."

عندما عثر على مراده وتأكد مما سمعه منها عاد إليها وهو  
يحمل تلك الرسالة التي خطت قبل سنوات ورفعها أمام  
وجهها قائلا

- "كيف عرفت على ما تحتويه؟ هل كنت تعبين بأغراضى؟  
إلى...."

أبعدت يده من أمامها لتستطيع مواجهته دون حواجز قبل أن  
تقول بإرهاق

- "لست بحاجة لأعبث بشيء لأعرف ما فيها لأنى ببساطة  
أنا من كتبتها..."

صمتت للحظات وذكريات ما حدث تتالى في مخيلتها قبل أن  
تتابع وهي تشيح بنظرها بعيدا عنه

- " في تلك الفترة أنت كنت في نفس الحالة التي تمر بها حاليا وربما أسوء لأنك كنت يافعا، وكنت أنت خلف المقود لذلك كنت تلوم نفسك، لم أستطع فعل الكثير وخصوصا أن كل تحركاتي كانت مقيدة بعدما فعلته وكنت سأشحن لمنفائي قريبا، لذلك رسالتي تلك كانت آخر شيء استطعت تقديمه لك قبل رحيلي "

أغض عينيه بقوة وهو يعتصر الورقة بين يديه، لقد كان كالأحمق يحتفظ بها دائما معه، ظنا منه أنها من شخص يهتم فعلا به، من شخص يسعى لحمايته والوقوف خلف ظهره وفي الأخير اتضح أنها منها هي....

تخلص من الورقة المجددة التي سقطت عند قدميها، ينوي أن يقذفها بتجريحه كالعادة عندما قصف الرعد فجأة فأجفلت مبتعدة عن النافذة وقد تغيرت ملامحها، لا يدري لما همس عفويا بصوت دافئ جملة اعتاد أن يقولها لندى، ربما لأنها بدت مثلها لحظتها

- " اهدهي... إنه مجرد صوت التقاء نقيضين يتصارعان.... " -  
 رفعت عينيها تنظر إليه بحيرة ودون تفكير قالت  
 - " مثلنا ربما... "

تشابكت نظراتهما للحظات قبل أن يخيم الظلام على الغرفة،  
عندها سمعت لعنة منخفضة صدرت عنه، قبل أن يشعل  
ضوء هاتفه يبحث عن شمعة في أدراج مكتبه...

بينما كان منشغلا بما كان يفعله كانت هي تتأمله... هل يحق  
لها أن تأمل في أي شكل من مستقبل يجمعهما؟ والاجابة  
جاءتها أسرع مما كانت تتوقع عندما وقف أمامها بطوله  
وهو يهمس بفحيح

- "لا توجد "نا" تجمعنا في كلمة واحدة يا ابنة كمال تذكرني  
ذلك..."

قبل أن يدفعها من طريقه وهو يندفع للخارج كمن يهرب من  
شيء ما يلاحقه....

\*\*\*\*\*

ما أن وصل إلى حدود البيت الخارجية حتى توقف عن هروبه  
غير المبرر وسمح لجسده المتشنج بالاسترخاء، لا يدري ما  
الذي دهاه هناك في الداخل، لوهلة سمح لها بالتلاعب بعقله  
والسيطرة عليه، كيف سمح لنفسه بالوقوع تحت تأثيرها...  
يجب عليه التخلص منها بأي طريقة فوجودها في حياته  
يذكره بكل من فقدهم وسيطرته على نفسه حتى لا يؤذيها

يكاد يفقدها خصوصاً وهي تواصل استفزازة متظاهرة  
باهتمام يعلم جيداً مدى زيفه...

ووسط أفكاره المتصارعة أحس بيد تلامس كتفه وصوت  
مألوف لديه يخرج منه مما فيه فالتفت ليجد زميله السابق  
وجاره معاذ فهدأت ملامحه قليلاً ليبادره الآخر بالكلام وهو  
يجذبه نحوه يحضنه في تحية ودية معرباً عن أسفه لما حدث  
لندي

- "هل أنت بخير؟ أعتذر لأنني جنيت متأخراً، أنا وسلوى كنا  
خارج المدينة وعرفنا منذ قليل فقط، رحمها الله وغفر  
ذنوبها"

أوما حسام وهو يجيبه بهدوء

- "أنا بخير... لا داعي للاعتذار، أعلم أنك لا تتأخر في مثل  
تلك المواقف"

خيم الصمت عليهما فبينما كان معاذ يتأمل حالة صديقه  
السيئة كان الآخر يبحث عن وسيلة للفرار من هناك، فرغم  
علاقتهم الوطيدة إلا أنه في تلك اللحظات لا يريد سوى  
الإنفراد بنفسه، فهو يعلم جيداً أنه سيبدأ معه سيلاً من

النصائح والأحاديث التي تصب كلها في مجرى واحد وهو أن يواصل حياته وغيرها...

انتبه حسام أن عينا صديقه مثبتة على شيء خلفه فاستدار ليجد ليلي تقف عند المدخل وملامحها متوترة فمن الواضح أنها كانت تلحقه ولم تتوقع وجود شخص معه، فرغم أنها أمضت الأيام الماضية معه في نفس البيت إلا أنها لم تحتك بأي أحد من الجيران وصلتها الوحيدة بالعالم الخارجي كانت تتلخص في ريمة وأحمد...

أجلى معاذ صوته قبل أن يعود بنظره لصديقه يطالعه بتوجس ليسأله بشك

- "لم أكن أعلم أن لك أقرباء، أو هي..."

قطع سؤاله وهو يرى تغير ملامح حسام والتي صارت تهدد بانفجار قريب يعرفه جيدا عندما اقتربت ليلي منهما والتي كانت تستطيع سماع كلامه ولم ترد أن تصب الزيت على النار لأن النتيجة كانت ستحرقها هي لتقول ببشاشة جاهدت لتصنعها

- "حسام وأنا قريبان، وهو تكرم بالسماح لي بأن أقيم عنده حتى أنهي عملي هنا... لا بد أنك أحد الجيران صحيح؟"



حتى وإن لم يصدق كلامها إلا أنه جاراها في لعبتها ليقول  
بابتسامة لم تصل لعينيه

- " صحيح، أنا معاذ أقيم قريبا من هنا... الحقيقة جئت  
للاطمئنان على حسام بعدما علمت بما حدث، وسلوى زوجتي  
أصرت بأن أصحابه معي من أجل العشاء وبما أنك ضيفة  
حسام فيشرفنا أن ترافقيه أيضا"

تطلعت برعب جهة الواقف معهما بصمت لتجده يكاد يفتك  
بكليهما فتلكأت في الإجابة وهي لا تدري ما الذي ستقوله،  
فبالطبع لا يمكنها مرافقته ولو على قطع رقبتها ولا تظنه  
سيقبل العرض في المقام الأول....

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تعود بنظرها لمعاذ والذي كان  
يحلل الموقف قبل أن تباعد بين شفيتها تنوي الاعتذار عن  
تلبيه عزيمته من جهتها عندما سبقها حسام وهو يجيبه بحدة  
نوعا ما

- " ربما في يوم آخر فأنا لذي عمل أقوم به"

لكن الواقف معهما لم يكن لديه أي نية في التراجع بل أصر  
على طلبه خصوصا وهو يرى أن وضعهما مريب، لتلحق به  
بعدها زوجته التي كان لجوجة أكثر منه لينتهي بهم الوضع

في عشاء كارثي على ضوء الشموع والتي جعلت من شكل حسام أكثر رعبا برفقة زوجين مزعجين وثلاثة أطفال متوحشين...

كانت تشعر بالاختناق وسط تلك الأجواء فمن الواضح أنهم كانوا على صلة وطيدة بندى وحسام وكما عرفت أن معاذ خرج على التقاعد المبكر لأنه تلقى رصاصة بدل حسام وبالتالي هو مدين له بحياته....

بعد أكثر من ساعة كان صبر حسام قد نفذ فاعتذر من الجميع وهو يغادر عائدا للمنزل ليلحقه معاذ تاركا إياها مع سلوى التي انهالت عليها بالأسئلة والتي حاولت جاهدة إما تجاهلها أو الإجابة عنها باقتضاب، وكلما حاولت المغادرة كانت تتمسك بها وتجد ألف عذر حتى لا تغادر لكنها كانت تعلم جيدا أن خلف تلك اللطافة فضول قاتل في معرفة علاقتها بحسام ولن ترتاح قبل أن تكتشفها...

عندما ينست من الحصول على إجابة شافية غيرت الموضوع وتحدثتا في شتى الأمور فأحست بالاسترخاء قليلا ولم تعد مضطرة للتمثيل أو الكذب، لدرجة أنها أحست أنها إنسانة طبيعية تجري حديثا طبيعيا مع جاريتها اللطيفة....

سخرت من نفسها عند تلك الفكرة، في أي وقت من حياتها  
كانت الأمور طبيعية؟

كانت الأمور تمر بسلاسة حتى اقتحم الإبن الأكبر غرفة  
المعيشة وهو يلهث ليقول بصوت متقطع بسبب تنفسه  
السريع

- " حريق... هناك حريق... في بيت العم... حسام... "

اتسعت عيناها برعب قبل أن تهتف بفرع

- " حسام هناك... "

لم تمنح نفسها الوقت لتتعامل مع الصدمة بل ركضت للخارج  
وكل ما يشغل تفكيرها أن حسام هناك في البيت وهو يحترق،  
يا الهي لا تجعل مكروها يصيبه...

دقائق فقط استغرقتها لتصل إلى هناك لتجد جمعا غفيرا من  
الناس ولا أحد منهم يستطيع الاقتراب من البيت الذي تندفع  
من نوافذه السنة النار والدخان...

اندفعت من بينهم باتجاه المدخل غير مبالية بالنيران حتى  
أنها وصلت عنده وحاولت الدخول وهي تصرخ باسم حسام،

لم تهتم بالحرارة التي كانت تلتفحها ولا بيديها التي تأذت فكل ما كانت تهتم به هو أن يكون بخير فقط بخير...

كان هناك من سحبها للخلف وهو يقيد حركتها يمنعها من اقتحام المكان وهو يؤكد لها أن لا أحد في البيت لكنها لم تكن تستمع لما يقوله، وهي تحاول التخلص من أسره...

أخيرا انهارت أرضا ودموعها تسقي وجنتيها وتحول بكأؤها لنحيب وهي ترى رجال الإطفاء يخمدون النار ولا أثر لحسام.....

## الفصل الثامن عشر

راقبت النيران التي ينعكس توهجها على مقلتيها الغارقة في الدموع وقد خارت قواها ولم تعد قادرة لا على النحيب أو الصراخ حتى يسمحوا لها بالدخول، وهي تلتهم البيت بقسوة وتبحث عن المزيد ولو لم تكن جدرانها من الإسمنت لما تركت له أثر...

حدقت في الأدخنة المتصاعدة كأنها ترى كل ذكرى من ذلك البيت تتحرر معها، كل الحب، كل السعادة وحتى كل المآسي

التي كانت تختزنها جدرانها تضمحل تدريجيا... وكأنها كانت مقيدة، حبيسة كصاحبها...

كانت تتمسك ببطانية لا تدري حتى كيف وصلت إليها لكنها فعلا كانت بحاجة إليها، وكأنها الأمان وليس فقط الدفء، تحتضنها زوجة معاذ التي لم تتركها للحظة حتى أنها كانت تقرأ آيات قرآنية بخفوت طوال الوقت حتى تهدأ من روعها وتستكين...

وأخيرا بعد أن نجح فريق الحماية المدنية في السيطرة على الوضع، تقدم القائد ناحيتها وهو طبعاً من سكان المنطقة، ببدلته الزرقاء وهو يخلع قبعته وقفازيه فرفعت عينيها إليه وهي لا تملك الجرأة لتسأل ماذا وجدوا في الداخل، لكنه استطاع قراءة قلقها وبارقة الأمل القليلة التي تتمسك بها وهي من أربكته بجنونها وشجاعته في نفس الوقت منذ وصولها لدرجة جعلته يسرق بضع نظرات ناحيتها لكنها كانت وكأنها مغيبة...

- " انستي، تم السيطرة على الوضع... لا أحد في البيت... حسام لم يكن في الداخل..."

ابتعدت عن ذراعي سلوى التي لم تتركها تماما بل ساعدتها على الوقوف بثبات فهي لا تضمن ألا تهوي أرضا بعدما شهدته من ثورتها، لتقول بعدم تصديق والدموع تعود للترقق عند جفنيها

- " هل أنت متأكد؟ سيارته هنا؟ و..و..و هناك من رآه عائدا... "

ابتسم بحنان وعينيه لا تفارق وجهها وهو يقول  
- " أنا متأكد، فريق الإنقاذ فتش البيت جيدا.... "

سمحت لنفسها بالانهيار على صدر سلوى التي احتضنتها بقوة تحمد الله، وهي تشهق وتمسح أنفها وعينيها بظهر يدها كالطفلة الصغيرة...

عندما تأكد الجميع أن كل شيء على ما يرام انفض الجمع وكل واحد يعرب عن أسفه لما حدث....

حاولت سلوى اصطحابها لبيتها لكنها أصرت على الإنتظار هناك فلم تجد بداً من البقاء برفقتها مع ذلك الشاب الذي ظل معها مؤخرا كل فريقه، فرمقته بنظرات متشككة وهي تلاحظ اهتمامه الزائد بليلي ومحاولته للتقرب منها عدة

مرات وأخيرا لم تعد تحتل الصمت خصوصا أن الأخرى كانت غافلة تماما عما يقوم به، لتقول بابتسامة مصطنعة - " شكرا لك... يمكنك الانصراف لفريقك يبدو مرهقا جدا، وأنا سأهتم بالباقي.."

امتعت ملامحه وقرأت الرفض فيها لكنها تجاهلت ذلك وهي تنظر إليه بثبات... كان سيرد عليها عندما تقدم منهم أحد الشرطيين الذين كانوا في الموقع وهو يلقي التحية قبل أن يقول برسمية

- " أنا المحقق المسؤول فراس... أنا وحسام كنا نعرف بعضنا منذ زمن... وبما أنه غير موجود فأنا بحاجة للتكلم مع أحد من العائلة هل أنت قريبة له؟"

وكانها غير واعية لما تفوهت به أجابته

- " أنا زوجته..."

صدمة شلت الواقفين إلى جانبها جعلت أفواههم فاغرة، وبينما انسحب قائد فريق الحماية المدنية بصمت وخيبة، همست سلوى بغير تصديق

- " زوجته؟!...!"

أما فراس فقد تعامل مع الوضع بعملية رغم معرفته بوفاة  
ندى القريبة ليتابع قائلا

- " حسنا سيدتي.... يبدو أن السبب الرئيسي لاندلاع الحريق  
هو الغاز..."

- "الغاز؟..."

همست ليلي وهي تحاول جعل عقلها الذي شلته الحادثة  
يستوعب المعلومة قبل أن تقول بعد لحظات وقد بدأت تستعيد  
تماسكها

- " لكن الغاز مقطوع عن كل الحي منذ أمس بسبب بعض  
التصليلات وهذا يعني من المستحيل أن يكون هو السبب  
و.."

قاطعتها سلوى وهي تتذكر شيئا

- " لقد عادت الامدادات عندما كنتما عندنا في البيت لكن  
الكهرباء لا تزال مقطوعة، فيمكن أن أحدكما ترك موقدا أو  
شيئا آخر مفتوحا...."

حاولت التذكر لكنها لم تستطع التركيز، حسنا لقد تركا  
الشمعة في المكتب، ومتى آخر مرة استعملت فيها الموقد أو



السخان، ربما... لم تستطع تجميع أفكارها، فمستت صدغها بتعب وهي تعتذر لأنها مشتتة...

واصل المحقق استجوابها وهي ترد بنصف عقل وعينيها تجوب المكان بحثا عنه فربما ظهر وأراح قلبها الذي يتلهف للاطمئنان عليه...

وفي خضم حديثهم سمعت سلوى تهمس بمفاجأة  
- "إنه حسام ومعاذ..."

ودون لحظة انتظار كانت قدميها تتحرك ناحيته بلهفة، وعينيها لا تفارق وجهه تريد بل تحتاج أن تتأكد أنه بخير وأن أكبر مخاوفها لم تتحقق، تريد أن ترتمي بين ذراعيه ورأسها على صدره تستمع لنبضه وتتفسه، أن تشعر أنه لم يتركها، أنها لم تفقده هو الآخر...

توقفت فجأة في منتصف المسافة وهي ترى أنه لا يراها وأنه يركض جهة البيت أو ما بقي منه... هي لم ولن تكون شخصا ذا قيمة في حياته... لقد ركض إلى بقايا ذكرياته دون أن يلتفت حتى إليها، دون أن يسأل إن كانت على قيد الحياة أو احترقت حتى لم يبقى منها غير ذكراها التي يمقتها على ما يبدو...

أخفضت رأسها وهي تضغط شفيتها تمنع شهقتها من التحرر...

إنها تتألم بل أكثر من ذلك بكثير لدرجة يصعب إيجاد مرادف مناسب لتقديرها...

ابتلعت النخزة التي اخترقت قلبها وأمعت في ادمائه قبل أن تأخذ نفسا عميقا وتحرره ببطء عندما أحست بذراع تحتضن كتفها وصوت سلوى الدافئ يتسرب إلى أذنيها

- " دعينا نذهب فمن الواضح أن بقاءك هنا لا فائدة منه "

قادتها دون أي مقاومة وهي تعي أنها محقة فما الذي كانت تتوقعه غير ما حدث...

\*\*\*\*\*

هل سيفقد آخر لمحة باقية من حياته الماضية؟ ذلك البيت هو كل ما تبقى لديه من والديه بعد أن تركاه له، ومن ندى، كان يحس أنهم معه في كل ركن منه، صوت أمه الدافئ ولمستها الحانية، مزاح والده وهو يزعجها، رقة ندى وعذوبتها، أصوات ضحكاتهم وصورهم في كل موقف عاشه معهم... لما يجب عليه أن يخسر آخر ما يربطه بإنسانيته...؟

كل تلك الأفكار والأسئلة كانت تتصارع في عقله وهو يركض إلى الداخل دون أن يحيد نظره عن هدفه ليقف صدوما وهو يرى ما خلفته النار... مجرد جدران تتشح بالسواد، وأدخنة خانقة جعلته يكاد يختنق..

تجول بين الغرف وهو يرى أن كل ما كان يتمسك به تحول إلى رماد أو مخلفات محترقة من غير معالم ما عدا بعض مما نجا من السنة النار...

حاول تجميع ذكرياته التي تركته هي الأخرى وتخلت عنه، حتى هي لم تصمد أمام الزمن وها هو وحيد مرة أخرى وهذه المرة حرفيا...

جلس هناك على الأرض المبللة يمسك شيئا ما لا يستطيع حتى تمييز ماهيته، هذا هو ما تحولت له حياته، شيء مجهول من غير هوية يغرق في الظلام...

بعد أن منحه معاذ دقائق لوحده فهو يعلم جيدا أنه في تلك اللحظات يشعر أنه يفقد عائلته من جديد، دخل إليه ليخرجه من هناك فهو لن يسمح له بالموت والغرق وسط متاهة أحزانه....

\*\*\*\*\*

زفرت سلوى بحنق وليلى تدفعها إلى حافة الجنون وهي  
تتمسك بعنادها لتتهف بها بغضب

- " أنت يا فتاة... لا تتجاهليني وأنا أكلمك... أقسم بالله حمزة  
ابني الأصغر لا يتصرف بطفولية مثلك، دعيني أنظف تلك  
الحروق، فأنت تجلسين هناك منذ عودتنا كأنك لوح جليد..."  
عندما لم تجد أي استجابة منها جلست إلى جانبها وأمسكت  
كفها فرأت وجهها يمتقع من الألم لكنها لم تنبس بحرف،  
فتهدت قبل أن تقول بنبرة أكثر حنانا

- " ليلي، لا فائدة من تعذيب نفسك، لقد رأيت ما حدث، حسام  
لن يسمح بدخولك لحياته وإن حدثت معجزة وفعل سيدمرك  
معه لأنه يرى أنه لا يحق له الحياة مرة أخرى..."  
صمتت قليلا قبل أن تتابع

- " حسام يمر بنفس الحالة التي عاشها شقيقي رحمه الله  
بعد أن فقد عائلته في حادث سيارة، لقد دمر نفسه ودمر معه  
زوجته الثانية التي أرغمتها أمي حرفيا على الزواج بها، ليس  
هذا فقط عملي كطبيبة نفسية يجعلني أرى هذه الحالات دائما  
ورغم تعاطفي معهم إلا أنهم يظلون قابعين داخل السواد وكل

من يمد يده لمساعدتهم ينتهي به المطاف مثلهم أو أسوء....  
خادري ما دمت تستطيعين..."

انسابت أولى دمعاتها لتلحق بها غيرها وهي تقول بصوت  
متقطع

- " فات الأوان على الهرب... "

أغمضت سلوى عينيها وهي تحرك راسها بأسى قبل أن  
تهمس

- " يا إلهي، أنت تحبينه... "

احتضنت ليلي وهي تشهق بعنف تربت على كتفها لا تدري  
تواسيها أم تشجعها، عندما سمعت صوت أقدام فرفعت  
عينيها لتجد حسام يقف وملامحه غير قابلة للقراءة، فوقفت  
مبتعدة عنها واتجهت إليه، لتقف بمحاذاته عند الباب قبل أن  
تهمس

- " أقنعها بتطهير الحروق وتنظيف نفسها، الغبية كانت  
ستقتحم البيت وهو يحترق من أجلك "

لاحظت اتساع عينيها قليلا وذلك هو التغيير الوحيد الذي ظهر  
على مظهره الجامد فتابعت بتهكم

- " لقد رددت لها التضحية بطريقة جيدة... "

ثم تركته دون أن تضيف شيئاً...

بعد لحظات تردد حسم أمره واقترب منها ليجلس على ركبتيه أمامها، ودون أن يتكلم جذب يديها وتطلع لباطنهما ليرى تلك الحروق التي رغم سطحيتهما يعلم أنها مؤلمة، فسحبتهما بسرعة وهي تقبضهما بقوة رغم توجعها...

لكنه جذبهما من جديد وهذه المرة أحكم القبض عليهما، قبل أن يأخذ الضمادة الذي تركتها سلوى على الطاولة ومررها بلطف على الحروق ثم أتبعها بالمرهم وخلال ذلك انتبه أنها تحبس تأوها حتى لا تظهر ضعفها أمامه فابتسم بهدوء وواصل عمله ليسمعها تقول بجفاء

- " لست مجبراً على فعل ما لا ترغب فيه، أعلم جيداً أنك كنت تتمنى أن أكون هناك... "

توقف عما يفعله دون أن يترك يدها أو يرفع عينيه إليها، عندما أردفت

- " هل كنت لترتاح لو رأيتني أتعذب وأنا أحترق؟ هل كان وجعك ليخف لأن بعضاً من العدالة تحقق؟ "

زفر بضيق قبل أن ينظر إليها ليجدها تتأمله بحزن ليقول  
بحدة لم يكن يريد لها أن تظهر في صوته

- " أي وحش تعتقديني؟ أنا لست شخصا ساديا يتلذذ بروية  
عذاب غيره... "

ارتفع حاجبها باستنكار قبل أن تقول بتهكم

- " هل أعد لك قائمة بكل ما فعلته؟ حسنا ما رأيك بجعلي  
طعما لمروان وكلابه المتوحشة؟ أو محاولة ازهاق روعي  
مرتين في بيت أحمد وفي المشفى بعد وفاة زوجتك؟ اه  
تذكرت... تركي أتلوى من الألم دون أدويتي؟ هل أوصل أم  
هذا يكفيك؟ "

أشاح بنظره عنها وهو يغلق أنبوب المرهم ويعيده لعلبة  
الإسعافات قبل أن يقول

- " ربما معك حق، لكن لدي أسبابي ولعلمك أنت مستفزة  
لأقصى الحدود ولم أكن لأفعل أيا من ذلك لو فقط سايرتني  
فيما أريد.... "

صمت قليلا قبل أن يتابع وهو يقر بما فاجأه هو شخصيا

- "أنا لا ألومك على أي مما حدث لكن في نفس الوقت لا أستطيع أن أنسى صلتك بالموضوع..."

خيم الصمت على كليهما وكل يحاول اتخاذ خطوة مهمة ستغير مسار حياته قبل أن يكسره هو قائلاً

- "إذا، أخبريني لما فعلت ذلك؟"

ضيق عينيها وهي تنظر له بعدم فهم قبل أن تقول بتوجس  
- "فعلت ماذا بالضبط؟"

- "لما حاولت اقتحام البيت وهو يشتعل؟"

كانت ستلقي عليه إحدى تهكماتها المعتادة عندما تريد التهرب من الإجابة، لكنها لم تفعل، ما الفائدة من الإنكار، فحتى لو دعست كرامتها الآن هي اتخذت قرارها ولم يبق سوى التنفيذ

- "لأنني خفت أن تكون في الداخل، فكرة أن تكون قد تأذيت كانت مرعبة..."

تشابكت نظراتهما وشعور غريب خيم على الموقف، شعور لم يستسغه حسام فابتلع ريقه وهو يشيح بعينه بعيداً عن



مجالها قبل أن يجلي حنجرته ويقول بتهكم كي يخرج من  
تأثير الوضع

- " تصرف غبي من أجل شخص تعتقدن أنه وحش "

ابتسمت بمرارة قبل أن تقول بنبرة جسدت كل حزنها وخيبتها

- " معك حق لقد أثبت لي كم كنت حمقاء ومتفائلة لدرجة  
سخيفة... أظن أنني صرت طماعا زيادة عن اللزوم، في  
البداية أردت فقط أن أفي بديني لك، لكن الآن أظني أريد  
المزيد، وهذا ما لن تمنحني إياه مطلقا... لذا أعتقد أن هذه  
هي النهاية... "

عادت الدموع للتجمع في مقلتيها وصوتها ضاع مع آخر  
كلماتها....

- " أنت تستسلمين إذا عند أول عقبة؟ "

- " أنا لا أستسلم ولكني أعني جيدا أنك لا تحتاجني، أنت  
مكتف بذاتك وبذكرياتك، أنت كشخص محبوس داخل صورة،  
ويبدو أن سجنه هو عالمه الوحيد الذي يعرفه ولا ينوي  
الخروج منه.. أنت.. "

قاطعها وهو يهتف بعد أن استقام واقفا

- " بلى أنت تتسحبين... ماذا عن قولك أن قدرنا واحد وأنت لن ترحلي أبدا والسبيل الوحيد لذلك هو قتلك... "

شهقت وهي تستمع له، لم تكن تتوقع أنه كان يعيرها أي اهتمام وقتها، أو حتى سمع حرفا واحدا مما قالتة...

كتمت صوت شهقاتها بيدها وهو يتابع ونظره مثبت عليها  
- " أريدك أن تفي بوعدك يا نور... "

لقد ناداها باسمها الحقيقي لأول مرة، دون أن يكون الغضب هو ما يجعله يتكلم، هل هي الصدمة

مما حدث أو أنه قرر التحرر فعلا من قيود الماضي والخروج إلى النور؟

\*\*\*\*\*

كانت تجلس إلى مكتبها الفخم في تلك الغرفة المظلة على وسط العاصمة (باريس)، تحتسي شرابها بكل هدوء عندما رن هاتفها فتطلعت إلى الرقم وابتسمت بخبث، في وقته تماما... قبل أن تجيب بعربية ركيكة تغلب عليها اللهجة الفرنسية

- "عزيزي أسامة، توقعاتي لا تخيب أبدا فيما يخصك... هل أعجبك عرضي؟"

استمعت له وعينيها الرمادية كأنها ضباب مرعب قبل أن تقول بتهديد واضح

- "الحريق كان مجرد تحذير، رغم أنه كان من الممكن أن تخسرها فيه فعليا، الوقت ينفذ وأنا لا أحب تأخير أعمالى مطلقا، أريد كل حسابات كمال التي استولى عليها والدك من بعده أو ستكون المرة القادمة أكيدة وستفقدها"

وقبل أن تسمع جوابه كانت تغلق الخط ونظراتها يكتسيها جليد قاس، مروع لا يرحم، لتلتقط كأسها وتقف أمام الواجهة الزجاجية لمكتبها تنظر إلى المدينة أسفلها وهي تهمس بوعيد

- "ابنتنا العزيزة نجت يا كمال، يبدو أنها مقاتلة شرسة... أتوق فعلا لرؤيتها بعد كل تلك السنوات، لكن مع الأسف سيكون لقاء قصيرا... قصيرا جدا"

\*\*\*\*\*

بعد مرور شهر

وقفت أمام باب غرفتها تتأمل النائم على الأريكة في غرفة المعيشة، حيث صارت مكان نومه بعد انتقالهما لتلك الشقة الصغيرة التي لا تحتوي سوى على غرفة معيشة، وغرفة نوم واحدة إضافة إلى المطبخ والحمام، وللحقيقة ليست شقة بمعنى الكلمة فهي تقع في الطابق الثاني لمركز تدريبات رياضية كان ملكا لقريب ريمة قبل أن يسافر للخارج، فأصرت أن يستخدمها بما أنه ترك المكان في عهدها قبل مغادرته، ورغم رفض حسام للفكرة في البداية لكن إصرارها على موقفها من أجل مساعدتهما بعد حادثة الحريق والظروف المالية السيئة التي كان يمر بها جعلته يرضخ ويتقبل الفكرة ولو مؤقتا حتى ينهي تصليح بيته رغم أنها لا تريد العودة هناك، بل كادت أن تكون سعيدة لرحيلهما عنه...

عادت بذاكرتها لذلك اليوم... ليلة الحريق، كانت قد حسمت أمرها بالابتعاد، لكن ما حدث بعد ذلك جعلها تتراجع، ما قاله لها عن حاجته لبقائها والوفاء بوعدا رغم أنه صدمها إلا أنه منحها بارقة أمل بأنه سيحاول أن يعيش من جديد...

صحيح أن الأسابيع الماضية لم تكن تطورا كبيرا لكنها على الأقل خطوة للأمام، فهو رغم قلة حديثه معها سوى للضرورة القصوى، وعدم تواجده في الشقة كثيرا حيث يتنقل

بين عمل وآخر رغم قدرته على العثور على عمل جيد خصوصا بمهاراته التي يملكها لكنه يرفض التفكير في ذلك فهو لا زال يعتقد أن سبب خسارته لندي هو عمله في الجيش، لكن ما يعطيها القوة لتحمل هو أنها لم تعد ترى اللوم والكره في نظراته على الأقل ليس كالسابق...

عبست قليلا وبهجتها الضئيلة تختفي وهي تتذكر تصرفاته الأخيرة معها، كلما عاملها بلطف ولو بدرجة صغيرة يعود لجفائه بسرعة وارتداء قناع البرود، كأنه في صراع بين شخصيتين، أو كأن ما يفعله خاطئ... يا إلهي لابد أنه يعتقد أنه بذلك يخون علاقته بزوجته...

عند تلك الفكرة تنهدت بقلة حيلة وهي تعود لغرفتها لتأخذ بطانية فالوقت لم يتجاوز الثالثة صباحا وهو ينام من غير غطاء والجو بارد، لابد أنه كان متعبا جدا لدرجة أنه لم يحس بالبرودة ونام مباشرة...

اقتربت منه محاولة ألا تصدر أي صوت وهي تضع البطانية على جسده فتمسك بها تلقائيا... ابتسمت لحركته تلك كأنه طفل صغير..

مظهره وهو نائم بهدوء رغم جبينه المقطب قليلا، أغراها لتندو أكثر منه وتسمح لنفسها بتأمله عن قرب، شعره الأسود الذي لم يعد قصيرا كالسابق، رموشه الطويلة، أنفه المستقيمة، نزولا لشفتيه المنفرجة قليلا... توقفت عندهما قليلا وخيالها يسرح أكثر من المسموح له لدرجة أنها لم تنتبه لجلوسها أرضا أمامه واقترابها من وجهه لدرجة خطيرة وهي تغمض عينيها...

انغماسها في تلك اللحظة التي جعلتها تفقد حذرها في الاحتفاظ دائما بمسافة بينهما جعلها لا تشعر به وهو يتحرك يقبل أن يفتح عينيه التي لا يزال النعاس يحكم سيطرته عليها، ليتطلع إليها من خلف جفونه المثقلة وكأنه لا يستوعب الموقف، قبل أن يفتحها على وسعها وقد احتدت أنفاسه مما جعلها تستفيق من غيبوبتها بصدمة دون ان تستطيع أن تتحرك فقد شل تفكيرها ولا تدري كيف تتصرف، لتحس به وهو ينتفض واقفا مبتعدا عنها وهو يهتف بحدة رغم نظراته المتوجسة

- " ما الذي كنت تفعلينه...؟ "

ابتلعت لعابها بصعوبة والتوتر يجعل من الصعب جدا إيجاد  
جواب سريع يهدئه قبل أن تثور ثائرته لتقول في النهاية  
نصف الحقيقة على الأقل

- " لقد نسيت أن تأخذ البطانية عندما عدت متأخرا لذلك  
أحضرتها لك ولم أشأ أن أوقظك..."

توهجت وجنتاها باللون الأحمر خجلا من تصرفها الجريء  
وهي ترفرف بجفونها منتظرة ردة فعله دون أن تجد القوة  
في ساقبها للوقوف...

راقبت نظراته المتوجسة التي نزلت إلى جانبها حيث تقبع  
البطانية التي وقعت بعد أن رماها عندما استيقظ بعنف قبل أن  
تعود إليها وهو يضيق عينيه بشك خصوصا وهي تجلس  
بتلك الطريقة وبذلك الشكل الذي يوحى بالكثير...

مسد وجهه يفرك عينيه بقوة حتى يستفيق تماما قبل أن تمر  
أصابعه داخل خصلات شعره وهو يتنفس بسرعة قبل أن  
يزفر نفسا حدا، عندها استجمعت قوتها لتقف مواجهة له  
لتسمعه يقول بهدوء مصطنع

- " هلا عدت لغرفتك لو سمحت.. "

أغضت عينيها قبل أن تهمس بتوتر

- " حسام، أنا لم... "

قطع جملتها وهو ينظر إليها بحدة وهدوءه الزائف يتلاشى  
قبل أن يأمرها بحزم

- " نور عودي إلى غرفتك، لا أدري ما الذي كنت تنوينه  
بالضبط لكن إياك أن يتكرر مرة أخرى "

ابتلعت الطعنة التي تلققتها وهي تستدير عائدة إلى غرفتها  
دون أن تضيف أي كلمة فهو معه حق، لقد تعدت الحدود التي  
رسمها بينهما منذ انتقالهما... بعد أن أغلقت الباب خلفها  
سمعتة يصفق أحد الأبواب قبل أن تسمع صوت المياه، لا بد  
أنها أغضبتة فعلا هذا ما خطر على بالها لكن من يدري بماذا  
كان يفكر....

## الفصل التاسع عشر

فتحت ليلى باب الشقة وضحكاتهما تملأ المكان بينما كانت  
تستمع لكلام ريمة التي كانت بالكاد تستطيع التقاط أنفاسها  
وتكوين جملة متكاملة من شدة ضحكها



- " لا أصدق أنك كدت تفتحين تحقيقا مع البائع المسكين حول جودة السلعة... أقسم لك كدت أرى حبات العرق تتساقط، لقد كان يرتجف ظنا منه أنك من مصلحة حماية المستهلك وأنك ستجعلينه يدفع غرامة"

أجلت صوتها الذي اختفى وهي لا تزال مستمرة في نوبة ضحكها قبل أن تستطيع السيطرة عليها بصعوبة، لتجيبها وهما تتجهان لغرفة المعيشة لتضع أكياس المشتريات من يدها

- " فليشكر ربه أي لم أضربه بسلعته على رأسه لقد كان يخادعنا... أفضل أن أشتري شيئا محليا أعلم أنه أصلي على آخر أجنبي لكنه مغشوش"

رفعت ريمة حاجبيها من تفكيرها فهي عادة ما تشتري من المتاجر المعروفة ولم تقع يوما في مثل تلك المشاكل لكن اليوم ليلى أصرت على الذهاب للسوق بدل المركز التجاري المعتادة عليه، ففي غياب أحمد لم تجد أحدا معها غيرها كي تؤنسها وللصراحة رفقتها ممتعة رغم جنونها....

رمت حذاءها ذو الكعب العالي جانبا لتجلس على الأريكة رافعة قدميها تداكهما بتعب، ما كان عليها ارتداؤه لكنها لا تستطيع انتعال أي نوع آخر...

استدارت جزئيا حتى تتاح لها رؤية ليلي التي كانت في المطبخ وبيدها قارورة ماء ترتشف منها قبل أن تسألها

- "لم تجيبيني عن سؤالي، وكلما طرحته غيرت الموضوع، هل كل شيء بخير بينكما؟"

توقفت للحظات والزجاجة بين شفثيها قبل أن تواصل شربها للماء قبل أن تضعها على الطاولة وهي تغلقها بهدوء كأنها تؤجل فقط الإجابة أو ربما تأمل أن تياس ريمة منها وتغير الموضوع، لكن لا فائدة فقد كانت متمسكة بسؤالها حيث كانت تتطلع إليها منتظرة عندما رفعت عينيها عما كانت تفعله...

تنهدت بنفاذ صبر قبل أن تعود للغرفة وتجلس على الأريكة المقابلة لها لتقول بجمود

- "حسام هو حسام يا ريمة، لم يتغير وأشك أنه سيتغير يوما  
ما"

التقطت تلميحها عن حالتها المتباعدة وربما السيئة وعدم رغبتها في الإفصاح عن أي شيء، ففي خلال الأسابيع الماضية استطاعت أن تفهم شخصيتها وتتقرب منها أكثر... قطبت جبينها وهي تضيق عينيها قبل أن تنحني مقتربة منها لتهمس كمن يفشي سرا

- "ألا تعتقدين أنه يخونك وربما يعيش علاقة غير شرعية مثلا"

تطلعت إليها ليلي بعيون متسعة ببلاهة قبل أن تنفجر ضاحكة لتشاركها ريمة في ذلك لتقول من بين ضحكاتها  
- "لو فعل ذلك يا حبيبتى على الأقل سأؤكد أنه لم يعد الطائر الحزين الذي ينغص حياته "

بعد أن هدأت كلاهما أشارت ليلي وهي تحرك حاجبها إلى أحد الأكياس وهي تقول بريبة

- "ماذا كنت تخفين عني؟ لقد رأيتك تتسللين لبعض المحلات المشبوهة ورفضت أن أرافك"

زفرت ريمة بحنق وهي تقف لتلتقط كيسين قائلة باستنكار

- " ليست محلات مشبوهة يا عديمة الأنوثة، إنه متجر  
ملابس نسائية "

قبل أن تواصل وهي تلوي شفيتها مشيرة لملابسها  
- " وتقولين لم يتغير! بالطبع فمعه في البيت صديقه في  
الجيش "

نزلت بعينها تقيم ما ترتديه، جينز ضيق، قميص صوفي  
فضفاض... قطبت جبينها وهي تتساءل مما تشكو ملابسها  
فهي عملية وتناسبها... أعادت نظرها إلى ريمة التي كانت  
تنظر إليها وتهز رأسها بتأكيد على ما قالتها، لكنها قررت  
تجاهلها لتجيبها بثقة

- " بضع ملابس مثيرة لن تجعله يتقبلني أو ينسى الماضي  
الذي بيننا "

- " حسنا إنها هدية لا يمكنك رفضها فأنا أردت تغيير مزاجك  
فقط "

ابتسمت ليلي بلطف وهي تأخذ الكيسين منها فهي تعلم جيدا  
أن رفضها لهديتها سيحزنها وهي لا ترغب في ذلك حقا لأنها  
كانت إلى جانبها طوال الفترة الماضية إضافة لأحمد الذي

ساعدها على استعادة أوراقها، وسلوى أيضا لم تقصر معها... لقد اكتشفت أن لها بضع أصدقاء حقيقين يعتمد عليهم رغم أنها كانت غريبة عنهم من فترة وجيزة... لمعت عيني ريمة وأشرقت ابتسامتها قبل أن تقول بغرور - " فتاة مطيعة، لو لم تأخذهم برضاك كنت أجبرتك، والآن أخبريني ماذا قررت أن تفعلي بعدما رفضت أي مساعدة مالية منا وبالتأكيد لن تسمح لي لحسام بإعالتك خصوصا وهو لا يعترف بزواجكما "

هزت كتفيها كأن ما ستقوله شيء بديهي

- " سأواصل حياتي بالطبع، لن أسمح ببقائي عالقة بين أغبرة الماضي وعواقبه، لم يعد هناك ما يثقلني فقد انكشف كل شيء لذلك ضميري مرتاح ومستعد للمضي قدما، وبما أنني استعدت أوراقتي التي تركتها بالميتيم فقد تقدمت بطلبات عمل في عدة جرائد، ومتأكدة أن احداها ستقبل، ولا تنسي أنني خريجة UWE (جامعة وستمنستر بلندن) ولدي خبرة ولا أظنهم سيضيعون فرصة كهذه "

أنهت جملتها ولمحة من الفخر تعلقو ملامحها فما حققته كان بمجهودها وحدها ...

استقامت ريمة وهي تقول بمرح

- " حسنا يا أستاذة تبدين في غنى عن مساعدتنا، لكن ان  
احتجتني في شيء آخر فقط اتصلي "

لتغمز في آخر كلمة بإيحاء، فالتسعت ابتسامة ليلى لتقول

- " فلتتركي طرقك الملتوية لأحمد ودعيني وشأني "

تجاهلت كلامها وهي تتجه للباب مودعة إياها بحبور تاركة  
إياها مع أفكارها ونظراتها التي عادت تتطلع للأكياس كأنها  
قنابل موقوتة...

\*\*\*\*\*

حملت أغراضها واتجهت لغرفتها حتى ترتبهم ليقابلها الكيس  
الأبيض الذي يحتوي على الملابس النسائية، ضيقت عينيها  
وهي تزم شفيتها مطيلة النظر إليه كأن محتوياته ستقفز فجأة  
أمامها وتهاجمها، وبتردد اقتربت منه وجذبت إحدى الثياب  
أو ربما هي خرقة شفافة حسب اعتقادها... فغرت فمها وهي  
تديرها بين أصابعها تتساءل إن كان حجمها قد تقلص  
ليناسب الدمى أو أنه شكلها الأصلي... رمتها بعيدا عن مداها  
وهي تهز كتفيها تنفض عنها تلك القشعريرة، تعلم أنها

جريئة لكن ليس في هذا النوع بالضبط بل في الكوارث  
الدموية وما يمت لها بصلة... واصلت رؤية باقي الثياب وفي  
كل مرة تصدم مما تجده أكثر لدرجة أن وجهها تحول للون  
القرمزي وصارت تتلفت حولها خوفا من أن يدخل أحد ويجد  
تلك... تلك... حسنا لم تستطع إيجاد مرادف مناسب لوصفها...  
جمعت كل شيء بسرعة وحشرته داخل الكيس بنزق قبل أن  
تضعه أسفل الخزانة خلف مجموعة من الثياب حتى لا يصل  
إليه أحد... يا إلهي كيف توقعت ريمة أن ترتدي مثل تلك  
الملابس التي هي متأكدة لو جمعت معا لن تشكل ثوبا واحدا  
محترما...

كانت سترمي الكيس الآخر إلى جانبهم لكن فضولها تغلب  
عليها، ففتحته لتجد ثوبا ربيعيا رقيقا باللون الأصفر الشاحب  
وورود صغير عند صدره وعند حافته من الأسفل، كان لطيفا  
جدا رغم أنه لا يزال الوقت مبكرا لارتدائه فهو يحتاج جوا  
دافئا...

حملته وابتسامتها تزين محياها لتقف أمام المرآة وهي تضعه  
على جسدها تتأمله بعيون مشرقة كأنها حصلت على هدية  
العيد، في العادة هي لا ترتدي الفساتين حتى لو كانت حياتها

معلقة بها فهي كانت بحاجة لأن تكون عملية ومستعدة في جميع الأوقات كأنها في حالة حرب وتأهب قصوى...

مسدته بلطف وهي تشرذ في المرأة... فأمامها امرأة تبدو سعيدة على الأقل شكلا... لم تحس بالذي دخل الغرفة ووقف يتأملها حتى سمعت صوته وهو يهمس بنعومة

- "تبدين جميلة.. جميلة جدا.. إنه يناسبك تماما"

رفرفت بجفنيها وهي تراقبه انعكاسه وهو يقترب منها ليقف خلفها، ظهرها يستند إلى صدره، كأنه مكانها الطبيعي، وجد من أجلها...

لم تصدر أي حركة أو صوت خوفا من أن يكون حلما أو ربما هو حقيقة ولا تريد افسادها....

خرج نفس متهدج من بين شفثيها قبل أن تسمعه وهو يهمس قرب أذنها

- "استرخي نور"

قبل أن يفك قيد شعرها وأصابعه تتخلله ليضعه على جانب واحد سامحا لنفسه بالاستحواذ على جانب عنقها ليضع رأسه هناك يستنشق عبيرها، وشفثيه تزحف مقتربة...



أغمضت عينيها تسمح لنفسها بالغرق في تلك اللحظة تنهل  
من عذوبتها وسحرها... وفجأة أحست بتيار بارد جعل رجفة  
غير مستحبة تسري على طول عمودها الفقري...

فتحت عينيها على اتساعهما بصدمة وهي تدير رأسها حولها  
لتجد الغرفة فارغة إلا منها هي ولا وجود لحسام...

رفعت عينيها للمرأة لتجد امرأة شاحبة اختفت اشراقها، لقد  
كانت تتخيل كل ذلك، كيف خدعها عقلها بتلك الطريقة  
المخجلة، كان يجب أن تعرف أن حسام لن يقترب منها أبدا،  
كم كانت غبية لتصدق صورة زائفة اختارها عقلها كي  
يتلاعب بها خصوصا وهي ضعيفة جدا تجاه ولو القليل من  
اهتمامه....

نفضت رأسها تبعد عنها تلك الأفكار المضللة عن علاقة  
طبيعية تجمعهما قبل أن تضع الفستان على السرير بعناية ثم  
التقطت منشفة واتجهت للحمام الذي ولسوء حظها منفصل  
عن غرفة النوم وهي تشتم ريمة التي زرعت تلك المشاهد  
الغريبة في عقلها....

\*\*\*\*\*

كان يكلم شخصا ما على الهاتف عندما دخل البيت، يحاول التفاوض معه بخصوص العمل ومن نبرة صوته كان يبدو مرهقا وفي نفس الوقت منزعجا... زفر وهو يرفع عينه بغضب قبل أن يقول بصوت يحاول جاهدا ألا يظهر فيه رغبته في قتل محدثه

- " فقط أغلق الخط يا عمار فأنت تدفعني لشتك، سأخذ حماما سريعا وأجلب الوثائق "

اتجه للحمام الذي كان بابه مواربا فقط وليس مغلقا لتتوقف يده على المقبض يتطلع للتي لم تكن منتبهة لوصوله تقف أمام المرأة تجفف شعرها وتتلاعب به بينما تدندن لحنا حزينا...

تسمرت نظراته عليها يتأملها بدء من شعرها الرطب المموج، نزولا لكتفيها وذراعيها العاريين وحمرة طفيفة تعلوهما من أثر المياه الدافئة، مرورا بالمنشفة الوردية التي تحتضن جسدها وتنتهي فوق ركبتيها...

ضم أصابعه بقوة وهو يشيح بعينه بعيدا متجها لغرفة النوم وهو يلعن ضعفه، لقد كان يحاول توسيع المسافة بينهما لأنه لم يعد في مأمن من تأثيرها القوي عليه وقد تأكد له ذلك ليلة

وجدها راکعة أمامه، لقد أراد فعلا تنفيذ ما كانت تصبو إليه من اقترابها لولا الذرة الباقية من تحكمه في نفسه...

هو لن يسمح بدخولها لحياته، لن يخون ذكرى ندى وهي لم تفارقه منذ مدة طويلة، وحتى لو مرت سنوات لن يسمح بذلك، ليس معها هي...

توقف أمام السرير ينظر بتوجس للفستان القابع فوقه، قبل أن تتسع عينيه تدريجيا وصور من الماضي تتوالى في مخيلته، ذكريات حية لندی ترتدي نفس الفستان الذي أهدها لها....

انحنى يقبضه بين أصابعه ونظراته تشتعل بوعيد، كأنها الفرصة التي كان ينتظرها ليثبت لنفسه أنها لا تعني له شيئا، كي يفجر فيها غضب ضعفه الوليد تجاهها...

تحرك باتجاه الحمام تدفعه شياطينه ليقتمه بعنف راميا بتحفظه السابق عرض الحائط...

شهقت بفزع وهي تصطدم بحافة المغسلة الرخامية لترتفع يداها في حركة دفاعية تتمسك بالمنشفة وهي تتطلع له بعيون متسعة قبل أن تهمس بخوف

- " ما الذي فعله هنا؟ "

اقترب منها بخفة وهو لا يزال يعتصر الفستان قبل أن يرفعه  
أمامها وهو يقول بغضب مكتوم

- " ما هذا؟ "

بالكاد استطاعت ابعاد عينيها عن عينيه المشتعلة ووجهتها  
لما يحمله قبل أن تقول بصوت بالكاد يسمع

- " فستان... "

كان مصير الثوب أرضية الحمام المبتلة بعد أن قذفه بعنف  
لتصير ذراعها هي سجينة قبضته وهو يهزها بعنف

- " ما الذي تحاولين فعله بحركتك الخبيثة هذه؟ هل هي  
طريقة جديدة لبث سمومك والاقتراب مني؟ "

هزت رأسها تنفي ما يفكر فيه لتقول بصوت متهدج

- " أنت تؤلمني حسام "

لكنه أحكم قبضته أكثر وهو يقول من بين أسنانه بصوت  
قاسي

- " فلتجربي لمحة من الألم الذي تقولين إنك تريدين اخراجي منه.... هل اعتقدت أنك ستكونين مثلها أو يمكنك أن تحلي محلها لمجرد ارتدائك مثلها؟ "

أغمضت عينيها لا تريد رؤية القسوة الموجهة إليها قبل أن تقول بوجع

- " أقسم لك لا أعلم عما تتحدث الفستان كان هدية... "

صرخ فيها مقاطعا تبريرها وهو يدفعها عنه قبل أن يقول باستحقار

- " اصمتي.... لن ترتقي أبدا لتكوني مثل ندى "

تسارعت أنفاسها ليختفي الألم ويحل محله غضب ممزوج بالغيرة والحقد، لتقترب هي منه هذه المرة وهي تدفعه بيديها على صدره مرات متتالية وهي تصرخ بكل ما يعتمل داخلها وكتبته طوال الفترة الماضية

- " من قال لك أنني أريد أن أكون مثلها... أنت شخص مريض... مهووس بالماضي وأشباحه... شخص لا يستحق المساعدة لأنه في كل مرة يدوسها ويتشبث بمستنقع عذابه.... "

توقفت تلتقط أنفاسها وصدورها يعلو ويهبط وهي تطالعه بكره  
لتجده أمامها وهو يرفع يده أمام وجهها وصفعته تتوقف في  
الهواء ليخفها بعد لحظات وهو يتنفس بسرعة يمارس  
أقصى طاقته في التحكم في نفسه، وبدل ذلك قبض على أول  
شيء قابله وهو عبوة غسول استحمام زجاجية كان سيفجر  
فيها شحناته فتحرك مبتعدا ينوي رميها على أقرب جدا  
عندما سمعها تقول بكره

- " فلتتعفن مع شبح زوجتك القديسة فأنتما تستحقان  
بعضكما "

لم يعي لنفسه إلا وهو يقذف الزجاجاة باتجاه المرأة المثبتة  
قريبا منها لتتطاير شظاياها في كل مكان...

أغمضت عينيها وهي تحس بها تلامس جانب وجهها وكتفها  
بقسوة مخلقة جروحا صغيرة دامية...

لم يعر ما أصابها اهتماما وهو يدفعها بعصبية لتخترق القطع  
المتناثرة على الأرض باطن قدميها قبل أن يقول بتهديد

- " إياك.. إياك يا ابنة كمال أن تذكرني ندى على لسانك أو  
ستكونين أنت محل المرأة "

قبل أن يناظرها بدونية وهو يغادر ضاربا الباب خلفه....

انزلقت أرضا تتمسك بالمنشفة بقوة كأنها درع أمانها  
واحتضنت ركبتيها تضمهما لصدرها ودموعها تتحرر ليعلو  
صوت شهقاتها مرافقة لجسدها المرتجف بعنف....

بعد فترة أحست أنها استنفذت كل دموعها ولم يبق سوى  
همهمات المكتومة فتمسكت بالمغسلة تستند عليها فلا طاقة  
لها بعد كل ما حدث... عليها الرحيل من هنا قبل أن تضيع  
هي وهو كذلك...

دارت بعينها حولها ترى مخلفات حربهما عندما أحست  
بالأرض تميد بها فقبضت على حافة المغسلة تستجدي قوة  
من صلابتها لكنها ما أن حاولت المشي قليلا حتى عاودها  
الدوار ولم تساعدها الأرضية المبللة ليتحول كل شيء حولها  
إلى اللون الأسود....

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*

وقف عند نهاية الدرج يلهث قبل أن تبعثر أصابعه خصلات  
شعره يكاد يقتلعها، يلتفت خلفه بغضب لا زال يتأجج...

وقبل أن يتغلب عليه شيطانه ويقنعه بالعودة إليها تحركت قدماه نحو الخارج عندما سمع ضجيجا قادما من قاعة الرياضة التي تعلوها الشقة فغير وجهته نحوها...

لم يدرك الوقت الذي قضاه هناك لكنه كان منهك القوى، مستنفذا تماما، جسده يتصبب عرقا، عضلاته تؤلمه بشدة وبراجمه بها العديد من الجروح التي لم تثنه عن مواصلة لكمه لكيس التدريب...

كل لكمة حملت غضبه، قسوته، ضعفه، ألمه والأكثر من ذلك فقدانه لتركيزه وهي قريبة منه...

جلس مستندا على الجدار أنفاسه متقطعة لكنه لا يزال يشعر بشحنات الغضب داخله.. فرك وجهه بكفيه وهو يتنهد بتعب، عليه العودة للأعلى ووضع نهاية للموضوع....

خطا إلى الداخل ليجد المكان يعمه الصمت... دارت عينيه يبحث عنها وفرضية واحدة تخطر على باله، لقد سبقته في تنفيذ ما قرره... لقد رحلت تاركة إياه...

شعور غريب اجتاحه ربما الفراغ وربما الوحدة، لكنه في كلتا الحالتين لم يستسغه، لا يمكنه أن يفقد وجودها، فالصراع



الذي بينهما لن ينتهي وربما في احدى المرات قد يفقد  
سيطرته ويزهق روحها....

لكن لم تسري تلك البرودة في كل عروقه، كأن الشمس  
اختفت ولن تشرق مجددا ليكسو العالم جبال من الجليد، كأن  
الأمل في الغد قد اضمحل برحيلها...

نفض تلك الأفكار من رأسه وهو يؤنب نفسه على هذيانه  
السخيف مغلقا الباب لأي مجال للتفكير فيها، لكنه فشل عندما  
وقع نظره على باب الحمام..

هاجس مزعج قفز لعقله فتحرك تلقائيا نحوه ليتوقف بصدمة  
عند مدخله...

جسدها مسجى على الأرض خال من أي حياة بينما تنتشر  
حولها مياه ملونة بدمائها كما حال شظايا الزجاج المتناثرة..

تسمر مكانه وهو يتخيل الأسوأ قبل أن يرتفع مستوى  
الأدرينالين مع زيادة خوفه...

اندفع بسرعة نحوها ونظرة رعب تتجلى في عينيه قبل أن  
ينزلق إلى جانبها جاثيا على ركبتيه ليرفعها بين ذراعيه وهو  
يهتف باسمها لكن لا استجابة منها...

تحركت يديه يتفقد جسدها الذي كان باردا شاحبا، تعلوه الخدوش والجراح قبل أن يتهد بارتياح نسبي على الأقل هي لم تحاول الانتحار لكنه عاد للتوتر فما حدث لها كان هو السبب فيه... ضمها لصدره بقوة ليصدر عنها أنين منخفض لكنه كان كافيا لإخراجه من سلبيته فحملها بين ذراعيه إلى الغرفة قبل أن يضع على جسدها معطفا طويلا وهي لا تزال غير مدركة لما حولها قبل أن يسرع بها لأقرب مشفى....

\*\*\*\*\*

اقتحم غرفة الطوارئ وهي بين ذراعيه يصرخ في الجميع من أجل جلب طبيب...

وأخيرا كانت ممددة على السرير والطبيب يفحصها قبل أن يلتفت لحسام وهو ينظر له بريية، فمع حالتها أول شيء سيفكر فيه أنها ضحية اعتداء أو تعنيف ليسأله بشك

- " ما هي علاقتك بالمريضة؟ "

تراجع للخلف وسؤاله يضرب على الوتر الحساس وبينما كان هو مترددا كان الطبيب يحل ردة فعله قبل أن يشير له ليسرع في اجابته ليقول بعد لحظات

- "إنها... زوجتي"

- "إذا كيف حصلت على تلك الإصابات؟"

زفر حسام بحنق وهو يقترب منه مهددا

- "إما أن تقوم بعملك أو جد طبيبا آخر... أنت تضيع الوقت وتؤدي المريضة أكثر وإن أصابها مكروه سأحرق المشفى على رأسك"

ابتلع الطبيب لعابه بصعوبة وهو يتيقن من خطورة الوضع قبل أن يلتفت للممرضة التي كانت تقيس ضغطها ليأمرها بعد أن سمع النتيجة بتثبيت محلول معلق لها وتنظيف جروحها قبل اجراء باقي الفحوصات...

- "كيف هي؟"

خرج سؤاله مترددا ضعيفا وربما يحمل نكهة تأنيب الضمير

- "لقد كان ضغطها منخفضا لدرجة خطيرة أرجح أن السبب فقر دم نظرا لشحوبها الشديد أو ربما الانفعال والارهاق على العموم لقد طلبت تحاليل دم، وبعض جروحها تحتاج لتقطيب بسيط أما الباقي فسيشفى تلقائيا"

أوماً بهدوء وهو يحس بتعب رهيب بعد الرعب الذي عاشه  
في الساعة الأخيرة لسمع ما صدمه أكثر

- " هل زوجتك تعاني من أي مرض؟ حامل ربما؟ "

اتسعت عينيه وهو يسمع السؤال الأخير.. حامل... بالطبع  
مستحيل... فهو بالكاد استطاع أن يعترف أنها زوجته...

هز رأسه ينفي ذلك دون أن يجد القدرة على الرد بكلمات  
حقيقية... تحرك الطبيب مبتعدا وهو يتمتم بضيق من الحالات  
الغريبة التي تصادفه هو دوناً عن غيره...

أما هو فقد اقترب من السرير وانحنى نحوها، ويديه تجد  
طريقها نحو خصلات شعرها لكنه توقف قبل أن يلمسها  
ليقبض أصابعه بقوة أمام شفثيه وهو يضغط فكاه يكاد  
يحطمهما ثم غادر الغرفة هاربا من كل ما يشعر به....

الفصل العشرون

يسير وحده في رواق المشفى الهادئ الموحش لدرجة تقبض النفس عائدا لغرفتها حيث تركها نائمة، وفجأة يظهر أمامه الأطباء والممرضات يركضون بنفس الاتجاه بملامح لا تدل سوى على الموت....

لحظات هي تلك التي تسمر فيها في مكانه غائبا عما حوله وقد جمدته الصدمة، قبل أن يصفعه الواقع بقوة وهو يرسم أمامه مشاهد شبيهة بالتي يراها أمامه، ليتحرك راكضا نحو الغرفة...

وقف أمام الباب يلهث بأنفاس متقطعة قبل أن تتسع عيناه بصدمة وهو يرى الممرضة تسحب الغطاء الأبيض على وجهها موارية جسدها عن نظره...

نفس الصوت الرتيب الذي سمعه من قبل... ذلك الطنين الحاد... استدار نحو الجهاز الذي يرسم العلامات الحيوية كالمسير ليرى ذلك الخط المستقيم المستقر فعاد نظره نحو الجسد المتشح بالأبيض...

لا... هذا لا يحدث له مرة أخرى... أي قدرة عجيبة قد تجعله يتحمل ذلك الشعور المؤلم من جديد... أي قوة في العالم قد تحمله للوقوف على قدميه من جديد... وهذه المرة بالتأكيد

هو المذنب فيما حدث... هو من أرسلها للموت بيديه...  
 أغمض عينيه وجسده الغارق في عرقه يترنح للخلف...  
 أنفاسه الهادرة صارت سكاكين تمزق رئتيه... قلبه... هل  
 مازال قلبه ينبض أم أنه توقف في لحظة ما عندما رأى ذلك  
 المشهد... بالطبع لا يزال ينبض بطريقة مؤلمة لا يريد  
 الإحساس بها....

تمسك بإطار الباب يلتمس قوة لم يعد يمتلكها، قبل أن يتقدم  
 بخطوات متعثرة وروح تائهة تتشد ولو بصيص ضوء خافت  
 يده على طريق الخروج من ذلك الجحيم الذي يبتلعه...

لم يكن يسمع ما حوله... كل شيء متداخل... الأصوات كأنها  
 صدى يتردد من كل الاتجاهات، مبهمة لا يستطيع تحليلها...  
 الوجوه في الغرفة مشوهة كأنها لوحة رسمت بألوان مائية  
 سائلة ضيعت المعالم...

وقف أمام السرير وبتردد مد يده المرتجفة يسحب ذلك  
 الغطاء كاشفا عن جسد ندى بلامحها الهادئة التي اشتقاق  
 لها، لكن ليس لسكونها ذاك... قبضة اعتصرت قلبه بلا رحمة  
 تاركة إياه ينتفض بوجع فأغمض عينه بألم قبل أن يفتحها  
 ليتفاجأ بلامح نور ليلى بدلا منها... ابتعد كالمسوع عنها

ولم يسعفه عقله للفهم... فقد ترك ليلى في الغرفة ليعود ويجد ندى قبل أن تختفي وتعود الأخرى... زفر نفسا طويلا وهو يبدو ضائعا تماما قبل أن يقترب من جديد عل ما رآه بصره في المرة السابقة كان مجرد كذبة... لكن لا لم تكن خدعة... لقد كانت ليلى هي من تستكين على ذلك السرير وقد هدأت ملامحها وزاد شحوبها... شحوب من فارقت الحياة جسده... صرخة... صرخة من أعماق قلب تحت طاحونة الوجد وهو لا يزال يللمم أشلاءه من آخر مرة كسر فيها... صرخة روح لم يمهله العذاب فرصة لتسترد كيائها بل عاد لسحقها تحت رحمته من جديد...

انتفض على صوت صرخته يكاد يقع من الكرسي الذي غفا جالسا عليه دون أن ينتبه، جسده يتصبب عرقا، دقات قلبه متسارعة وأنفاسه تصارع لمواكبة وتيرتها... تطلع حوله يحاول استنباط أين هو بالضبط.. لكن ذلك المشهد عاد للظهور في مخيلته فالتفت بسرعة ناحيتها قبل أن يقطع المسافة بينهما بخفة ليقف أمام السرير وعينيه تلتهمها بخوف... يريد فقط التأكد أنها بخير... تنهد بارتياح وهو يري تنفسها المنتظم... إنها فقط نائمة... فرك وجهه بكفيه وهو يستغفر ربه....

إنه فقط نفس الكابوس الذي ظل يلاحقه تلك الليلة... كلما غافله النوم وتسلت خيوطه المخدرة عبر جفنيه فاردة سيطرتها على وعيه المرهق عادت تلك المشاهد المرعبة لمحاصرته... قد يكون بدأ يتعود على فقدان ندى رغم العذاب الذي يحسه كلما رآها فاقدة للحياة لكن أن يرى ليلى أيضا في ذلك الوضع وبسببه أمر فوق طاقته... لم يعد يريد خسارة المزيد ممن... من... ماذا تكون هي بالضبط في حياته؟

لم ينتبه للحركة التي كان يقوم بها إلا عندما سمع أنينا خافتا من بين شفتيها المنفرجة فتراجع للخلف وهو غير مصدق لما كان يفعله... كان ظهر يده يداعب وجنتها التي تعلوها بعض الخدوش برقة وببطء كأنه يتذوق لذة ذلك الإحساس وهو غير واع تماما...

زفر بضيق وهو يستدير مغادرا... عليه أن يحصل على هواء نقي يخرج ما يعتمل داخله... ولا شيء أفضل من هواء أواخر الليل الباردة....

\*\*\*\*\*

\*\*\*



اقترب من السرير بهدوء اعتاده في كل ما يقوم به ليتوقف على مسافة قريبة منه... لمحة من الحزن تخللت نظراته الحانية وهو يتطلع إليها وهي في تلك الحالة... ليته كان يستطيع ابعادها عن كل ما أصابها... ليته لم يكن مجبرا في كل ما حدث...

نور كانت الشيء الجميل الوحيد في حياته إضافة إلى عائلته لكن والده لم يترك فرصة إلا واستغلها ليحمله نسخة عنه...

جلس على حافة السرير عند قدميها قبل أن يمسك كفها التي كانت ترتاح إلى جانبها... داعب ابهامه ندبة ترتسم على طول باطن يدها وهو يتذكر كيف حصلت عليها في الماضي... لطالما كان حسام السبب في جراحك...

عاد بعينه يتأمل وجهها قبل أن يهمس بأسف

- "هل ستسامحينني يوما ما على كل ما أجرمته في حقك صغيرتي؟ أذيتك كانت آخر شيء أريده لكن لم يكن لدي خيار، كان إما أنت أو أمي وشقيقتي وقتها، لم يكن يسعني التخلي عنهما، لم يكن لديهما غيري لحمايتهما من والدي... كان يجب أن أخدعك أنت وأمين، أعلم كنتما تعتمدان علي في الإطاحة بالمنظمة لكنه علم بالموضوع وهددني بتدمير

عائلتنا، حتى وإن كنا أبناءه لم يكن ليرحمنا في سبيل جشعه،  
وربما لعبت دورا كبيرا في موته بإخفاء الحقيقة... "

تتهد بتعب من حمل الذنب طويلا قبل أن يتابع

- "الندم الآن لن يغير من الواقع الذي نحن فيه، ولا من  
كوننا السبب في ازهاق العديد من الأرواح، لن يمحي واقع  
أننا السبب في موت أمين، وعائلة حسام، وليلى، لن يمحي  
واقع أن مروان قتل كمال، ولا أن والدتك تسعى لقتلك هي  
الأخرى... كل خطوة في حياتنا كان لونها الوحيد هو الدماء،  
لقد صرت أشم رائحتها في كل نفس أخذه، ربما هو عقابي  
الذي أستحقه على جبني، لكن أنت تدفعين ثمننا غاليا على  
أخطاء غيرك... وسوف تظل لعنة كمال تلاحقك ولا أدري إلى  
متى، أنا أحاول جاهدا اخراجك من هنا لكنك ورطت نفسك  
أكثر من اللازم بزواجك من ذلك الشخص... قد أبعداها هي  
عنك مؤقتا لكن ماذا عنه هو؟ إلى متى ستستمرين في  
التحمل؟ "

كان لا يزال غارقا في محادثته أحادية الطرف فهو لم يكن  
ينتظر إجابة منها على كل اعتذاراته وتساؤلاته فلم ينتبه

للذي كان يقف يراقب الوضع بتحفظ وقد أعتمت نظراته  
خصوصا وهو يرى يده الممسكة بكف ليلي

- " ألا ترى أنك تتعدى على حرمان غيرك وأنت تمسك بيد  
زوجة شخص آخر؟ "

قال جملة وهو يضغط على كلمة "زوجة" في الأخير

رغم لمحة الألم التي ظهرت على وجهه للحظات إلا أنه حافظ  
على هدوءه قبل أن يستدير نحوه وهو يجيبه بطريقة مستفزة

- " فعلا تبدو كزوج تقليدي جدا يذيق زوجته أقصى درجات  
المعاملة اللطيفة التي تترك آثارها على كامل جسدها.. "

قبل أن يغير نبرته للقسوة

- " ذكرني متى اعترفت بزواجك منها علنا، فحسب ما أعرف  
أنت حتى لم تسجله في البلدية أليس كذلك يا زوج يا  
محترم؟ "

ضم أصابعه في قبضة يريد فقط أن يحطم فكه مع هدوءه  
المستفز لكنه تمالك نفسه قبل أن يقترب منهما ليمسك يده  
ساحبا إياها بعيدا عنها، لكن حركته تلك أشعلت ثورة أسامة

لتمتد يده بسرعة ممسكة بياقة حسام وهو يدفعه بقوة، قبل أن يهتف بغضب لم يعد هناك جدوى من اخفائه

- " كيف استطعت فعل ذلك بها؟ لطالما كانت في ظهرك تحميك لكنك لا توفر فرصة إلا وتؤذيها فيها، ألم تكثف بما فعلته بها حتى الآن؟ "

ضغط فكيه بقوة وهو يزفر نفسا حارقا قبل أن يدفع يد أسامة بعيدا عنه وهو يجيب بتملك

- " هذا ليس من شأنك، هل اشتكت لك؟ هل طلبت مساعدتك؟ لا... لم تفعل، أنا لم أجبرها على البقاء ولا على التحمل... كما أنك آخر من يجدر به ادعاء الاهتمام فما سببته أنت لها أسوء بكثير "

ابتلع الطعنة التي أحس بها وهو يسمع الحقيقة التي يعلمها جيدا من فم غيره قبل أن يستعيد تحكمه في هدوءه وهو يقول

- " أنت لا تعرف ما مرت به نور في حياتها ومع ذلك تضيف إلى ندوبها القديمة أخرى جديدة ولا أظنها تمتلك القوة للاستمرار في العيش بتلك الطريقة، كن متأكدا أنها ستحرر منك قريبا لأنك لا تستحقها، أنت لا تستحق شخصا مثلها لا

يتأخر في الوقوف في وجه الموت من أجلك دون لحظة تفكير  
واحدة فيما سيخسره، أنت شخص أناني لم تحاول أن تمشي  
حتى نصف الطريق لتلاقيها بل بقيت مكانك متشبثا بالكره  
الذي يعميك تاركا إياها تسعى وحدها إليك لكنك فقط تبتعد  
أكثر وأكثر، هي ستتعب يوما ما وستدرك أنك قضية  
خاسرة..."

ما أن أنهى كلامه حتى تحرك متجاوزا إياها عندما سمع  
حسام يقول بثقة واهية

- "لا... هي لن تفعل.. أنت لا تعرفها ولا تعرف ما هي قادرة  
عليه من أجلي"

ابتسامة متهكمة شقت طريقها إلى شفثيه وهو يلتفت برأسه  
فقط للخلف قبل أن يقول بسخرية

- "حتى وأنت تقول ذلك لا تبدو مقتنعا به، أنت تدرك أنها  
وصلت لآخرها معك... ولعلمك أنا متيقن جدا لما هي قادرة  
عليه من أجلك والواضح أنك أنت الجاهل الوحيد بخصوص  
ذلك"

صمت قليلا وهو يرى الحيرة التي يحاول حسام اخفاءها خلف قناع غضبه، لكن من الواضح جدا أنه لا يعلم أقل التفاصيل عنها...

أخذ نفسا طويلا قبل أن يستدير بكليته وهو يقول بهدوء - " هل تعرف شيئا ولو صغيرا عن المرأة التي تتبجح أنها زوجتك؟ "

تغيرت ملامح حسام بسرعة وكان جليا أن عقله يستعيد بعض من الذكريات بخصوصها ويكاد يجزم أنه يعرف ما يفكر فيه فقال قاطعا عليه أفكاره

- " كون نور ابنة كمال الوحيدة جعلها مستهدفة دائما لكل من يريد الإطاحة به، لم تعيش يوما الطفولة الطبيعية بل كانت أقرب لثغرة توصل إليه ويجب احاطتها داخل بلورة عازلة، لكن رغم كل ما فعله لحمايتها إلا أنها لم تكن منيعة تماما، خصوصا من أقرب الناس لها... عندما كانت تقريبا في السابعة كانت هناك محاولة انقلاب ضده ومن زوجته وقتها لم يكن يتوقع ذلك وأخذته على حين غرة وكانت نور سلاحها، لقد ظلت في قبضتها عدة أشهر وعندما تم العثور عليها كانت في حالة سيئة جدا وكأنها كانت مع ألد أعدائها

وليس والدتها، لم تكن تتذكر الكثير لكنها كانت في حالة صدمة، وقتها لم يعثر أحد على تلك المرأة وتم الإعلان أنها ميتة...."

ساد صمت موحش بينهما فأسامة يعلم جيدا أنها لا زالت تسعى خلفها وستكمل ما عجزت عنه سابقا، بينما حسام كان لا يزال يحاول يستوعب ما كان يسمعه، كيف يمكن لإنسان أن يكون بتلك الوحشية مع من هي جزء منه، ابنتها....

ارتفع ركن شفته وهو يرى تعبيراتها المشمزة قبل أن يقول

- "هل ما سمعته يبدو قاسيا؟ انتظر حتى تستمع للباقي..."

بعد تلك الحادثة تأزمت حياة نور أكثر خصوصا أن كمال ابتعد

عنها يسعى خلف منافسيه وخلف زوجته وحتى أنا أبعدي

والدي عنها فصارت وحيدة تماما، وقتها قرروا احضار لعبة

لها كي تؤنسها عوضا عن جفائهم معها، فظهرت ليلى

الحقيقية في الصورة، فتاة من غير ماض تربت في ميتم،

يستطيعون تحريكها كيفما رغبوا، وبالطبع يمكن التخلص

منها بسهولة إذا أزعجتهم، لكنها فعليا أخرجت نور من

محنها وكبرت معا إلى أن قتلت ليلى، والسبب أنها علمت

بعلاقة زوجة كمال ووالدي العزيز وأنه كان يخون صديقه

ورئيسه في العمل وطبعا أوهمه أن نور هي من كانت  
مستهدفة فكان الخيار الأمثل قتل نور واحياء ليلي...وبعدها  
طبعا حادث والديك"

- " أعلم هذا الجزء، هي أخبرتني عما حدث لاحقا... لكن ما  
أريد حقا فهمه لما يقول الجميع أنها أنقذت حياتي، كيف  
يمكن أن تكون فعلت ذلك؟"

شرد أسامة عائدا بذاكرته إلى ذلك اليوم، كادت ان تموت  
وقتها ويخسرهما بسبب تهورها من أجل من لا يستحقها...  
أعاد نظره للذي كان ينتظر بترقب... هي لم تخبره لكن لماذا؟  
معلومة كنتك كانت قادرة على جعل حياتها أكثر سهولة...  
لكن لا بأس لم يعد من جدوى من إخفاء الحقيقة..

- " نور سمعت بالصدفة والدي يأمر أحد رجاله بإتمام المهمة  
والتخلص من أي شهود عن الحادث وأثارت عاصفة وقتها  
لأنها كانت تجهل ما كان يحدث وكان كمال مضطرا ليشرح  
لها ما فعله من أجلها... لكنها لم تستوعب ما قاله وجن  
جنونها.. لا أدري كيف تسكنت رغم الحراسة حولها لكنها في  
النهاية وصلت للطريق وكنت أنا عائدا فوقفت أمام سيارتي  
مجبرة إياي على التوقف قبل أن تقنعني بإيصالها للمشفى



حيث كنت أنت موجودا، لم تتح لي حتى الفرصة لركن السيارة بل قفزت منها لتركض للداخل بمجرد وصولنا ، وأظنها وجدت القاتل يحاول حقتك بمادة ما وهي قطعت عليه مهمته، بالطبع أول شيء فعلته هو الهجوم عليه كالمجنونة قبل حتى أن تفكر واحدد الموضوع لأنه تلقى أوامر صارمة بالتخلص من كل دليل، عندما وصلت كانت تحاول ابعاد السكن عنك بيدها بينما الحقنة مرمية بعيدا، وتلك الندبة القديمة في يدها إن كنت انتبهت لها هي نتيجة ذلك فالجرح كان عميقا جدا...."

هذا ما حدث إذا يومها، هو لم يكن يتخيل ذلك كما قالت الممرضة، وتلك كانت دماؤها على الفراش... كانت ستموت لو لم يصل أسامة في الوقت... كان غافلا عما حوله تماما حتى لخروج أسامة الذي وقف مستندا على الجدار في الرواق وهو يهمس بخفوت

- " أرجو فقط أن يكون إلى جانبها في الوقت المناسب لأنها ستحتاجه قريبا مع ظهور تلك المجرمة"

\*\*\*\*\*

\*\*\*

استفاقت على صوت حركة في الغرفة تشعر بإرهاق شديد،  
فتحت عينيها ببطء فكانت رؤيتها ضبابية وجفونها ثقيلة  
فعدت لغلقتها مرة أخرى عندما سمعت صوتاً أنثوياً رقيقاً  
يقول ببشاشة

- " صباح الخير ليلى، كيف تشعرين اليوم؟ "

جدت جبينها بتفكير وهي لا تميز الصوت، فأجبرت نفسها  
على فتح عينيها من جديد لتبحث عن مصدره، فقابلتها امرأة  
ربما تجاوزت الأربعين بمنزرها الأبيض، كانت ملامحها  
مريحة للنظر وهادئة تعلوها ابتسامة لطيفة... ما أن حاولت  
الاعتدال في جلستها حتى أحست بنخزة في ذراعها لتجدها  
حقة المحلول المعلق ودون تفكير استلتها من مكانها مفاجئة  
الطبيبة بتصرفها لكنها رغم ذلك التزمت مكانها وهي تطالعها  
بنظرات متفحصة مدققة لكل تفصيل عندما تطلعت ليلى  
نحوها بعيون باردة وهي تتساءل

- " ما الذي أفعله هنا؟ "

أخذت نفساً عميقاً وهي تجذب الكرسي لتجلس مقابلة لها قبل  
أن تقول

- " المفروض أن زوجك أحضرك إلى هنا ليلة أمس وكنت  
فاقدة للوعي، وبما أنني في العادة أهتم بهذه الحالات  
فالطبيب المناوب ليلة أمس سلمني ملفك صباح اليوم"  
قالت كلامها وهي تشير لجسدها المتضرر فنظرت هي  
الأخرى لنفسها وتذكرت كل ما حدث دفعة واحدة، لكن ما  
علق في ذاكرتها هو قول الطبيبة "زوجك" فاعتلى وجهها  
بعض الارتباك وعدم الفهم فتمتت بدهشة دون وعي منها  
- " زوجي!؟"

ضيقت الطبيبة عينيها بشك قبل أن تسألها بنفس الهدوء  
- " من أحضرك هو زوجك صحيح؟"

إذا هو من أعلمهم بذلك، وأخيرا اعترفت يا حسام لكن بعد  
فوات الأوان....

تنهدت بعمق وهي تستعيد ادراكها للأمور لتقول بحزم  
- " بالطبع ألم يقل لكم ذلك؟ "

عاد صوت المقابلة لها للاتزان لتقول بنبرة تحوي من  
المؤازرة والدفء الكثير

- " أخبريني يا ليلي كيف حصلت على تلك الجروح؟"  
ودون أي تردد وبكل ثقة ناظرتها مباشرة في عينيها وهي  
تقول

- " وقعت في الحمام"

صمتت الطبيبة قليلا قبل أن تقول بعد تفكير

- " أنت لست أول حالة تأتي في هذا الوضع، لذلك يمكنني  
تفهم خوفك، لكني هنا من أجل المساعدة والدعم يمكنك أن  
تثقي بي وتخبريني ما حدث"

هزت رأسها بعدم فهم وكأنها تتحدث مع كائن غريب قبل أن  
ترد ببلاهة

- " عن أي وضع وأي خوف تتحدثين؟ هل أصبح الوقوع في  
الحمام يسبب نوعا من الرهاب أم أنني فهمتك خطأ؟ "

اعتدلت في جلستها وهي تعدل من وضع نظارتها الطبية قبل  
أن تقول بهدوء صار مستفزا للجالسة هناك غصبا عنها  
وهي تريد فقط الخروج من هناك

- " أنت تعانين من انخفاض شديد في الضغط ولديك فقر دم  
مرتبط بالتغذية كما أن جسدك كله موشوم بالجروح منها

الجديدة وحتى الندوب القديمة وأظنني لمحت أثر إصابة  
بالرصاص أيضا... انظري لذراعك سترين آثار أصابع عليها  
تحولت للون الأزرق أي أن هناك من كان يمسك بك بقوة..."

زفرت بضيق واحتدت لهجتها وهي تجيبها

- " ما الذي تريدان ايصاله بالضبط؟ "

- " الخلاصة أنك تتكتمين على زوجك الذي يمارس العنف  
المنزلي معك... "

أغمضت عينيها تلعن اللحظة التي تهور فيها حسام  
وأحضرها للمستشفى لتتعرض لهذا الاستجواب السخيف عن  
العنف المنزلي، ربما في حالة أخرى كانت هنأت الطبيبة على  
المجهود الذي تبذله في مساعدة أولئك النساء حتى يتشجعن  
ويقفن في وجه الظلم، لكن في حالتها هذه هي فقط تود أن  
تتركها وشأنها لأن مشكلتها الأكبر ليست العنف نهائيا...

وأخيرا صدر صوتها هادئا رغم أنه لم يتخلص من حدته  
تماما محاولة ألا تثير شكوكها أكثر

- " اسمعيني أتفهم قلقك ورغبتك في المساعدة هنا ولكنها  
فعلا ليست في محلها... هل ترينني امرأة قد تقبل الضرب

والإهانة خوفا من زوجها؟ بالطبع لا... ما تحدثت عنه بخصوص الجروح والندبات أغلبها بسبب العمل أو حوادث غير مقصودة وزوجي لا علاقة له أبدا... هو بالأصل ليس من النوع الذي يضرب النساء في حالاته الطبيعية"

لمحت عدم اقتناع الجالسة أمامها فكزت أسنانها وهي تقول بغضب مكتوم

- "هلا أغلقنا الموضوع لأنه فعلا يرهقني.. والآن هل هناك وصفة طبية أو شيء من هذا القبيل لأنه إن لم يكن فأنا فعلا أريد المغادرة..."

استقامت الطبيبة واقفة وهي تدرك مدى عقم الحوار معها لتقول بعملية

- "يمكنك المرور بمكتبي لأخذ الوصفة ويجدر بك الاهتمام بجروح قدميك لأنها بحاجة لتعقيم يومي حتى تشفى"

ما أن أنهت كلامها حتى استأذنت مغادرة لتجد حسام يستند على جدار الغرفة وقد سمع حوارهما، فتطلعت إليه بنظرة تقييم قبل أن تقول بتحذير

- "أرجو فقط أن تكون تستحق تسترها عليك"

واصلت سيرها دون أن تسمع جوابه..

تطلع جهة الباب وهو يتساءل هل فعلا يستحق ما تفعله من أجله، رغم كل ما يفعله معها لا تزال تحاول حمايته، لئيه فقط يستطيع فهمها... سبر أغوارها والغوص في مكنوناتها... هل هو مقصر لدرجة تعسر معرفة ما يجول في خاطرها؟ أم أنه غير مهتم فقط؟ لكنه الآن فعلا يريد أن يعرف لما تتحمل كل ذلك منه... هو في حد ذاته لم يعد يطيق نفسه وهو يصب كل حقه عليها... لم يعد يتعرف على هذا الحسام الذي صار سواده يطغى على كل تصرف يبدر منه... إنه يفقد كل مبادئه وحتى شخصيته والضحية الوحيدة هي ليلي... أسامة معه حق هو قضية خاسرة وسيجرفها معه إلى قاع الظلمات إن لم يبتعد ويستعد نفسه... سيظل يحاسبها على كل مصيبة حصلت وستحصل في المستقبل بسبب ومن دون سبب لأنها المتنفس الوحيد الذي سيجده أمامه متحملا لكل ثوراته...

أخذ نفسا عميقا وهو يحسم قراره قبل أن يقف عند الباب فاستدارت ناحيته لتتشابك نظراتهما... نظرات تحكي الكثير ربما العتاب واللوم... ربما طلب الغفران والأسف... ربما وعود غير محققة تنتظر... ربما حب انكسر وربما وداع صامت لأجل غير محدد...

لم يحاول أحدهما كسر ذلك الحوار غير المعلن لكن في الأخير وضع هو النهاية وهو يدير ظهره دون أن يتحرك من مكانه للحظات... داخلها هي كانت تدرك أنها في نهاية الطريق لأنها من قررت ذلك قبله لكن رؤيته قيد التنفيذ كان أصعب من أن تتحمله... ضغطت شفيتها بقوة تمنع صوتها من التحرر، تمنع دموعها من الانهيار... لن تضعف... لن تسمح لدموعها بخيانة قرارها.... رأت تردده وللحظة فقط تأملت... تأملت بأنه هو من سيمد يده هذه المرة... لكن ذلك الأمل الوليد اصطدم بقسوة رحيله وهي تراه يبتعد ويبتعد حتى اختفى كلياً عن مدى نظرها.....

رفعت يديها تخفي وجهها عندما نزلت أول دمعة خائنة كما وصفتها لتلحقها من توازرها في سيل لم تعد قادرة على التحكم فيه.... أحست بذراعين تحيط بها وتقربها من حضن دافئ فتعالت شهقاتها وجسدها ينتفض في مشهد يدمي القلب جعل ريمة تقربها أكثر وهي تمسد ظهرها بحنان غير قادرة على إيجاد ما تقوله ويمكن أن يواسيها... لتسمعها تقول بعد لحظات بصوت مبحوح

- " لقد رحل... رحل يا ريمة ولم يلتفت حتى للخلف "



ضمتها أكثر وهي تتذكر اتصاله بها يخبرها برحيله المفاجئ  
 وطلبه منها البقاء إلى جانبها لأنها ستحتاجها بالتأكيد، ليته  
 فقط تعقل وانتظر قليلا... ظلت تحتضنها لعدة دقائق قبل أن  
 تحس بها تبتعد عنها فأعطتها المجال لذلك قبل أن تقول  
 بحنان

- " هل أنت بخير؟ "

أخذت نفسا قبل أن تجفف دموعها بقوة مفرطة نوعا ما  
 لترفع عينين حمرة لكنها حازمة وهي تقول بثقة

- " سأكون كذلك.. دعينا فقط نغادر هذا المكان اللعين... "

أومات ريمة موافقة وهي تساعدنا لمغادرة السرير لكنها  
 أوقفتها بإشارة منها فحياتها المقبلة ستكون صعبة بالتأكيد  
 لكنها لن تستسلم ولن ترضى بإظهار ضعفها لأحد....

\*\*\*\*\*

(بعد أسبوع)

كانت قد أنهت مقابلة عملها للتو والتي كانت ناجحة جدا فهم  
 من اتصلوا بها للعمل في جريدتهم...

غادرت المبنى وهي تبتسم قبل أن تسمع رنين هاتفها لتجد اسم ريمة يعلو شاشته فردت مباشرة دون أن تمنحها فرصة للسؤال لأنها تعرف سبب اتصالها

- " ألم تستطيعي الانتظار حتى أتصل أنا؟ "

استمعت لما كانت تقوله في الجهة الأخرى من الخط قبل أن ترد بثقة

- " بالطبع، سأبدأ العمل بعد يومين ما أن أنهى بعض الأوراق، والآن أغلقي الخط حتى نلتقي فما زال عندي بعض الأمور لإنجازها "

أعادت الهاتف لحقيبتها قبل أن تقف للحظات تنظر حولها، تتطلع لوجوه المارين قربها، قبل أن تحرك رأسها برفض، عليها أن تتوقف عن الأمل في ظهوره أمامها من جديد لأنه رحل ولن يعود، عليها أن تحفر تلك الفكرة في عقلها...

لم تنتبه عند استدارتها للجسد الذي اصطدمت به، فتراجعت للخلف وهي تهمس باعتذار قبل أن تنظر للواقفة أمامها تعدل ثيابها قبل أن تطالعها بعيون باردة ووجه قاس رغم الرقي البادي عليه...

قطبت جبينها تدقق النظر فيها وشعور غير مريح ينتابها،  
 كأنها تعرفها من قبل، هذا الوجه غير غريب عنها لكنه في  
 نفس الوقت لا يذكرها بأحد...

ظهر الانزعاج على ملامحها وهي تجد صعوبة في ربط ما  
 يحدث داخلها من تشويش...

ابتسمت الواقعة أمامها بطريقة جعلت قشعريرة تسري في  
 جسدها كله وهي تميل رأسها قليلا، قبل أن تقول بهدوء  
 مرتبة على كتفها

- " انتبهي يا صغيرة أين تسيرين... قد تؤذين نفسك المرة  
 القادمة التي تصطدمين فيها بي..."

راقبت ابتعادها وهي لا تزال غارقة في حيرتها وكلامها لم  
 يعجبها رغم أنه ظاهريا بلا معنى فلم سنتلقي بها مجددا...

نفضت تلك الأفكار من رأسها وهي توقف سيارة أجرة مبتعدة  
 عن هناك غافلة عن العيون الباردة التي كانت ترصدها....

## الفصل الواحد والعشرون

جلبة مزعجة أمام باب الجناح الذي تقيم فيه أقلقت راحة نومها... حاولت تجاهلها لكن دون فائدة، تلك الأصوات استمرت في الارتفاع... ضغطت صدغها بتعب قبل أن تزفر بضيق لتمد يدها للطاولة الجانبية للسريير وأخذت هاتفها لتضغط على رقم الاتصال السريع وفي لحظة كان قد أجاب من في الجهة الأخرى فمن في مثل مكانتها لا تنتظر حتى الرنة الثانية أو كانت العواقب كارثية بالنسبة له...

ما أن فُتح الخط حتى وصلتها بعض الشتائم فأبعدت الهاتف عن أذنها بملامح مشمزة قبل أن تقول بحدة

- " ما الذي يحدث في الخارج؟ "

ابتسامة خبيثة ارتسمت على شفثيها الرقيقة وهي تسمع اجابته قبل أن تقول بهدوء

- " لا داعي لذلك... دعه يدخل بعد قليل "

تطلعت جهة باب غرفتها وعينيها تلمع بإثارة قاسية كأنها ذئب ينتظر أن يدوس الحمل أرضه بكامل ارادته، هي امرأة

تعشق اللعب الخطير رغم أن من يقف في الخارج بالكاد يمثل تحديا، ليس في الوقت الحالي على الأقل...

أبعدت غطاء السرير لينكشف جسدها المشقوق رغم سنوات عمرها التي تجاوزت الخامسة والأربعين، ببشرته البيضاء المشدودة، التي يظهرها قميص نومها الأسود الحريري والذي أقل ما يقال عنه أنه مثير... حملت الرداء الموضوع جانبا وسارت إلى غرفة المعيشة حافية القدمين وهي ترتديه لتربط حزامه مع انفتاح الباب واقتحام أسامة للمكان بعنف....

كان في حالة غضب لم ترها عليه من قبل... ملابسه في حالة فوضى وشعره مشعث... ووجهه الأسمر يكاد ينفجر حنقا... تكاد تجزم أن السبب وراء حالته تلك هو معرفته بما فعلته اليوم صباحا....

أشارت للحارسين خلفه برأسها لينصرفا قبل أن تدير ظهرها له وتسير بخيلاء أمامه لتستقر جالسة على الأريكة البيضاء المقابلة له واضعة ساقا على الأخرى بينما تتراجع للخلف لتستند على ظهرها...

حركتها تلك جعلت جانبي الرداء يتباعدان وقميص نومها  
ينحصر كاشفا أكثر مما ينبغي من جسدها...

عند دخوله ووقوفه هناك لم يكن في حالة تسمح له برؤية ما  
الذي ترتديه لكن الآن وهي تجلس أمامه بكل وقاحة يمكنه  
رؤية مظهرها المخل من كل الجوانب... رغم اشمئزازه منها  
ومن كل ما تمثله إلا أنه لا يستطيع الانكار أنها امرأة مثيرة  
بكل المقاييس، فرغم أنها أم لابنة تقاربه عمرا إلا أنها لا  
تزال تنضح أنوثة مهلكة وهذا جزء مما ورثته نور عنها...  
وفتنتها تلك كانت سبيلها لتحقيق الكثير فلا رجل واجهته من  
قبل استطاع الصمود أمام اغرائها... هي ببساطة امرأة  
جميلة، ذكية وتملك الكثير من السلطة أي أنها خطر ثلاثي...  
أبعد عينيه عن شكلها المغربي ليثبتهما على عينيها فرغم  
جمالها لا تزال عيناها الباردة تفضح سواد قلبها الذي يعرفه  
جيذا ويعرف مدى قسوته وبشاعته...

ابتسمت بمكر وهي ترى مدى تأثيره بها فهي تعرف  
امكانياتها جيذا، قبل أن تقول بأريحية

- " ما سر هذه الزيارة يا ابن مروان؟ ما الشيء المهم لديك  
لتفسد وقت نومي بضوضائك الهمجية؟ "

استعاد اتزانهُ وهو يتذكر سبب قدومه الرئيسي قبل أن يقول  
بحدة وجسده لا يزال يشتعل غضبا

- " لما اقتربت من نور؟ لم يكن ذلك اتفاقنا... لقد نفذت جانبي  
من الالتزام وكل أموال كمال التي كان يديرها والذي صارت  
في حسابك و عليك الآن الالتزام بكلمتك "

احتدت نظراتها وتوهجت بغضب مكتوم قبل أن تستقيم  
وتتحرك باتجاهه بينما نظراته المرتابة تتابعها حتى وقفت  
على مسافة قريبة أمامه، لتسأله بينما يرتفع حاجبها  
باستخفاف

- " هل أستشف من كلامك تهديدا؟ "

ازدرد ريقه قبل أن ينظر إليها بثبات ليقول بعدها بجدية  
- " ليس تهديدا إنما ما يجب عليك فعله... لم يعد هناك سبب  
لبقائك هنا أو استعمال نور كورقة للضغط علي فقد حصلت  
على ما تريدينه "

ضيقت عينيها بينما تتأمله قبل أن تقترب المسافة التي  
تفصلهما حتى كادت تلامسه لترفع سبابتها إلى وجهه ممررة  
ظفرها المنمق بطلاء أظافر بلون شاحب على طول وجنته

وصولاً إلى زاوية فمه التي وقفت عندها للحظات قبل أن تكمل طريقها إلى ذقنه لتهمس أخيراً بحسية وشفتيها قريبة منه بينما كفيها يستريحان على صدره رغم محاولته للابتعاد عنها

- "أتعرف أنك تشبه والدك كثيراً غير أنك أوسم منه... والآن أنت تبدو مثيراً جداً بمحاولتك الوقوف في وجهي من أجل حبيبتك الصغيرة... حركت مشاعري قليلاً... ربما لو لم أكن أعرف أنك ساذج ولا تملك ذرة من شر مروان لكنت الآن على سريرى تستجدي اهتمامي..."

تشنجت عضلاته برفض لما تتفوه به قبل أن يمسك برسغيها مبعداً إياهما عنه ليتراجع للخلف يطالعها باشمئزاز قبل أن يقول

- "أنت لا حدود لشرك..."

علت ضحكاتهما ورأسها يتراجع للخلف قبل أن تسيطر عليها ليتغير الجو حولها وتعود هالة الشر تحيط بها، لتقول بعدها بتحذير

- "استرخي يا ولد لن ألتهمك... لكن إياك أن أسمع نبذة التهديد تلك مرة أخرى أو اصدارك للأوامر لي... فالشخص



الوحيد الذي يملك السلطة هنا هو أنا... أنا وحدي ولا أحد  
غيري فتذكر ذلك المرة القادمة التي تفكر فيها في  
مواجهتي..."

سريعا ما استعادت هدوءها لتتابع

- " حبيبتيك الغالية في الأخير ابنتي ولقاءنا كان بريئا ووديا  
جدا، فلو كنت أريد القضاء عليها لكنت تنتحب أمام جثتها  
الآن... لكن بعد التفكير أريد حقا التعرف عليها فهي لم تعد  
تبدو الطفلة البكاءة المدللة التي أنجبتها..."

اشتعلت عيناه وهو يفكر فيما قد تفعله لو حقا نفذت كلامها  
وبالأحرى كيف ستكون ردة فعل نور إذا عرفت بعودتها،  
صحيح هي تعلم أن موتها ليس مؤكدا لكن ظهورها سيكون  
صدمة لها وقبل أن يعي كان قد فتح شفثيه محذرا

- " أبقى نور خارج حساباتك وإلا هذا الساذج سيصبح أسوء  
كوابيسك يا صوفيا فلم تعد تهديداتك تجدي معي.."

ما أن أنهى كلماته حتى استدار مغادرا لتوقفه كلماتها

- " هل ستحمي نور مني يا أسامة أم شقيقتك ووالدتك فلا  
تظن أن أيا منهن بعيدة عن أذاي... عليك أن تختار عائلتك أم  
حبك الطفولي... "

لم يلتفت إليها بل استمر في المشي حتى غادر الجناح  
بسرعة ولم يهدأ حتى وصل إلى المصعد، وما أن أغلقت  
أبوابه حتى استند على جداره وهو يتنهد بتعب، لقد وقع في  
نفس المعضلة السابقة عائلته في كفة ونور في الكفة  
الأخرى.. لكنها الآن وحيدة تماما برحيل حسام وعدم وجود  
كمال وحتى ذلك المحامي لا يمكنه الاعتماد عليه....

اتجه إلى سيارته المركونة في موقف الفندق عندما لمح  
شرطيين يحاولان فك نزاع ليتذكر شخصا ما، شخصا التقاه  
سابقا قبل سنتين، شخص تثق فيه نور وفي إمكانية  
مساعدتها دائما....

استقر في مقعد السائق قبل أن يبحث في قائمة هاتفه عن  
رقم معين... تردد للحظات وهو ينظر إليه... لا يعرف ما الذي  
سيقوله له لكن لا خيار لديه إن أراد حمايتها فهو مكبل في  
الوقت الحالي... وأخيرا حسم أمره ليضغط على اختيار  
الاتصال وانتظر بقلق حتى سمع الإجابة ليقول بعد لحظات

- " سيد إبراهيم... "

\*\*\*\*\*

(بعد مرور 15 شهرا)

كانت تتجول في البيت المهجور بعد انتهاء تصليحاته، فلم يعد يزوره شخص غيرها وللحقيقة حتى هي لا تدري لم تستمر في العودة إليه وهي من لم تر فيه لحظة سعادة واحدة...

لقد عملت على إعادته كما كان سابقا رغم أنها تخلصت من كل الأثاث القديم المحترق ولم تقم باستبداله فبقي فارغا... أخذت نفسا عميقا تبحث بين ذراته عن رائحة صاحبه الذي رحل عنه وعنهما، وأصابعها تلامس جدرانه الباردة رغم حرارة الصيف الحارقة في الخارج...

تربعت أرضا كما تفعل في كل مرة تزور المكان كأنه معبد خاص بها وحدها وأغمضت عينيها محاولة استرجاع صورته، نغمة صوته من بين ذكرياتها... وكالعادة انتهى الأمر بسيل من الدموع... دموع بطعم الشوق المر...

انبثق من بين الصمت صوت رنين هاتفها المرمي مع حقيبة  
ظهرها عند المدخل فجففت دموعها بسرعة قبل أن تقف  
نافضة ثيابها بيديها لتتجه نحوه...

تطلعت للرقم على شاشته قبل أن تحرك رأسها بياس من  
صاحبه، إنه فعلا شخص لجوج ولا يستسلم أبدا لترد أخيرا  
بحنق

- " نعم يا حارسي الشخصي... "

استمعت لضحكته المستمتعة في الجهة الأخرى فابتسمت هي  
الأخرى كأنها عدوى قبل أن تقول بعد أن أنهى كلامه

- " أنا بخير لقد تملصت فقط منهما لوقت قصير لأنني احتجت  
الانفراد بنفسي قليلا... انتظرنني في المقهى المقابل للقاعة  
الرياضية سآتي بعد قليل.. "

أغلقت الخط قبل أن تنحني لتحمل حقيبتها والمفاتيح  
واستدارت نحو البيت الفارغ تتأمله للحظات قبل أن تتجه  
للباب، عندما أحست بحركة بالكاد تسمع وسرعان ما اختفت  
فالتفتت بسرعة خلفها فلم يقابلها غير الفراغ والصمت...  
ضيقت عينيها بريبة وهي تتحرك عائدة أدرجها بهدوء تتفقد  
المكان لكنه كان كما تعودت عليه دائما...

شعور بخيبة الأمل اكتسحها... لا تدري لما توقعت أن يقفز  
 أمامها كالمساحر ويقول لقد عدت من أجلك... نفضت تلك  
 الأفكار من رأسها لتغادر البيت بسرعة مغلقة إياه مع تلك  
 المشاعر التي تتسلل من بين سيطرتها مضغفة إياها...  
 أما هو فقد وقف أمام النافذة يراقب ابتعادها دون أن تلتفت  
 للخلف بنظرات حانية...

\*\*\*\*\*

\*\*

وقفت عند مدخل المقهى الذي كان مكتظا بزبائنه تبحث بين  
 الطاولات عن أنت لمقابلته، لتقع عينيها عليه أخيرا، يجلس  
 وحيدا على طاولة في الزاوية البعيدة من المكان، عيناه  
 شاردة في المنظر المقابل له من النافذة الممتدة على طول  
 ارتفاع الجدار....

وكانه أحس بها تراقبه فالتفت إليها لتلتقي نظراتهما فابتسم  
 بلطف وهو يشير إليها بيده فتقدمت نحوه وهو لا يزال  
 يتأملها... كأنها الوحيدة الموجودة وفي وجودها يختفي العالم  
 كله...

احتلت المقعد المقابل له قبل أن تتناول زجاجة الماء  
الموضوعة على الطاولة وترتشف منها بسرعة متجاهلة  
نظراته قبل أن تقول من بين أنفاسها المتقطعة

- " بالله عليك يا رجل هل ستظل تقفز أمامي كل يوم كأنك  
قدري؟ "

ابتسم بدفء وهو يهز رأسه موافقا قبل أن يقول بجدية  
- " نور، أنت لست بمأمن وأنا لن أترك جانبك حتى يزول  
الخطر "

اختفى المرح من وجهها وهي تتذكر ما حدث بعد رحيل  
حسام بفترة وظهور إبراهيم ليخبرها عن والدتها وعن  
الخطر المحدق بها واصراره على إبقاء حراسة معها طوال  
الوقت، ليعقبه عودة أسامة الذي لم يفارقها أبدا إضافة إلى  
ريمة وأحمد...

- " أنا حقا لا أفهم هذا الحصار الجبري الذي تقيمونه حولي،  
فما علمته أنها غادرت البلد بعد مقابلتك لها، لكن رغم ذلك  
لازلتهم ملتصقين بي كالعلق... أنتم تضخمون الموضوع لا  
أكثر..."

تغيرت ملامحه للجدية قبل أن يقول بصراحة

- " أنت لا تعرفين ما هي قادرة عليه فما فعلته بك وأنت صغيرة لم يكن سوى لمحة بسيطة من شرها وما فعلته أنت في الأيام الماضية لابد أنه أثار حفيظتها ولن تسكت عنه... "

زفرت بضيق قبل أن تقول بانزعاج

- " كان مجرد مقال ولم أعرف عن صلتها بذلك الرجل إلا عندما أخبرتني أنت ولا أظن خسارته ستؤثر عليها كثيرا خصوصا أنها أخذت كل أموال كمال "

لمحة من الندم مرت على وجهه التقطتها هي بسرعة فتطلعت إليه بشك قبل أن تقول من بين أسنانها

- " أسامة، ما الذي تخفيه عني؟ السبب الوحيد لجلوسك الآن أمامي هو وعدك لي بعدم إخفاء أي شيء عني مهما كان... "

تلكأ في الإجابة قبل أن يحسم أمره ويخبرها

- " لا تزال أموالك التي تركها لك في حسابك الخارجي وهي ليست بالقليلة "

كزت على أسنانها بينما نظراتها تحدد وتنبئ بانفجار وشيك فسبقها بالتبرير قائلا بسرعة ليغلق أمامها المجال للكلام

- " هي أموال شرعية ليس لها علاقة بتجارة السلاح أو تبييض الأموال وغيرها... والدك كان يريد لك حياة بعيدة عن مستنقع العصابات... "

ابتلعت طعنة الألم التي اخترقتها بذكر والدها لكنها تغاضت عنها فلا مجال للأحاسيس في هذا الوقت السيء لتقول بعدها باتزان

- " هل تظن أنها ستعود لتعويض خسارتها رغم كوني مراقبة من الجيش؟ "

هز كتفيه إشارة منه لكون كل ذلك ممكنا فلا شيء مستحيل مع تلك المرأة....

ارتفعت زاوية فمها في ابتسامة ساخرة قبل أن تقول بتهكم

- " أي أنني الآن مثل الدودة المتعلقة بصنارة الصيد، أنا طعم لالتقاط مجرمة عالمية.... "

ضحكة مريرة انبثقت من بين شفثيها وهي تتذكر موقفا مشابها عندما رمى بها حسام إلى مروان قبل أن تتطلع لساعاتها وعيناها تتسعان لتهتف بينما تقف بسرعة قائلة



- " علي المغادرة فورا فلدي موعد مع مصدر مهم وإذا لم أصل في الوقت لن تتاح لي فرصة لقائه مرة ثانية "

لا يدري لما انتابه الشك فجأة ليقول بريبة

- " من هو هذا الشخص؟ "

- " لا أعرفه شخصيا لكنه مصدر موثوق لزميل لي في الجريدة لديه معلومات عن عقود غير شرعية لعضو في الوزارة... سيكون سبقا صحفيا مميذا "

وقف هو الآخر لاحقا بها بينما تسير بسرعة ليقول بقلق

- " أنا لا يعجبني هذا الأمر سأرافك إلى هناك "

توقفت فجأة وهي تلتفت لتقابله قبل أن تقول بحزم

- " توقف عن القلق لأن ذلك يوترني أنا أيضا... هذه ليست

أول مقابلة صحفية ظروفها غريبة أقوم بها كما أن مدير الجريدة على علم بالأمر وغسان سيرافقني، وحراس إبراهيم سيكونون خلفي فاطمئن أرجوك "

لكنه لم يستسلم أمام عنادها بل قال بإصرار

- " على الأقل أعطني العنوان في حال ساءت الأمور... "

زفرت بحنق وهي تقول مواصلة خطواتها السريعة  
 - " حسنا، حسنا... فقط توقف عن اللاحاح، سأرسله لك على  
 الطريق والآن دعني أذهب.. "

تأمل ابتعادها وهو يتابعها بنظراته حتى استقلت سيارتها  
 وانطلقت بها بسرعة بينما شعور بعدم الارتياح ينتابه  
 ويقبض قلبه...

\*\*\*\*\*

\*\*\*

كانت تقود سيارتها بينما يحتل المقعد المجاور لها زميلها  
 غسان والذي أقلته في طريقها... كان يرشدها إلى مكان  
 المقابلة وفي نفس الوقت يناقشان موضوعها...

كانا قد غادرا المدينة وتعمقا في الضواحي قبل أن يطلب منها  
 التوقف لأنهما سيواصلان سيرا على الأقدام، في البداية لم  
 تعر الأمر اهتماما فهذا جزء من ظروف العمل لكنهما ابتعدا  
 أكثر من اللازم ولم تعد ترى غيرهما، وما زاد توجسها أكثر  
 هو اختفاء الحراسة من خلفها....

توقفت عن السير وهما يصلان لمكان غير مأهول تحيط به  
بعض الأشجار والصخور المرتفعة فاستدار إليها يحثها على  
السير فقالت بعدم ارتياح

- " لا أظني قادرة على التقدم أكثر... الموضوع كله صار  
مريباً، ربما هذا الشخص يخطط لإيقاعنا في فخ أو شيء من  
هذا القبيل يجدر بنا العودة "

تنهد المقابل لها وملامحه تتغير لتصير نظراته أكثر مكرراً  
ليقول بعدها بغموض

- " بل أظننا وصلنا حيث اللاعودة ... "

تراجعت للخلف وهي تلاحظ يده التي اختفت خلف ظهره  
لتظهر بعدها حاملة للسلاح الذي يصوبه نحوها قائلاً بأمر

- " هيا تحركي ولا تتعيني معك "

تسمرت مكانها وهي ترى كيف انقلب الوضع لتصير تحت  
رحمة زميلها غسان الذي تعرفت عليه بعد انضمامه للعمل  
مباشرة بعدها هي، لطالما كان انطوائياً ومنغمساً في عمله  
لدرجة جعلتها تتفاجأ عند تقربه منها دون غيرها... لكن الآن

ستكون سعيدة إذا كان مختلا عقليا أو مترصدا مهووسا ولم يكن ما تفكر فيه صحيحا...

لم تحاول المجادلة أو مناقشته في أي شيء بل تحركت أمامه بينما يصبوب سلاحه إلى ظهرها حتى أمرها بالتوقف على مسافة من سيارة رباعية الدفع نوافذها معتمة...

ما هي إلا لحظات حتى فتح بابها الأمامي لينزل منها سائق مسلح أسرع ليفتح الباب الخلفي وابتعد عنه لتظهر امرأة ترتدي بدلة نسائية أنيقة، يختفي أغلب وجهها خلف نظارة سوداء، بينما شعرها مجموع في تسريحة أنيقة...

تقدمت نحوها ببطء بسبب الحذاء ذو الكعب العالي الذي لا يناسب طبيعة المكان إطلاقا حتى وقفت أمامها ويمكنها أن تستنتج أنها كانت تتأملها من خلف نظاراتها...

لم يكن صعبا عليها معرفة هويتها وربط الخيوط ببعضها فغسان لم يكن سوى أحد رجالها وتلك المرأة لم تكن سوى والدتها...

وقبل أن تعي كانت صوفيا تقترب منها محتضنة إياها وهي تقول

- "مر وقت طويل صغيرتي.."

## الفصل الثاني والعشرون

- "مر وقت طويل صغيرتي...."

اتسعت عيناها بصدمة وهي تتلقى ذلك الحزن المفاجئ....  
ربما توقعت أن تكون نهاية الرحلة لقاء بينها وبين والدتها،  
لكن تلك المودة الزائفة التي أغدقتها عليها فجأة لم تكن  
ضمن السيناريوهات التي وضعتها....

ظلت واقفة بين ذراعيها متمسرة كتمثال جليدي خال من  
الحياة وهي تدرك جيدا حقيقة تلك المرأة، حتى أحست بها  
تبتعد عنها دون أن تتركها تماما لتسمعها تقول بألم مفتعل  
وهي تخلع نظارتها الشمسية

- "أهكذا تقابلين والدتك بعد كل هذه السنوات؟ على الأقل  
أظهري بعض الانفعال صغيرتي... أم أنك كبرت ولم تعودى  
تستيقظين في الليل تصرخين بأنك تريدن أمك؟"

رفعت رأسها لتلاقي نظراتها المستخفة بأخرى باردة قاسية  
صقلتها بشاعة الأيام التي عاشتها وحيدة، وهول الآلام التي

قاستها والخذلان الذي تعرضت له... لم ترد بل انتظرت التي  
تركت ذراعيها متراجعة للخلف لتأملها قليلا وقد بدأت  
تكشف لونها الحقيقي لتقول بعد تفكير تمعن في تحطيمها

- " القسوة في عينيك تكاد تعادل قسوتي، لولا معرفتي بما  
يوجد خلف ذلك القناع، فتاة ساذجة، تدعي القوة والجرأة، لم  
تعرف يوما الحب فبحثت عنه لدى من هجرها ورحل راكضا  
خلف شبح زوجة تعفنت تحت التراب بدلا من البقاء معها،  
أنت يا صغيرتي عشت منبوذة طوال حياتك فلا يغرثك أولئك  
الذين يدعون حبك فأنت ممن لا يستحقون تلك المشاعر...."

أسبلت جفنيها تخفي وجعا يعود لسنوات ماضية، حين كانت  
تبحث عن الحزن الدافئ لوالدة محبة ووالد عطوف، حين  
كانت تحلم بعائلة طبيعية مستقرة، لكن تلك الأمانى تهشمت  
وتبعثرت مع كل حقيقة بشعة تكتشفها عن العالم الذي ولدت  
فيه... لقد جابهت أصعب الظروف دون أن تنهار ولن تأتي  
هي الآن لتجعلها تنحني ببضع كلمات مسمومة...

رفعت عينيها أخيرا ترسم اللامبالاة وشفثتها ترتفعان في  
ابتسامة جانبية صفراء قبل أن تقول بتهكم

- " بما أنك وضحت مدى تعاسة حياتي المزرية وكم أنا شخص فاشل يمكنك التوقف عن الهراء غير المجدي وأخبريني ما الذي تهدفين إليه من هذا اللقاء غير المرغوب به من كلا الطرفين.... ولا أظن الهدف هو رمي برصاصة لأن ذلك كان يمكن تحقيقه وأنت في قارة أخرى بأمر منك دون الحاجة لتكبد مخاطرة دخول البلاد والتعرض لي وأنا تحت حماية الجيش.... إذن، ما قيمة حياتي حسب تقديرك.... أماه؟ "

زمت شفيتها وهي تقيمها من رأسها لأخص قدميها لتعود لوجهها وهي تقول باستنكار

- " لو كان الأمر منوطا بي لكانت حياتك لا تساوي شيئا لكن مع الأسف لازلت أحتاجها.... "

صمتت تراقب انفعالات المقابلة لها والتي لم تمنحها ما تريد بل واصلت تماسكها القوي، غير سامحة لمشاعرها بالطفو لصفحة وجهها الذي يظهر عدم التأثر، لتقول أخيرا راغبة في تحطيم قناع القسوة ذاك

- " حسابك في الخارج "

- " لماذا؟ "

صمتت قليلا كأنها تعدد الأسباب التي من أجلها تريد تحطيمها  
لكن قبل ذلك نيل ما تعتقد أنه حق مغتصب لها قبل أن تقول  
ببساطة

- "لأنك أفست صفقة قيمتها ملايين ورميت عملي خلف  
القضبان... يا إلهي لقد كان مفيدا في أشياء كثيرة..."

قالت جملتها الأخيرة وهي تغمز بعينها بايحاء لتمتع ملامح  
المقابلة لها باشمزاز، لكنها تجاهلتها وهي تتابع بحدة عند  
تطرقها لموضوع كمال

- "ولأن تلك الأموال لا تحقق لك لمجرد أنك ابنة كمال، إنها  
ثمن تعبى وتحملى له لسنوات طويلة..."

اشتعلت نظرات نور وهي تستمع لها تتحدث بصفاقة كأنها  
زوجة مثالية عاشت الذل تحت رحمة زوج متجبر لتقول  
بغضب

- "أنت لم تتحملي شيئا... لقد كنت امرأة نجسة فاسقة،  
خانت زوجها تحت سقف بيته دون حياء..."

ابتسمت بتهكم عند كلمة "حياء" قبل أن تتابع كأنها توجه  
شتيمة لها



- " لكن كيف يمكن لامرأة مثلك أن يكون لديها ذرة حياء من الأساس حتى تطالبي به.. "

لم تكن صوفيا بالخصم الهين في تلك المجابهة الكلامية، خصوصا أنها فرصة لا تعوض لبث سمومها في ابنة الشخص الذي تكرهه أكثر من أي شيء في العالم وهي من خسرت فرصتها في تعذيبه وقتله عندما سبقها مروان...

هزت رأسها كأنها ما تسمع إليه من مواعظ يشعرها بالضجر قبل أن تقول كمن يفشي سرا لكن رغم ذلك لا يستطيع إخفاء نبرة الاثارة في صوته

- " وأحيانا كثيرة في سريريه وليس في بيته فقط... فهو كان مريحا بدرجة لا تصدق، كما أنه كان يبعث فيا نشوة كسر جبروته و عنفوانه "

أشاحت بوجهها بعيدا عن مرآها وهي تشعر بالتقرز مما تتفوه به... كيف يمكن لبشر أن يكون بذلك الانحطاط؟

سمعت ضحكاتھا المتشفية وكأنها أحرزت نصرا ضد كمال شخصيا فلم تستطع تحمل ذلك أكثر لتجيبها دون عناء إخفاء نفورها

- " أنت فعلا مقرفة لدرجة تفوق كل تصور رسمته عنك!!  
رغم كل مساوئه وجرائمه كان أبا أفضل منك، ورجلا أشرف  
من أن يستحق قذارتك و... "

وقبل أن تتابع كانت تقاطعها بحدة و غضبها المكتوم يكاد  
يخرج من عقاله لتقول من بين أسنانها

- " أنت لم تري الوحش الذي كان عليه "

فكانت إجابتها بسيطة وهادئة لكنها حقيقية وهي تتذكر  
معاملته لها

- "ربما، لكنه لم ينحدر لمستواك، لقد كان رجلا جيدا مع  
رجاله وعائلته "

قست نظراتها المثبتة عليها وجليد الحقد الدفين يغزو  
حدقتها لتقول بنبرة ميتة

- " أتعرفين لما كرهتك دوما رغم أنك من صلبي، لأنك  
سليته، من دمه القدر، أنت ذكرى حية عنه، يمكنني رؤيته  
في كل لمحة منك كأنه لا يزال بيننا وينغص علي حياتي،  
ولحظك السيء شخصيته الشريفة ومبادئه مع من يهتم

لأمرهم قد ورثتها أيضا رغم أنه مجرد محتال سلب كل أملاك  
عائليتي"

وببديهية أجابتها كأنها تحملها مسؤولية ما كانت ترمي  
أثقاله على غيرها

- " هو لم يختطفك، ولم يجبرك على الارتباط به ولم يغتصب  
حبك كما يبدو لي... "

ظهر الوجد على ملامح صوفيا ربما لأنها ذكرى حقيقية  
وغير مفتعلة بالنسبة لها، ذكرى دفنتها عميقا ودعت على  
كل من كان له صلة بها، قبل أن تقول محاولة إخفاء تلك  
الغصة التي تخنق الكلمات في حلقها

- " لقد حاصر عائليتي التي كانت من أعرق العائلات وأفسد  
كل صفقاتها ليأتي لاحقا مادا يد السلام، كأنه حقا يرغب في  
هدنة، وأي طريقة أفضل من شحن ابنة الزعيم المعادي إليه  
كأنهم يهدونه جارية لتقوية العلاقة بين العائلتين، لكنه أظهر  
وجهه الحقيقي واستولى على كلا الامبراطوريتين بكل شجع  
بدل أن يسمح لي بمتابعة أعمال والدي بعد وفاته... "

اهتز كتفا نور محاولة كتم ضحكتها المتهكمة قبل أن تقول  
بلووم

- " اخرجني من دور الضحية المقهورة فهو لا يناسبك في مطلق الأحوال لأنني أعرف من أنت حقيقة.... أعرف بشاعة روحك وسوادها... دعينا نحسم الموضوع، أنت لن تحصلي مني على شيء لذا إن كنت تريدين وضع رصاصة في رأسي فتفضلي ولتنتهي من هذه المهزلة"

ارتفع حاجبا صوفيا بدهشة قبل أن تتفجر ضاحكة لتقول بعد برهة

- " لقد كدت أصدق أنك لا تخشين شيئا يا صغيرة، لكن هناك ما هو أسوء من الموت بكثير، دعينا نعقد صفقة، لن أصعب عليك الأمور ولن أتفنن في تعذيبك حتى أشفي غليلي منك، ومن والدك، ومن إبراهيم العجوز الذي يكتم أنفاسي هو وأيديه الخفية في الخارج شرط ألا تعاندي وتتصاعي ببساطة لما أطلبه منك لأن صبري يكاد ينفذ ولن يعجبك ما قد أفعله"

لم يبد على الواقعة هناك أي اكتراث لما تقوله ولم يبدر منها أي ردة فعل كأنها ختمت كلامها ولم يعد هناك جدوى للنقاش، فتتهدت صوفيا بضجر قبل أن تقول

- " أليس لديك أي حس بالمحافظة على الذات يا فتاة، بالله عليك أنت ابنة عائلة مجرمة أبا عن جد، لا أصدق أنك

تفضلين التمسك بمبادئ بالية على الحفاظ على حياتك، أشعر  
فعلا بالاستياء أنك تحملين دمي"

تحركت أخيرا شفتا نور لتهمس بنبرة خاوية

- " من المؤسف أنه لا يمكنني تغيير انتمائي إليك فذلك لا  
يشرف أي انسان "

رفعت المقابلة لها يديها بعجز مدعية الاهتمام قبل أن تقول  
- " لا بأس أنا في كل الأحوال كنت سأنفذ ذلك سواء حولت  
الأموال أو لا، لكنك فقط منحتني الفرصة كي أسكت ضميري  
ليس وكأنه حي أصلا... على كل لا يهم... "

أشارت لغسان المتحفز والذي يقف على مسافة من نور  
ينتظر بحماس، فتحرك مقتربا وعيناه تشعان خبثا...

أغمضت عينيها تنتظر ما سيؤول إليه وضعها، عندما بزغت  
صورته أمام عينيها ولا تدري حقا لما تذكرته في تلك  
اللحظة، ربما لأنها قد تموت بعد ثوان أو دقائق أو لأن عقلها  
صور لها يوما أنه الأمان... تحركت شفتاها تهمس باسمه  
دون أن تنطقه كأنه صلاة صامته ترتلها بينها وبين نفسها

وهي تضم أصابع يديها عند خصرها تكاد تحطمها عندما  
أحست بخطوات غسان تتوقف خلفها مباشرة...

قطبت جبينها وهي تنتظر تحركه من جديد لكنه لم يفعل  
ففتحت عينيها واستدارت برأسها إليه عندما وجدت اهتمامه  
منصبا مع صوفيا فالتفتت إليها لتجدها منشغلة بحديث مع  
حارسها الآخر والذي كان يهمس بشيء في أذنها قبل أن  
يتراجع للخلف وعيناه تجوبان المكان بينما يحمل سلاحه  
متأهبا.... تلقائيا تطلعت حولها هي الأخرى رغم أنها غير  
مستوعبة لما يحدث....

صوت صوفيا الحازم جذب انتباهها لتسمعها وهي تلقي  
أوامرها لغسان

- " أليكس لديه طرد مميز رافقه إلى هنا وكن متيقظا "

أطاع الأمر بسرعة وماهي إلا لحظات حتى اختفى من مجال  
رؤيتها لتسمعها تتابع وهذه المرة باللغة الفرنسية والتي  
استطاعت أن تفهم منها بعض الكلمات وكم حمدت الله على  
تلك الدروس المملة

- " أريدك أن تخبر الرجال بتمشيط المنطقة كلها فلا بد أن باقي كلاب الجيش خلفه، وأخبر ساشا أن يأخذ مكانه لا أريد أي مفاجآت أخرى "

عندما استدارت صوفيا بعد أن انشغل رجلها بالحديث في هاتفه كانت نور لا تزال تضيق عينيها وكل اهتمامها منصب عليها تحاول استيعاب ما كان يدور من حوار لتقول بتهكم - " لا داعي لتشغلي نفسك حبيبتي بالترجمة، لدي هدية لك ستصل قريبا، متأكدة أنها ستروقك كثيرا.. "

لا تدري لما انقبض قلبها ولم يرق لها الصمت الذي خيم بعدها، كأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة... ترى ما الذي تخطط له تلك المرأة لتكون سعيدة بتلك الطريقة المقلقة... دقائق مرت عليها كدهر وهي تراقب ملامح صوفيا الهادئة أكثر من اللازم بل مستمتعة بما يحدث...

أحست باقتراب حركة وأصوات منهم فاستدارت بسرعة وكان قلبها أنبأها بما ستلاقيه قبل أن تتسع عيناها بصدمة وهي ترى الذي يقتاده غسان ومن معه، ورغم أنه كان يطأطئ رأسه وملامحه مخفية عنها إلا أنها عرفت من هو، يستحيل أن تخطئ في التعرف عليه....

شحبت ملامحها بشدة وهم يقتربون أكثر لتهمس بلوغة دون  
وعي منها باسمه....

وكأنه أحس بها ووصله صوتها فرفع رأسه إليها يطالعها  
بتدقيق كأنه يبحث عن أي أثر لإصابة أو جرح، كان قد توقف  
للحظات فدفعه غسان بقوة وهو يزمجر

- " تحرك أيها البائس... "

نفذ الأمر دون مجابهة وتحرك معها حتى وصلوا إلى  
مكانها.... ابتلعت ريقها بخوف وهي تبادلته النظرات  
المتوجسة وحدقتهاها لا تزالان ترسمان الصدمة عندما وجه  
غسان ضربة قوية لساق حسام ليجبره على النزول على  
ركبتيه قبل أن يلحقها بأخرى بطرف المسدس على جذع  
عنقه من الخلف فانهار أرضا....

صرخت باسمه وهي تتخفض لمستواه بسرعة ويدها تتمسك  
به ليطالعها من أسفل بنظرات مطمئنة قبل أن يهمس بصوت  
لا يمكن لغيرها سماعه

- " هل أنت بخير؟ "



أجمت الصدمة لسانها فازدردت لعابها قبل أن تومئ بحركة  
بالكاد ترى فابتسم بدفء قبل أن يقول بنفس النبرة

- " جيد، من هنالك غير الموجودين هنا.. "

هزت رأسها بضياح قبل أن تقول بتشتت

- " لا أدري ربما الكثير على مسافة من هنا، وهناك أيضا

قناص لا أدري أين هو بالضبط، هل .... "

وقبل أن تكمل كلامها كانت يد غسان تجذبها من ذراعها بقوة  
مجبرة إياها على الوقوف فاستقامت وهي تحاول الفكك من  
قبضته قبل أن تسمع والدتها تقول بحزم

- " عد لباقي الرجال وتفقد الوضع "

أوما بطاعة قبل أن يطلق سراحها منصرفا عندما اقتربت  
صوفيا ببطء وعيناها على حسام الذي لا يزال أرضا  
ومسدس ألكس موجه إلى رأسه...

أمالت رأسها جانبا قبل أن تبتسم بسخرية لاذعة لتقول بعدها

- " صهري الغالي! هل جئت تأخذ بركاتي على زواجك من

ابنتي؟ ... عفوا أو ربما على انفصالك منها لا أدري

بالضبط!! والآن اخبرني بما كنتما تتهامسان... هل كنت تعبر لها عن أشواقك لزوجتك الميتة؟ "

نظرات حسام الحادة وملامحه المكفهرة كانت كفيلة بجعلها تصمت بينما كانت نور تطالعه بقلق فهي تعلم جيدا أي انفجار سيولده ذكر ندى وخصوصا على لسان قتلتها، لكن صمته جعلها تتوجس أكثر... بينما رفعت صوفيا يدها قائلة

- " حسنا أنت قاتل متعة يا صهري لكن ذلك متوقع منك أيها القائد السابق مع الأسف... لا بأس مجيئك سهل الوضع علي رغم أنني لا أثق بك كثيرا، لقد منحنتي ورقة ضغط على هذه الغنيدة فهي بالتأكيد سترضح بمجرد أن تكون حياتك هي المقابل كما كانت تفعل دائما بكل غياب... "

اهتز كتفا نور قبل أن تنفرج شفتاها في ضحكة عالية جعلت الجميع يتنبه لها قبل أن تسيطر عليها بصعوبة لتقول بعدها ببرود

- " إن كنت تعتقدين أن حياته تعني لي شيئا بعدما فعله بي فأنت واهمة صوفيا، لا أبالي ولو بدافع الإنسانية بما تفعلينه به "

- " لا بأس لنزله من المعادلة إذن فهو حمل زائد في كل الأحوال "

وأشارت لأليكس خلفه فحرر صمام أمان المسدس الذي أصدر صوتا... حاولت التظاهر بعدم الإكتراث لكنها لم تستطع التمسك بذلك القناع طويلا خصوصا وهي تلمحه يضغط على الزناد تدريجيا فصرخت بهلع قبل أن تنطلق الرصاصة وهي تغمض عينيها بقوة

- " توقف..... "

ابتسمت صوفيا بانتصار قبل أن تقول

- " فتاة غبية لا تزال حياته أعلى من حياتك... أحضر الحاسوب "

تحرك الرجل الآخر باتجاه السيارة بينما كان حسام يدرس الوضع جيدا وفي اللحظة المناسبة وبسرعة خاطفة استدار للخلف وهو يقبض على ذراع أليكس مكبلا حركته بجعله يقف أمامه كحاجز بينما افتك سلاحه موجه إياه نحو تايلور الذي تأهب هو الآخر لتخترق رصاصته صدر زميله بدلا من حسام الذي لم يتردد في اسقاطه بسرعة قبل اطلاقه للرصاصة الثانية ليقع عند قدمي صوفيا التي لم يبد عليها

التأثر نهائيا بل تطلعت لرجليها بازدياء كأنهما مجرد فاشلين  
لما يستطيعا تأدية عملهما...

ظل حسام يوجه سلاحه نحوها لكنها لم تبد أي حركة، للحظة  
لم يستوعب سر تلك الثقة لكن سرعان ما داهمه السبب  
فالتفت بسرعة لنور التي أدركت الوضع قبله فوقفت  
متسمة...

كانت هناك إشارة ضوئية حمراء بالكاد ترى مثبتة على  
جبينها سببها بندقية القناص الذي يجهل موقعه... تطلع  
أمامه باحثا عنه لكنه لم يستطع تحديد مكانه عندما سمعها  
تقول بتشفي

- " لا تتعب نفسك بالبحث لن تجده والآن أخفض اللعبة التي  
تحملها قبل أن تؤذي نفسك "

تردد في تنفيذ كلامها وأصابعه تقبض بقوة على المسدس  
لكنه في الأخير رماه أرضا عندما سمعها تتابع

- " وأنت تقدمي نحوي ببطء وإياك أن تتهوري وتقومي  
بتصرف أحمق "

تحركت ببطء نحوها حتى وصلت أمامها لكن عيناها سقطتا  
غصبا عنها على الجثة القريبة منها فأشاحت بوجهها بعيدا  
قبل أن تهمس

- " أتعرفين صوفيا أني أكاد أستفرغ وأنا أقف قريبا منك لهذه  
الدرجة؟ وجودي في نفس المحيط معك يجعلني أشعر بالقرف  
منك ومن فكرة أني ابنتك... أنت مجرد امرأة فاس... "

وقبل أن تنهي كلمتها كانت صفة صوفيا تدوي وهي ترتطم  
بجدها، صفة كانت من القوة ما جعلها تسقط أرضا....

ظلت على حالها حتى أرغمتها قبضة والدتها على الوقوف  
مقابلة وهي تهمس من بين أسنانها

- " كرري إهانتك مرة أخرى وستفقدين لسانك أيتها  
الصغيرة "

اقتربت منها أكثر بحيث يكون جسدها بعيدا عن اسقاط  
القناص حسب توقعها قبل أن يرتفع ركن شفتها في ابتسامة  
ساخرة وهي تقول

- " ربما يجدر بك التفكير جيدا قبل أن ترمي تهديداتك جزافا  
أماه "

أنهت جملتها وهي تخفض عينيها باتجاه يدها... تتبعت صوفيا مسار نظراتها لتتسع حدقتها بصدمة وهي ترى مدية حارسها موجهة إلى جانب خصرها قبل أن تعيدها للأعلى وهي تسمع نور تتابع بثقة

- " ابعدي قناصك عن المكان أو ستكونين أنت التالية... "

ظهرت الدهشة على ملامح حسام الذي لم يكن يتوقع تصرفها ذاك لكنها كانت دوما لغزا مليئا بالمفاجآت بالنسبة له قبل أن يبتسم بفخر وهو ينخفض ليرفع المسدس وهو يتقدم باتجاههما ليوقف صوت صوفيا

- " توقف عندك... وأنت كفي عن اللعب بما لا يناسبك هل تظنين أنك ستخرجين حية من هنا لو خدشتني مجرد خدش، كلاكما ستموتان... "

- " لا بأس سأخذ هذه المجازفة فقناصك لن يستطيع القضاء علينا برصاصة واحدة صحيح؟ وأيما كان منا من سيقتل أولا أنت ستموتين في كلتا الحالتين سواء بهذه السكين أو برصاصة حسام التي ستستقر في جمجمتك ولك الاختيار... "

زفرت صوفيا نفسا طويلا قبل أن تقول بمواربة

- " أنت تفوزين في هذه الجولة "

انتبهت نور لحركة يدها التي كانت ترسل إشارة ما خلفها  
ودون وعي منها كانت شفرة السكين تخترق جسد والدتها  
التي شقت صرختها وعيها فتراجعت للخلف برعب خصوصا  
وهي تسمع صوت إطلاق نار وحسام الذي تحرك نحوها  
بسرعة خاطفة....

كانت كل الأحداث تجري بسرعة أربكتها وشوشت كل  
تفكيرها فلم تعد تستطيع التمييز بينها...

سقطت أرضا بعيون زائغة تراقب والدتها الممسكة بجانبها  
والدماء تخرج بدلتها ولم تدرك ما يجري سوى بعدما سمعت  
صوت رصاصة أخرى كانت تخترق جسد صوفيا منهيّة  
حياتها...

انتابها الهلع وتسارعت أنفاسها حتى كادت تنقطع وهي  
تراجع للخلف زاحفة دون أن تفارق عيناها المشهد الممزرع  
بالدماء....

اقترب منها حسام يضم جسدها المرتجف لحضنه مبعدا إياها  
عن ذلك المنظر لكنها ظلت تدفعه عنها بقوة حتى وإن كانت

واهية، عندما سمعا صوت طائرة مروحية تقترب كانت تابعة لقوات الجيش....

\*\*\*\*\*

إجراءات رسمية طويلة استغرقت عدة ساعات ولم تكن لتنتهي لولا حسام الذي اختصر أغلبها... طوال الوقت لم تكن واعية لكل ما يجري وعقلها لا يزال غارقا في الأحداث السابقة... ظلت الصور والأصوات تتدافع إلى مخيلتها دون أن تستطيع صدها رغم مقاومتها في البداية فاستسلمت ببساطة لها لأنها باختصار مرهقة... مرهقة من كل شيء....

كانت رحلة العودة إلى البيت صامتة بينما تشق السيارة الطريق في الساعات المتأخرة من الليل... يجلس كلاهما في المقعد الخلفي بينما هي شاردة، ضائعة بنظراتها في الظلام المحيط بالخارج....

كان يخطف بين حين وآخر نظرة نحوها كأنه يتفقدتها، فبعد انهيارها إثر طعن صوفيا وما تلا ذلك من إطلاق نار هدأت تماما ولم تبد أي ردة فعل تدل على أنها تفهم ما يجري أو تعي ما يدور حولها، كأنها أغلقت على نفسها كل طريق



للتواصل مع العالم الخارجي وسجنت مشاعرها في مكان  
قصي من قلبها....

شعر بنخزة في قلبه وهو يرى حالتها، لا بد أن ذلك اللقاء  
حطم شيئاً ما داخلها فتلك المرأة لا تحمل ذرة رحمة في قلبها  
ولا بد أنها مارست عليها أسوء الضغوطات قبل وصوله...  
زفر نفساً طويلاً وهو لا يزال يتأمل جانب وجهها بينما تستند  
على النافذة قبل أن يهمس اسمها بهدوء بعد أن كاد يخطئه  
- "ليل... نور..."

لم يبد عليها أنها سمعته فأعاد همسه وهذه المرة وضع كفه  
على يديها المضمومة فوق حجرها... للحظة اعتقد أنها لم  
تشعر به لكنها استدارت إليه ببطء قبل أن تتأمله بشرود كأن  
نظراتها تخترقه لتصل للعممة خلفه دون أن تراه... كل تلك  
القوة التي رآها في عينيها عندما التقاها لأول مرة وحتى  
عندما واجهت والدتها اختفت وانزوت بعيداً معلنة انهزام  
صاحبته أمام ظروف ينحني أقوى الرجال أمام قساوتها....  
ودون أن تتبس بحرف سحبت يدها بعيداً قبل أن تعود لتغلق  
على نفسها من جديد.... قبض أصابعه بقوة وهو يعيدها  
ناحيته، لا يدري فقط كيف يتواصل معها فهو في حد ذاته

عزل نفسه عندما كان في وضعها، ليته فقط يملك إصرارها وقوتها كي يساعدها مثلما كانت تحاول أن تفعل معه...

\*\*\*\*\*

\*

وصلا إلى البيت والصمت لا يزال يخيم عليهما... كانت تمشي إلى جانبه كالمسيرة حتى صعدا إلى الطابق الثاني حيث كان الباب مفتوحا من الأساس...

ما إن خطيا للداخل حتى هتفت ريمة باسمها وهي تركض ناحيتها لتأخذها بين ذراعيها وهي تقول بارتياح

- "يا إلهي نور... الحمد لله أنك بخير... لقد كدنا نموت قلقا عندما اتصل أسامة يسأل عنك... من الجيد أن حسام اتصل بأحمد ليطمئننا عنكما..."

أبعدت جسدها قليلا عن حضن ريمة قبل أن تقول بصوت منخفض متردد

- "أنا بخير... لم يحدث شيء..."

أمسكت المقابلة لها ذراعيها تتطلع إليها بشك خصوصا وهي ترى آثار الدماء على ملابسها بينما لادت عينيها بالفرار

بعيدا عن نظرات ريمة المدققة والتي لم تستسلم بل قالت  
بإصرار

- " أنا أتكلم بجدية نور ماذا فعلت تلك الح... تلك المرأة بك؟  
"

في تلك اللحظة تقدم أسامة الذي لاتزال ملامحه متوترة  
وشاحبة رغم لمحة الارتياح في عينيه واضعا يده على كتفها  
فتراجعت ريمة تلقائيا للخلف بينما رفعت نور رأسها إليه  
ليقول بصوت مطمئن

- " لا بأس دعيتها فقط ترتاح الآن لابد أنها مرهقة وحسام  
سيخبرنا بالتفاصيل لاحقا"

نظرة امتنان لاحت على عينيها وهي تتسحب معتذرة لتقول  
بضعف

- " أنا حقا بخير فقط أحتاج لحمام لأنني مرهقة جدا، وآسفة  
بسبب كل القلق الذي سببته لكم"

في زاوية الغرفة كان حسام يقف مع أحمد الذي احتضنه ما  
أن رآه بعد كل ذلك الغياب يتكلمان بخصوص ما حدث لكن  
عيناه لم تفارقاها للحظة... يدقق في كل حركة تصدر عنها

حتى تشنجت ملامحه وهو يرى قرب أسامة منها وذلك  
التفاهم الغريب بينهما من مجرد نظرات.... بالكاد بعدها  
استطاع استجماع تركيزه ليواصل جلسة التحقيق حول  
اختفائه وعودته وعتاب ريمة الذي لم ترحمه كأنها فجرت  
كل الكبت في حياتها عليه هو..... بينما كل ما كان يريد هو  
اللاحق بالتي اختفت خلف باب الحمام والبقاء إلى جانبها.....  
لأنه يعلم جيدا بأنها لن تكشف ضعفها إلا في أشد لحظاتها  
وحدة....

\*\*\*\*\*

\*\*

وقفت أمام المرآة تركز بيديها على المغسلة الرخامية تواجه  
صورتها الشاحبة، الخالية من الحياة... بمشاعر متباعدة  
هائمة دون مستقر معلوم... حتى وقعت عيناها على بقع دم  
جافة على جانب عنقها... قطبت جبينها وملامح الحيرة  
ترتسم على وجهها قبل أن تميل رأسها قليلا وأصابعها ترتفع  
ببطء تتبع تلك الأثار...

حاولت إزالتها لكن دون فائدة فأخذت تفركها بعنف تكاد  
تسلخ جلد رقبتها بينما بدأت قشرة هدونها تتصدع وتفقد

توازنها... توقفت فجأة عما كانت تقوم به لترفع كلتا يديها  
تنظر إليهما بنظرة جنونية كأنها لا زالت ترى الدماء تغطيها  
قبل أن تتخضض نظراتها لقميصها الملطخ فعليا لتمسكه  
بأصابع مرتجفة وهي تحاول جاهدة مسحه لكن تلك الدماء  
أبت أن تزول وهي أصرت على ما كانت تقوم به بطريقة  
هستيرية قبل أن تصرخ بجنون

- " اللعنة عليك... لما لا تزول... لما لا تزول؟ "

وبنفس الجنون فتحت صنبور المياه وأخذت تفرك يديها  
ووجهها وملابسها قبل أن تتطلع لمظهرها في المرآة... لم  
تعد ترى نفسها ولا ما يحيط بها في الحمام بل تلك المنطقة  
المهجورة وصوفيا تنزف...

عادت لتصرخ من جديد وهي ترمي كل الأغراض أرضا بينما  
يديها تضغط أذنيها عليها تمنع الأصوات التي تتعالى...  
صوت والدتها وكلماتها المسمومة التي ترسخت داخل عقلها  
تمزقه مؤكدة لها أن جميع محاولاتها في الحصول على حياة  
طبيعية هو مجرد وهم لن تبلغه أبدا.....

في الخارج ما أن سمعت ريمة تلك الضجة حتى حاولت  
اقتحام الغرفة لولا حسام الذي اندفع يمنعها وبصعوبة

استطاع ثنيها عن قرارها مقتعا إياها بأنه سيتكفل بالموضوع، ورغم عدم اقتناعها إلا أنها انصاعت تحت شرط إذا لم يستطع تهدئتها ستدخل إلى هناك ولو غصبا عنه...

تسمر في منتصف الحمام قبل أن يبلغها وهو يرى انهيارها... كانت تهذي بكلمات غير مترابطة بينما عيناها تسرد قصة وجع وضياح وخذلان...

أخذ نفسا عميقا قبل أن يقطع المسافة بينهما بسرعة ليمسكها بقوة من ذراعيها حتى تتوقف عن حركتها الجنونية - " نور... نور .... اهدئي واسمعي... ستؤذين نفسك بهذه الطريقة..."

توقفت عن الحركة للحظات بيد أن ارتجاف جسدها وأنفاسها المتلاحقة لم تهدأ لتتطلع إليه بعيون متسعة محمرة بشدة كأنها لم تتعرف عليه قبل أن تحتد نظراتها لتدفعه وهي تصرخ

- "ابتعد عني... ما شأنك أنت؟ أعلم أنك تشعر بالراحة لرويتي في هذا الوضع... معك حق أن أستحق ما يحدث لي..."

أغمض عينيهِ يفكر مليا فيما سيقوله لها فهي في أشد أوقاتها هشاشة وقد لا تستوعب حتى ما يتفوه به ليقول ببطء مؤكدا على كلمة

- "أنا لا أتمنى لك الأذى نور وأنت لا تستحقين ما يحدث لك... كل ما قالته لك صوفيا هو لتحقيق غايتها في الانتقام وتحطيمك ولا يمت للحقيقة بصلة..."

صرخت فيه بعنف ترفض الاصغاء

- "بلى هي محقة أنا ابنة أسوء شخصين في العالم، لا بد أنني مثلهما هي قالت ذلك وأنت كنت تقول ذلك..."

اقترب منها بهدوء محاولا اقناعها

- "أنت أفضل من ذلك نور.. أنت..."

قاطعته وهي ترفع يدها وهي تهز راسها

- " انظر... انظر ألا ترى؟ لقد قتلتها... أي بشر طبيعي يستطيع أن يقتل... لابد أنها دماءها التي أحملها... أنا قاتلة بالفطرة..."

هز رأسه ينفي كلامها قبل أن يرفع صوته أعلى من صراخها حتى تسمعه

- " كنت مضطرة، كانت ستقتلنا كما أنني أنا من أطلق النار، أنا من قتلها لأنها كانت ستؤذيك... كانت تحاول الوصول لسلحها..."

توقفت عن الهديان تحاول استيعاب كلماته قبل أن تبدأ الدموع تتفرق في عينيها لكنها كبحتها بكل ذرة قوة تمتلكها حتى لا تذرفها ثم رفعت رأسها وهي تتنهد بتعب لتقول بصوت مبحوح وقد أرهقت حبالها الصوتية

- " هلا خرجت وتركتني وحدي لو سمحت... أحتاج للاختلاء بنفسي قليلا كما أن لعب دور المهمم بأمرى يفوق كل قدراتك التمثيلية"

أنهت جملتها قبل أن تعطيه ظهرها معلنة رفضها لوجوده قربها... لقد لفظها من قبل كما قالت صوفيا إذن لن تسمح له بأن يشهد ضعفها....



استمعت لصوت خطواته وهي تبتعد وصوت انغلاق الباب  
ومعه بدأ شعور آخر يطفو... أجل إنه الفراغ والوحدة  
والنبذ...

تلك الدموع الحبيسة في سعيها للتحرر جعلتها تشعر بلسعة  
في جفنيها فأغمضت عينيها بينما تغطي وجهها بكفيها...  
القوة الكبيرة التي كانت تمارسها على نفسها بدأت تتلاشى  
عند انطلاق أول شهقة... جاهدت كي تمنع غيرها... لكنها لم  
تستطع...

في خضم المقاومة التي كانت تخوضها لم تشعر به وهو  
يقترب بهدوء إلا عندما أدارها إليه فارتجف جسدها بين  
قبضتيه لكنه لم يسمح بانسحابها بل دفنها على صدره بينما  
ذراعيه تكبلان حركتها بقوة... ليهمس بصوت عميق دافئ  
- " فقط دعها تتحرر وسترتاحين.... لقد كانت حياتك شاقة  
حتى الآن.... يمكنك التخلي عن قوتك لوقت قصير لأنك  
قاومت بما فيه الكفاية..."

ارتجفت شفتها مهددة بسيل من الدموع بينما هي لا تزال  
تقاوم كي تبعده لكنه ضم رأسها إلى حضنه بينما يمسد  
شعرها مواصلا بنفس النبذة

- "ابكي يا نور... أنا هنا..."

تعالت شهقتها بينما دموعها تتحرر فتشبثت بقميصه مخفية  
وجهها في صدره تاركة العنان لكل مشاعرها المكبوتة...

لا تدري كم مضى من الوقت لكنها عندما استعادت رشدها  
بعد ذلك الانهيار كانا يجلسان على أرض الحمام وهي لا تزال  
متشبثة به...

شعور بالصفاء ولو لحظي كان يغمرها وقتها وقد تخلصت  
من بعض ما كان يثقلها...

تراجعت للخلف تمسح وجهها بظهر يدها مبعدة خصلات  
شعرها التي التصقت به وبشفتيها بينما كان هو يتأمل وجهها  
المحتقن وعينيها المنتفختين بنظرات حانية قبل أن يقول

- "كيف تشعرين؟"

أخفضت رأسها بخجل من وضعها قبل أن تحاول الوقوف لكن  
ساقها لم يسعفاها وكادت تقع لولا أنه أسرع لمساعدتها كي  
تتوازن لتقول بإحراج

- "شكرا لك... أعتذر عما حدث لم أكن في وعيي..."

ابتسم بلطف كونها عادت لاظهار قوتها من جديد قبل أن يقول

- " هيا تعالى علينا أن نتخلص من مظهرك هذا تبدين في حالة مزرية "

تأملت مظهرها الذي يبدو فعلا مزر لتقول بخفوت

- " لا بأس سأخذ حماما وأغير ملابسي... "

هز رأسه موافقا على كلامها قبل أن يقول مؤكدا

- " وهذا ما كنت أقوله بالضبط... "

وقبل أن تعي أن كان يمسك برسغها ساحبا إياها خلفه إلى الحجرة الزجاجية حيث أوقفها فاتحا صنوبر المياه لتسيل فوقهما معا....

شهقت بصدمة قبل أن تحاول الابتعاد معترضة لكنه ثبتها على الجدار خلفها قبل أن يقول باصرار

- " فقط توقفي عن المقاومة لمرّة... لو سمحت "

- " يمكنني فعل ذلك بمفردي.. لا أحتاج مساعدتك... من فضلك اخرج "

تجاهل اعتراضاتها وهو يقترب منها أكثر فامتعت عيناها  
لشعورها بذلك القرب المفاجئ لكنه لم يفعل شيئاً سوى  
تحرير شعرها بينما يفركه بأصابعه بلطف...

رفعت وجهها مستقبلة قطرات المياه تاركة نفسها تنعم ببضع  
لحظات من الهدوء والاستسلام عليها تجد بعدها قوة ولو  
ضئيلة....

بعد أن خرجا من تحت المياه سبقها ليحضر المنشفة مدت  
يدها كي تأخذاً لكنه تمسك بها وأبعدها خلف ظهره فهزت  
رأسها بياس منه فابتسم بينما يلتف خلفها وأخذ يجفف  
شعرها ليقول بعدها بتساؤل

- " لقد قصصت شعرك؟ "

زفرت نفساً طويلاً قبل أن تستدير كي تقابله لتقول بتهكم  
مشيرة لملابسهما المبللة

- " هل هذا هو مفهومك عن الاستحمام؟ "

أجابها بثقة

- " هذا هو المتوفر حالياً... لقد تركت ثوب الحمام هناك

ارتديه "

ابتسامة طفيفة حاولت شق طريقها لشفتيها بصعوبة قبل أن تقول

- " ملابسك لا تزال في الخزانة لا داعي للبقاء بمظهر  
المشردين هذا... "

ارتفع حاجباه بدهشة قبل أن يقول

- " من الجيد أنك لم تحرقها فالملابس المبللة غير مريحة  
اطلاقا... "

أنهى جملمته وهو يتحرك مغادرا... شردت للحظات... لوهلة  
خيل لها أن حياتها طبيعية لكنها تعلم جيدا أنه سرعان ما  
سيعود كل شيء إلى ما كان عليه وسيزول الوهم...

لحقته إلى الغرفة بعد عدة دقائق لكنه لم يكن هناك فعرفت أن  
الوهم انتهى أسرع مما تخيلت... هزت رأسها توظظ نفسها  
من غفلتها قبل أن تتجه للسريير لتمدد بإرهاق... ربما  
داهمها النعاس وهربت لعالم النوم... لكن لا فائدة حتى  
مهربها الوحيد أدار ظهره لها....

انكشيت تحضن نفسها تضمد جراحها بنفسها ودموعها تعود  
لتبسظ سيطرتها عليها فأغمضت عينيها تاركة المجال لها

لتنساب بحرية... لن تقمعهما الآن فهي بمفردها والظلام  
يغشيها...

شعرت بالسريير ينخفض تحتها إثر ثقل جسده الذي أحست  
باقترابه لكنها لم تستدر... أما هو فقد دس يده تحتها جاذبا  
إياها نحوه فانكمشت أكثر حتى اندست بقربه... بينما استند  
هو بذقنه على رأسها ليهمس بهدوء  
- " ارتاحي الآن لن أتركك أعدك... "

وكانها تعويذة سحرية أغمضت عينيها تشعر بأمان غريب  
ولا تريد تفسير أيا من تلك المشاعر ولا حتى سبب ما  
يحدث.....

## الفصل الثالث والعشرون

وقفت قبالة السريير بعد أن أنهت تغيير ملابسها تتطلع إلى  
مكانه الشاغر... لقد كانت متأكدة أنها لحظات قصيرة  
وسيتركها لحالها تتجرع آلامها بمفردها، لكنه خيب توقعاتها  
وظل إلى جوارها حتى غفت لدرجة أنها لم تشعر بانسحابه  
من الفراش إلا حين استيقظت منذ قليل... لكن في النهاية هو

غادر وهذا هو الواقع الذي يجب أن تستوعبه... ظهوره الآن في حياتها كمسكن لآلامها له مفعول مؤقت سيزول بمجرد اختفائه التالي...

هزت رأسها تنفض كل تلك الأفكار من رأسها قبل أن تغادر الغرفة لتجده نائما على الأريكة، مكانه المعتاد... كأنه لم يغادر قط منذ أكثر من سنة...

اقتربت بهدوء حتى وقفت أمامه تماما لتتحني قريبا منه... نفس المشهد يتكرر، لكن هذه المرة لن تسمح للإغراء بالسيطرة عليها فهي لن تتحمل أي إهانات، ليس وهي في هذا الوضع الهش...

استقامت وهي تنتهد بتعب قبل أن تواصل طريقها خارج البيت...

وقفت على الرصيف تنظر إلى الطريق الخالي من المارة... كان الحي هادئا، والصبح لا يزال يجابه الظلمة... أخذت نفسا عميقا تعبئ رئتيها بالنسمات النقية قبل أن تتطلع لساعة يدها... الخامسة والنصف صباحا وقت مناسب لتصفية ذهنها والتخلص مما يعكر صفو أفكارها الذي

تحتاجه وبشدة خصوصا بعودته التي لا تعرف إلى متى ستستمر...

بدأت جولة ركضها الذي زادت سرعته تدريجيا... وفي كل خطوة كانت تراحمها فكرة أو ذكرى لأحداث قديمة وأخرى حديثة فكانت كأنها تركض هربا منها إلى أن أحست بأنفاسها تنقطع... وعضلاتها تنن وجعا...

توقفت تلتقط أنفاسها وصدرها يتحرك بسرعة كي يستطيع مواكبة الجهد الذي بذلته قبل أن تتحني تركز بكفيها على ركبتها في محاولة لتهدئة ذلك التسارع عندما انتبهت للقدمين اللتين تقتربان منها حتى وقف صاحبهما أمامها فاستقامت لمقابلة وجهه البشوش وهو يحييها بود تعودت عليه

- " صباح الخير... لم أرك تركضين في هذا الوقت منذ مدة طويلة... ما سر هذا النشاط آنسة ليلى؟ "

ابتسمت بالمقابل قبل أن تقول

- " أهلا إياد، احتجت للتفكير قليلا لهذا خرجت باكرا "

ارتفع حاجبه باستنكار قبل أن يقول بلووم مفتعل



- " أرفع القبعة للشيء المهم الذي استطاع اخراجك وأنا من كنت أتوسل إليك قبل كل تدريب كي تركضي قليلا معي "

- "إذا إنه يوم حظك... دعنا نعد إلى الصالة فأنا أريد القتال وبشدة..."

تحركت عائدة أدراجها وهو إلى جانبها دون أن يسألها أكثر لكن مسيرة الطريق لم تخلو من بعض الأحاديث التي لم تكن مرتبطة بأي منهما بطريقة شخصية....

\*\*\*\*\*

تحرك في غرفة المعيشة جيئة وذهابا يشتم غباءها منقطع النظير وهو يحمل هاتفها النقال الذي وجدته في غرفتها... لا يدري متى غادرت ولا إلى أين ذهبت... لقد بحث عنها في كل البيت وحتى في الطابق السفلي وفي الحي لكن لا أثر لها... تلك الفتاة حقا ليس لديها أي حس مسؤولية....

أخرج نفسا طويلا حادا كأنه ينفث نارا قبل أن يتجه للخارج من جديد بخطوات عنيفة كأنه يصب جام غضبه أو بالأحرى قلقة عليها....

قطع الطريق للجانب الآخر عندما لمحها قادمة من بعيد  
وللمفاجأة لم تكن وحدها... لم يتحرك من مكانه بل اتكأ على  
جدار أحد البيوت يراقب كيف كانت تمشي بروية كأنها في  
نزهة وتتحدث إلى الشخص المرافق لها وتبتسم أيضا حتى  
لو كان يعلم جيدا أنه شبح ابتسامة ومن الواضح أنها مجاملة  
لكن المهم أن رجلا ما يرى صف أسنانها بأريحية...أمال  
رأسه جانبا مضيقا عينيه بتركيز وهو يرى كيف تتهادى في  
مشيتها بشعرها المرفوع على هيئة ذيل حصان قصير يتمايل  
معها وملابسها الرياضية الضيقة؛ قميص قطني أبيض  
فضفاض طويل بحمالتين عرضتين ورقبة منخفضة أسفله  
حمالة رياضية سوداء وسروال يلتصق بحناياها يصل  
لمنتصف ساقها بنفس اللون الأسود... هل هذا ما كانت  
ترتديه حقا؟ تساءل بداخله بتملك رجل شرقي أصيل حتى لو  
كان لا يعترف بزواجه منها ولا يكن لها مشاعر معروفة  
بالنسبة له، لكنها في النهاية زوجته شرعا وليس من حقها  
الخروج بذلك المظهر كأنها تعيش في الغرب... قطب جبينه  
بضيق وما الذي يزعجه من الأساس فلتفعل ما يحلو لها لكن  
ليس حاليا وهم على حافة بركان والخطر يتربصها في كل

زاوية.... وليس في تلك الملابس على كل حال مهما كان  
الوضع.....

بعد أن تأكد أنهما دخلا الصالة الرياضية معا، انتظر قليلا لكن  
أيا كان ذلك الرجل فهو لم يغادر... وهنا تحركت تلك الغريزة  
التملكية مجددا ولم ينتظر دقيقة أخرى وبخطوات سريعة  
قطع تلك المسافة ليجد نفسه يراقب كيف يقف من لم يتعرف  
عليه من قبل قريبا منها ويده تمسك ساعدها...

احتدت نظراته واقترب كأنه فهد سينقض على فريسته قبل  
يقول بصوت قوي جعل بحته تظهر جلية  
- " ما الذي يحدث هنا؟ "

ترك إياد ساعدها وهو يولي اهتمامه للذي تطفل عليهما بينما  
تراجعت نور خطوة للخلف وهي تنتبه لاقتحامه الثائر للمكان  
قبل أن تقول بعفوية  
- " لقد كنا... "

لم يسمح لها بالتبرير وهو يدير ظهره لإياد مركزا انتباهه  
عليها قبل أن يسأل بحدة أقرب للتسلط

- " أين كنت منذ الصباح الباكر؟ هل تعرفين كم بحثت عنك؟  
والأدهى تركت هاتفك! هل تعين الوضع الذي نحن فيه؟ أم أن  
استهتارك يمنعك من رؤية ما يحدث؟ "

اتسعت عيناها من الهجوم الحاد الذي تلقتة خصوصا أنها  
كلما فتحت فمها لتجيبه كان يتجاهل ذلك ليواصل تأنيبه...

لم يحتمل إياد لهجة التسلط في كلامه خصوصا وأنه لا يعرفه  
هو الآخر فتدخل بينهما وهو يرفع يده في وجه حسام ليواجه  
كفه صدره النافر دافعا إياه للخلف قبل أن يقول بحزم

- " ما الذي دهاك يا هذا؟ من أنت حتى تحشر أنفك فيما لا  
يعنيك؟ "

ثم التفت لنور ليسألها

- " هل تعرفينه ليلي؟ إن كان يضايقك سألقيه في الخارج  
فورا "

أغمضت نور عينيها قبل أن تضع يدها على جبينها وهي تعي  
الورطة التي أوقع إياد نفسه فيها..

من جهة أخرى ارتفع حاجبا حسام بدهشة سرعان ما تحولت  
لاستتكار حل محله طوفان غضب وهو يخفض بصره ليرى

موضع يد من يتبجح بلعب دور الشجاع الذي سيخلصها من قبضته قبل أن ترتفع يده لتمسك برسغ إيداء بقوة ليضغط على باطن يده مرجعا إياها للخلف بحركة عنيفة نوعا ما قبل أن يقول من بين أسنانه

- " هل قلت سترميني للخارج؟ وأنني أضايقها ومتطفل أيضا؟ "

تجمعت حبيبات العرق على جبينه وهو يحاول الفكك من قبضة حسام لكن محاولته لم تزد سوى درجة ألمه الذي جاهد لإخفائه قبل أن يسمعه يتابع

- " من تدعي حمايتها يا بطل هي زوجتي و.... "

وقبل أن يكمل قطعت نور جملته وهي تقاطعه بحدة بينما تمسك بذراعه

- " دعه يا حسام... إيداء كان يعلمني بعض الحركات القتالية فقط فلا داعي لكل هذه الدراما التي تقوم بها "

تركه بعنف قبل أن يجول بنظراته بينهما بشك قبل أن يقول باستخفاف

- " هذا!... يدربك!! "

قبل أن يتابع وركن فمه يرتفع بسخرية

- " لا أراه أفادك كثيرا أمس، أليس كذلك؟ "

ومن حيث لا تدري سمعت صوت إياد يتفوه بما لم يزد

الوضع إلا تعقيدا بثقته الزائدة

- " إن كنت تريد إثباتا دعنا نخض جولة لأنك حقا أزعجتني

وأفسدت هدوء صباحي.. "

وكأنه كان في انتظار دعوة منه من الأساس فهو متحفز منذ

أن رآه في الخارج لذلك لم يفكر كثيرا وهو يقترب منه مجددا

وعيناه تلمعان بتوهج مستمتع عندما وقفت نور حائلا بينهما

وهي ترفع يديها باتجاههما لتقول بضيق

- " لا لن تخوضا أي نزال لسنا في حرب بالله عليكم "

قبل أن تلتفت لإياد لتقول بلطف

- " أعتذر عن هذا الموقف المخجل لكني مضطرة لتأجيل

حصتنا هذا اليوم، لكن يمكنك العودة لاحقا للتدريب عندما

تفتح الصالة كالعادة "

أوماً بتفهم قبل أن يقول مغادرا

- " إن احتجت مساعدة اتصلي بي لن أتأخر عن مساعدتك "

ابتسمت مجاملة وهي تهز رأسها موافقة لتراقبه وهو يخرج قبل أن تستدير لحسام الذي كان يقف مكتفا ذراعيه ونظراته لم تخف حدثها لتقول بضيق من بين أسنانها

- " هل لديك عقل داخل تلك الجمجمة الحجرية؟ كيف تتصرف بوقاحة مع إياي؟ "

وببرود ولا مبالاة جعلتها تغفر فمها أجابها ببساطة وبدون تبريرات

- " فعلت وانتهى الموضوع "

قبل أن يعود الجنون ليتملكه وهو يتذكر فعلتها ليتابع بتهديد

- " لما لم تعلميني بخروجك؟ لقد تسلفت كاللصوص دون سابق انذار تحت جناح الليل، دون حراسة ودون هاتفك... هل تعين الخطر الذي يحيط بك؟ ماذا لو قرر أحد رجال تلك اللعينة تصفيتك انتقاما لها؟ ألم يخطر على بالك كل ذلك؟ أديك ولو ذرة حس بالحفاظ على حياتك؟ "

حسنا هو محق فيما قاله وثورته مبررة لكنها لن تمنحه بهجة اثبات أنه على صواب وأن رغبتها في الفرار من مجال

تأثيره وفي الهرب من كل أفكارها المرهقة حجت تعقلها قليلا.... وبكل عناد الكون زفرت بضيق كأن كلامه يزعجها أجابته

- "كما ترى أنا سليمة معافاة وعدت إلى هنا قطعة واحدة فلا داعي لكل هذه المحاضرة الطويلة عن سلامتي كما أن إياد كان برفقتي ولم أكن وحدي..."

إذا هو كان معها.... استنفرت كل أعصابه بمجرد أن ذكرت اسمه ليحيد منطقته عن السبب الرئيسي لغضبه ليجنح نحو مرسى آخر لم يعهده في نفسه ليقول بتهكم واستعلاء واضح

- "أتقصدين أنك كنت تعتمدين على حماية ذلك الغر مدعي البطولة؟ بالله عليك هل فقدت عقلك؟ أين كان تدريبه عندما كان غسان يسوقك كالخروف نحو المذبح؟"

توقف قليلا يواجه نظراتها الصارمة عندما تذكر غسان ليقول بحيرة أقرب للصدمة

- "أساسا لما لم تتوقفي عن اتباعه كالبلهاء عندما ابتعدتما أكثر من اللازم؟ ألم تشكي ولو للحظة أن هناك شيئا مريباً في الموضوع أم أن لديك هوس بالمهمات الانتحارية بالفطرة؟"



زمت شفتيها مقطبة جبينها بغضب قبل أن تقول مدافعة عن موقفها

- " لقد كان يصوب مسدسا لرأسي إن لم تكن تتذكر... وأنت يا مغوار يا ذكي لما سمحت لهم بجرك إلى هناك بلا حول وقوة؟ هل لديك نفس الهوس مثلي؟ "

وكان سؤالها فاجأه فهو لم يتوقع أن يقع في موقف يضطر فيه لتبرير تواجده هناك أو حتى تصرفه وقتها... اضطربت نظراته التي كانت تحت مجهر عينيها تترقب إجابته ولمحة من الأمل تغشيتها حتى وإن كانت لا تعلم بوجودها وأنه التقطها وإلا كانت حجبها بسرعة...

تتهد يخرج نفسا مرهقا قبل أن يقول بهدوء اصطبغ بنوع من الخوف لم يستطع كبحه

- " لقد كنت أريد الوصول إليك والتأكد أنك بخير أولا خصوصا أن موقعك كان في نقطة مظلمة بالنسبة لي ولا أعرف عدد الرجال معك... كيف أشتبك معهم وأنت في قبضتهم وبعيدا عن نظري... تلك كانت مخاطرة لم أرد دخولها والمجازفة بحياتك... "

وقبل أن تفكر كان سؤالها ينطلق من بين شفيتها... سؤال  
ظاهره صدمة وعمقه شعور آخر تجاهلته

- " هل كنت حقا قلقا علي؟ "

فتح شفيتها ينوي إجابتها قبل أن يعود لضمهما بقوة متراجعا  
عما كان سيقوله خصوصا وهو يرى نظراتها...

ابتسمت مريرة ارتسمت على شفيتها وهي تهز رأسها قبل  
أن توليه ظهرها تنوي المغادرة وهي تقول بخفوت كأنها تكلم  
نفسها

- " بالطبع لا... مجرد مهمة.. "

عندما سمعته يهتف

- " بالطبع كنت قلقا عليك نور... تلك المرأة لا رحمة في  
قلبها... "

توقفت مكانها تغمض عينيها تعيد داخلها آلاف المرة أنه لن  
يكون لها... لقد تخلى عنها سابقا... هي لا تعني له شيئا...  
حتى وإن تجاوز كرهه لها هي لن تحتل مكانة في حياته فما  
بالك في قلبه...

بعد أن أقنعت نفسها بتلك الأفكار التفت إليه وبنظرات جوفاء  
وصوت بارد قالت

- " لم يكن هناك داع لقلقك... حياتي أو موتي ليسا من شأنك  
فلا تجبر نفسك على الاهتمام وتضييع وقتك بتكبد عناء  
انقاذي... "

حرك يديه أمامه بعشوائية وهو يهز رأسه بحيرة قبل أن  
يهتف برجاء

- " لما تصرين حصر نفسك في خانة محدودة وترفضين  
رؤية غير تلك المكانة؟ ألا ترين أنني عدت يا نور؟ "  
تحطم قناع البرود وهي تصرخ من أعماق قلبها والدموع  
تتلاها في مقلتيها

- " لا... لن أسمح لنفسي بروية غيرها... أنت لم تعد إلا  
لسبب في نفسك وبالتأكيد ليس له علاقة بي لذلك لن أترك  
نفسي أنجرف وراء أوهام ستحطمني بعد لفظك لي مجددا...  
أنت لم تعد ولن تعود في أي وقت من الأوقات من أجلي  
ومهما قلت لن أصدق غير ذلك... "

استدارت تركض خارجة من هناك عندما لحقها بسرعة وهو  
يمسك ذراعها بقوة

- " نور... توقفي لو سمحت "

التفتت بحدة والدموع وجدت طريقها عبر جفنيها إلى  
وجنتيها المحتقتتين قبل أن تصرخ وهي تحاول التملص من  
قبضته بعنف

- " دعني حسام... نقاشنا انتهى... فلتغادر لو

سمحت... فلتخرج من حياتي اللعينة... يكفيني ما أنا فيه "

كز على أسنانه بقوة يحاول استدعاء كل ذرة صبر لكنه  
بالطبع فشل فهو عندما تنفلت أعصابه من عقالها لا يوجد  
سد في العالم يستطيع إيقافها ودون وعي منه قربها بقوة  
منه فانطلقت شهقة صدمة من بين شفثيها عندما سمعته  
يقول وهو يكظم انفجاره

- " نور لا تجعليني أفقد صبري... لن تتحركي قبل أن نتكلم

ويبين كل منا وجهة نظره... "

وبكل جنون دفعته وغضبها هي الأخرى ينفجر وسيطرتها  
تضمحل قبل أن تقول

- " فقط دعني... لن تبرر ولن أسمعك.. أنا أحبك وأنت لن تفعل نهاية القصة الدرامية الكئيبة"

اتسعت نظراته وتسمرت على شفيتها التي كانت ترمي اعترافاتها في وجهه والتي سمعها من قبل وتجاهلها لأنها لم تؤثر فيه وقتها لكن الآن ما الذي يحدث له؟! ... ارتخت قبضته قليلا لتغتتم هي الفرصة في محاولة للابتعاد عندما جذبها مجددا غير مدرك لذلك لتفقد اتزانها وهو لا يزال غافلا عما حوله كأنه مخدر... اصطدمت بصدرة بقوة ليفقد توازنه هو الآخر متعثرا في قدمها...

في طريق سقوطهما انتبه لما يجري ودون وعي منه احتضنها ليستقبل ظهره صلابة الأرضية بينما هي دفنت نفسها في صدره... تتشبث بقميصه...

لحظات صامتة مرت عليهما... كلاهما مغمض لعينيه لا يريد أن يعي الوضع الذي هما فيه...

تسارعت نبضات قلبه تحت أذنها وحرارة جسدها تخترق قميصه لتصل إلى صدره الذي كان يعلو ويهبط ولا يدري سببا واضحا لذلك إلا قربها المفاجئ منه... بينما أنفاسها

اللاهثة داعبت رقبتة بنعومة فراشات مشاغبة تعيث فسادا بلا رادع...

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يشعر أن حلقة تحجر فجأة كما تحجر جسده الذي يرفض الانصياع لأوامر عقله بإفلاتها من بين ذراعيه... لم يستطع تنفيذ ذلك الأمر العقلاني وأصابها تتمسك أكثر بقميصه...

زفر نفسا حادا ثقيلًا وهو يتطلع للسقف، لا يريد رؤيتها في حضنه ولا يريد دفعها... اللعنة عليه ما الذي يريده بالضبط؟ لم يشعر بالضيق من قبل إلا في حضورها، شخصيتها توتره وتصرفاتها تدفعه للجنون أكثر مما فعلته أي امرأة من قبل... هي على كل المقاييس مستفزة ويريد أغلب الأحيان قتلها من قبل كرها لها وبعدها... وبعدها لماذا؟ ما الذي دهاه؟

لم يكن يوما ممن يحسنون التعامل مع النساء... لم يكن يوما رجل الأحلام لأي منهن... هو بصراحة ذو طبع خشن حاد... لقد صقل الجيش وما رآه وعاناه في حياته كل خصاله ليصبح بذلك الشكل... المرأة الوحيدة التي روضته هي ندى... لم يكن يقدر أن يكون خشنا معها وهي بتلك الرقة والنعومة... أحيانا

يخطر على باله أن حتى صراخه قد يؤذيها رغم أنها كانت قوية ولديه صبر غير محدود.... لكن مع هذه الفتاة شراسته وبدائيته لا تنفك عن التصاعد كأنها مفاعل نووي...

من ناحيتها أحست بأنفاسها ستتخلى عنها وهي تدرك أنها بذلك القرب منه... كان قلبها يكاد يحطم الضلوع التي تحتجزه ويرتطم بصدرة الصلب الذي تلقاها برحابة...

أغمضت عينيها بقوة تضغط على نفسها قبل أن تترك قميصه من بين أصابعها لتحاول الابتعاد مرتكزة على كفيها عندما أحست أنها لا تزال محتجزة بين ذراعيه...

فتحت عينيها ببطء لتقابل عينية بلونهما الداكن الذي غرقت فيه ولم تجد طريق عودتها.... أيقنت أن كل حرارة جسدها والدماء في عروقه تندفع وبقوة لتتجمع في وجنتيها اللتين أحست بهما تحترقان....

أحس بها تتململ محاولة الابتعاد فتركها بسرعة وكأن تيارا كهربائيا صعقه معيدا إياه لرشده فحاول القيام بسرعة فاصطدم بجبينها بقوة... الألم الناجم عن ذلك جعله يرفع يده يمسد جبينه...

وقع نظرها المرتبك على خنصره الذي لازال خاتم زواجه السابق يحكم سيطرته عليه ويشمه بملكية ندى له... ليتسمر عليه للحظات لتكون تلك الصفحة التي أخرجتها من فقاعة ما كانت تعيشه...

أخفت جرحها بسرعة وهي تقول ببرودة جمدت تلك الشعلة الوليدة بينهما ووأدتها في مكانها

- " خذ نفسا أيها القائد ولا داعي للفرع لن أتحرش بك... كان مجرد حادث وانتهى..."

أسرعت بالابتعاد عنه كالمسوعة، تفر قبل أن يلاحظ تلك المشاعر التي اتقدت في عينيها والانكسار الذي تلاها لتصعد الدرج ركضا.... بينما بقي هو مكانه جالسا أصابعه تتخلل خصلات شعره بينما يلعن اتزانة الذي خذله في أشد لحظاته حاجة إليه....

\*\*\*\*\*

لم يستطع التخلص من تلك الكهرباء التي ظلت تبعثر دواخله، وبطبيعة الحال لم يستسغ ذلك الشعور الذي يرفض وبشدة صياغة اسم له... فليدعه مجهول الكينونة حتى لا



يضطر للتعامل معه ولا مواجهته... اتجه لبوابة الصالة الرياضية ليتأكد من اغلاقها جيدا قبل أن يعود أدراجه ليقف قليلا عند بداية الدرج الذي اختفت عند نهايته... ضغط بشدة على حاجزه الجانبي وهو يتذكر تأثير قربها منها فهز رأسه بعنف يرفض الجنوح إلى هناك...

أحس بحرارته تعود للاشتعال مجددا فتخلص من قميصه راميا إياه جانبا ليظهر صدره النافر وعضلات بطنه السداسية...

كان يعلم جيدا كيف يعود لرشده عليه فقط أن يتخلص من تلك الطاقة الغريبة عنه....

لم يدرك كم مر من الوقت لكن برأجه كانت تؤلمه بشدة... وقف يمسك كيس الملاكمة المرتد بين يديه يتصبب عرقا وكل جسده ينتفض مع تنفسه السريع....

شرد قليلا يفكر لما يحس أنه لم يحقق مراده وأنها لا تزال تحوم حوله؟ هل عليه خوض جولة أخرى حتى يقع أرضا من الإرهاق وربما عندها يجد ذهنه صافيا مجددا؟

جلست على الدرج تراقب كيف كان ينهك جسده كأنه يعاقب نفسه على اقترابه منها حتى لو كان مجرد حادث... لكن ألم تفر هي الأخرى من المكان كي تختبئ كجبانة... كل منهما تعامل مع ما حدث بطريقته التي يعرفها...

لقد ركضت للأعلى تلتجئ لغرفتها تخفي انكسارها عن عينيه، لكن في النهاية بعد مواجهة مع نفسها اتخذت قرارها... عليهما خوض حوار جدي ووضع النقاط على الحروف مرة وإلى الأبد...

تحفز كل جسده وتصلب وصوتها يخترق سمعه

- " هون عليك... لقد قضيت على الكيس المسكين... أنت مدين لشقيق ريمة بواحد جديد..."

فلتتظاهر بالقوة حتى تقتنع بها هذا ما كانت تردده داخلها ...

استدار ببطء ليجدها جالسة على احدى الدرجات تراقبه بهدوء لا يشبه العاصفة الثائرة التي كانت تواجهه من قبل... تقدم منها وتقطبية جبينه تزداد انعقادا ما الذي يدور في رأسها ذاك لا يستطيع قراءتها؟

راقبت تقدمه دون أن تخفض بصرها هي ستودعه بعد دقائق في كل الحالات إذن ما الضير فيما تفعله فلتحتفظ في ذاكرتها بكل تفصيل يتعلق به... عندما وقف أمامها قذفت قميصه إليه ليلتقطه بخفة قبل أن يرتديه ويجلس إلى جانبها بتوجس..

لم ينطق بحرف بل جاورها بصمت فقط حتى تنهدت هي بإرهاق لتقول بهدوء

- " علينا التحدث حسام... بقاءك هنا يشوشني ويرهقني حرفيا... فلتحررني ولتحرر نفسك... الواضح أنك بدأت باستعادة حياتك وأنا كذلك فلا داعي لنفسد ما بناه كل منا... و... "

قاطعها بحدة لم يتعمدها دون أن يلتفت إليها ولا يعرف حتى ما دخل ما قاله في الموضوع

- " استعدت حياتك برفقة أسامة أم الآخر إياد؟ ترى هل عليا تذكيرك أنك على ذمتي؟ "

لوهله لم تدرك مقصده قبل أن تصفعها حقيقة اتهامه لها بكل صفاقة لتقول بحنق

- " لا يحق لك اتهامي وأنت من رحلت هذا أولاً يا محترم...  
ثانياً لست من ترتمي في أحضان أي رجل بمجرد كونه  
صديقاً لها... ثالثاً احتفظ برأيك هذا لنفسك وطلقتني ووفر  
علينا هذه الاتهامات كأنك زوجي فعلاً "

- " أنا زوجك فعلاً يا نور سواء قبلت أو رفضت ذلك الواقع  
ولا لن أغانر ليس قبل أن أتأكد من سلامتك "  
انتفضت بعنف حتى وقفت قبالة لتقول بعناد

- " يستطيع أي شخص آخر القيام بتلك المهمة وبهذا لا يوجد  
مبرر لبقائك هنا... "

تنهد بنفاد صبر قبل أن يقول

- " نور لو سمحت كوني عقلانية لقد أخذوك من تحت أعين  
الحراسة... "

كتفت ذراعيها وهي تناظره بعناد متمسكة برأيها، عليها  
الابتعاد عنه بسرعة ومهما كلفها الأمر

- " لا بأس... من الواضح أنك مصر لذلك سأترك أنا البيت  
وأؤكد لك لن تعرف طريقاً لي فعلتها من قبل وسأكررها... "

تجاوزته عادة للأعلى فاستدار وهو لا يزال جالسا مكانه  
لتقع عينيه على ساقيهما الطويلتان ببياضهما الملفت فقطب  
جبينه وهو يرفع بصره للأعلى حتى وصل إلى نهاية سروال  
الجينز القصير الذي يعلوه قميص باللون المشمشي عندها  
انطلق لسانه دون أن يفكر في معنى كلامه

- " هل تنزلين إلى القاعة بهذه الملابس دائما؟ "

توقفت مكانها بصدمة ونظرت لملابسها قبل أن تلتفت إليه  
وغرابة السؤال تحيرها

- " لم أفهم.... "

- " انسي السؤال... أمهليني حتى الغد لأجد بديلا موثوقا  
وأعدك سأغادر... لو سمحت لا ترفضني "

صمتت تفكر في عرضه... لا ضير من بقاءه... مجرد ساعات  
فقط لكن إن عاندته فسيصر على البقاء وهذا ما لن تستطيع  
تحمله... ليس بعد أن رأت كيف لازال يهيم بزوجته ويحتفظ  
بكل ذكرى لها حتى خاتمها لم يتخلى عنه...

انتظر قرارها بصبر وهو يفكر في خطة بديلة إذا رفضت  
عرضه لكنها لحسن الحظ أومات موافقة قبل أن تقول بحزم

- " لديك حتى الغد فقط يا حسام وبعدها سأكلم السيد إبراهيم  
بنفسي أو أيا كان من سيبعدك عن حياتي "

ابتسم بارتياح قبل أن يقول

- " حتى الغد.. "

ودون إضافة صعّدت إلى الأعلى بينما عقله هو يرسم ملايين  
الأفكار وكلها لا توصل لنهاية تريحه....

\*\*\*\*\*

أجبرت نفسها أخيرا على الجلوس والتركيز على شيء آخر  
غير التفكير فيمن يشغل بالها بلا هوادة وبلا رحمة... إن  
استمر الوضع هكذا ستضعف وترمي كبريائها عرض الحائط  
كما فعلت من قبل وما حدث صباحا خير دليل، تعترف بحبها  
الميوؤوس منه بينما هو يدعس عليه ويمجد ذكرى زوجته  
الراحلة... اللعنة عليها! تحسد حتى من ترقد تحت التراب في  
عالم آخر... هل هذه هي نفسها.... فليحترق هو وحبه في  
الدرك الأسفل...

احتلت الأريكة بينما رفعت ساقها على الطاولة أمامها ممسكة بحاسوبها النقال، لقد ضيعت الكثير من الوقت بسبب المقالة التي كانت ستكتبها عن الفساد في ركائز الدولة ليتضح أن الفساد الحقيقي كان أمام أنفها وهي غافلة عنه... ليتهم تركوا غسان في قبضتها كانت فجرت غضبها عليه... لكن لا بأس من الجيد أن لديها قضية أهم كانت ستبدأها لاحقا لكن يبدو أنه الوقت المناسب حتى تشغلها للنخاع ولا تفكر في أمور أخرى....

غرقت تماما في المعلومات التي جمعتها حتى تلاشى الزمن بالنسبة إليها ولم تعد ترى إلا ما يعرض على الشاشة أمامها لتأخذ ما تحتاجه حتى بدأ ذلك الإحساس البغيض يبسط هيمنته...

الشعور بأن كل نهاياتها الحسية تتيقظ ووجوده يطغى على المكان... خطواته الواثقة الثائرة ضد العالم... رائحته الرجولية تمتزج مع عطره الهادئ رغم قدرته على قلب موازين كيائها...

لا، وألف لا... لن تسمح لمشاعرها بجرها للإهانات مجددا...

تجاهلت تحركه بصمت خلفها داخل المطبخ المفتوح وهي تضرب على مفاتيح الحاسوب بقوة مفرطة كأنها تحتاج لصوت أقوى من ذلك الصوت الذي يغويها بالالتفات نحوه... أما هو ورغم انتباهه لتغير الجو حولها إلا أنه لم يتفوه بحرف بل وضع الأغراض التي أحضرها من الخارج في الخزائن وحمل علبة البييتزا بيد أما اليد الأخرى فكانت تحمل كيسا به علبتي مثلجات واتجه نحوها....

وقف أمام الطاولة التي تضع عليها رجليها ينتظر أن تتحرك لكنها أصرت على التظاهر بعدم رؤيته...

زفر بنفاد صبر قبل أن يقول بنزق

- " أبعدني قدميك عن الطاولة أريد الأكل.... "

وبكل لا مبالاة رفعت عينيها بضجر عما تفعله لتقول بانزعاج

- " كل في المطبخ، ألا ترى أنني مشغولة بعمل مهم "

ودون تحذير مسبق دفع ساقيها بقوة ليهتز كل جسدها لدرجة أنها كادت توقع ما تحمله فأمسكته في آخر لحظة... فتحت فمها تنوي الاعتراض عندما سبقها وهو يجلس إلى جانبها قريبا جدا منها قبل أن يقول بهدوء



- " أعلم أن وجودي يضغط على أعصابك لكن هذه التصرفات الصببانية لا تناسبك، لقد عشت معك من قبل وأعلم كم أنت ناضجة وكم تصرفت بحكمة في أوقات كنت أنا فيها متهورا " اعتدلت في جلوسها وهي تضع الحاسوب جانبا قبل أن تقول بإحراج تتلاعب بأصابعها بعصبية

- " أنا فقط لا أعرف التصرف وأنت حولي... سابقا كان الموضوع سهلا أنت تكرهني وأنا أحاول التكفير عما أصابك بسببي لكن الآن لا أدري بالضبط أين نقف... "

- " إذا أصبحنا اثنين فأنا كذلك لا أعرف كيف أتعامل معك، لكن دعينا على الأقل نمضي آخر يوم بسلام هل هذا ممكن؟ "

شعرت ببعض الارتياح يجتاحها فأومات موافقة ليبتسم عارضا عليها قطعة البيتزا التي كانت بيده فقبلتها وهي تشكره...

عاد الصمت ليخم على جلستهما بينما كانا يأكلان، وأحيانا يختلس أحدهما نظرة خاطفة نحو الآخر في غفلة منه... كان الجو مشحونا بكهرباء تنتقل بينهما ورغم ادراكهما لذلك قررا التظاهر بالجهل....

حتى لم يعد ذلك ممكنا عندما التقت نظراتهما فزاد التوتر حتى وصل أقصاه ولم تعد تحتمل أكثر فوقفت فجأة من مكانها... اعتقد أنها غيرت رأيها بخصوص الهدنة فانفجرت شفتاه ينوي اقناعها عندما قالت بعصبية

- " سأحضر ملعقتين لقد نسيت أن تفعل... "

لوهلة لم يستوعب جملتها فتطلع إليها ببلاهة قبل أن ينظر للطاولة أمامه ليقول بضياح

- " صحيح لم أنتبه.. "

لم تكن في الحقيقة مهتمة بسماع اجابته أو حتى جلب الملاعق فهي كانت تريد فقط الحصول على بعض الهواء بعيدا عنه حتى وإن كان المطبخ ليس بعيدا كفاية ليسمح بذلك...

ما أن ابتعدت حتى أخذت نفسا عميقا وزفرته بقوة قبل أن تبدأ بفتح الأدراج بعصبية ونست حتى عما كانت تبحث... فركت شعرها المتهدل بعنف قبل أن تعيده للخلف تكاد تصرخ قهرا عندما أحست بجسده خلفها فاستدارت بسرعة لتصطدم بصدره مصدرة شهقة متفاجئة بينما اتسعت عيناها وتسارعت أنفاسها أما هو فقد امتدت يده للدرج خلفها جاذبا

ملعقتين ببساطة و عاد لمكانه بينما بقيت هي للحظات تهدئ  
من انفعالها قبل أن تلحق به لتجده قد انشغل بمكالمة  
هاتفية...

لم تهتم بما يفعله بل أخذت احدى العلبتين وبدأت بتناول  
محتواها دون الإحساس حتى بطعمها رغم أنها كانت تتمنى  
أن تطفئ برودتها ما يعتمل داخلها....

كانت قد تناولت نصفها تقريبا قبل أن تضعها على الطاولة  
عندما أحست به يعود للجلوس مكانه ولكي تكسر ذلك التوتر  
قالت أول شيء خطر على بالها

- " إذا لقد عدت للجيش؟ "

فكر قليلا وكان الجواب صعب رغم سهولته ليقول بمواربة

- " تقريبا... "

حركت رأسها بعدم فهم وقد بدأت روح التحقيق تتيقظ قبل أن  
تسأله

- " كيف تقريبا؟ إما نعم وإما لا... "

- " الجيش مجرد واجهة شرعية معروفة وما خلفه أعظم  
بكثير "

ضيق عينيها تحل كلامه قبل أن تقول بعدم اهتمام رغم ذلك  
الشعور الذي اكتنفها بعودته للمجازفة بحياته أيا كان عمله

- " حسنا لا يهمني ما تفعله... أخبرني منذ متى عدت؟ "

- " منذ عدة أشهر... لم يعلم أحد بذلك ولم أرد المجازفة  
بترك بلا حماية بينما عيون صوفيا تترصدك وتتحين  
الفرصة لإيذائك "

عاد ذلك الأمل الشحيح يرفرف بين حنايا قلبها لتعود لقمعه  
من جديد مؤكدة لنفسها أنه مجرد عمل كان يقوم به ولا  
دوافع أخرى مما تتخيله..

عندما وعت من أفكارها اتسعت عينيها بصدمة وهي ترى  
حسام يتناول مثلجاتها بملعقتها فانتفضت بسرعة تمسك بيده  
وهي تهتف

- " ما الذي تفعله؟ لقد أكلت منها.. "

هز كتفه بلا اكتراث وهو يستل يده قبل أن يقول

- " لا أحب نكهة الفستق لذلك لا بأس بهذه أنا متعود على  
مشاركة زملائي الأكل فلا تقلقي... "

أغمضت عينيها بياس منه... إنه فعلا متخلف عاطفيا ولم  
يعي حتى لتأثير حركته عليها....

أعادت الحاسوب لحضنها وعادت للنقر عليه من غير تركيز  
هذه المرة لتنتبه أخيرا لتدقيقه فيما تكتبه قبل أن يستله منها  
وهو يقول

- " لقد قرأت مقالاتك في الجريدة وفي تلك المدونة... جرأتك  
غير محدودة لقد استفزت الكثيرين..."

ورغم أن اهتمامه بقراءة ما تكتبه دغدغ مشاعرها إلا أنها  
قالت بفخر

- " لا يهمني رأيهم عندما يكون هدفي تسليط الضوء على  
الحقيقة"

استدار إليها وقد تغيرت ملامحه وأظلمت قبل أن يقول بحذر  
- " أنت تتحدثين عن سقوط الطائرة العسكرية وتستهدفين  
بكلامك وزارة الدفاع... هل تعين المصيبة التي تجلبينها  
لنفسك..."

تحفزت هي الأخرى فعملها خط أحمر لا يجوز تخطيه

- " أنا فقط عدت الحوادث الشبيهة بذلك وعدم وصولهم لسبب حقيقي لها بينما يستمرون بقول إنه خطأ تقني لكن إلى متى؟ هناك أمهات وأبناء وزوجات لا تزال قلوبهم تنزف لأجل من فقدوهم... أعلم ستقول إنه واجبهم لكن من حقهم أن يقف وطنهم في ظهرهم بالمقابل لا أن يكون العدو الغادر "

هو كجزء من ذلك الكيان الذي تحاول الدفاع عنه يشعر بالفخر لذلك، لكن أن تسلط عليها تركيز من قد يمحوها من الوجود في لحظة يجعله قلقا عليها... لكنه يعلم مدى عنادها لذلك لا يستطيع سوى الحد من جرأتها ولو قليلا لأنه يعلم مدى تهورها...

- " تأكدي فقط أنك لا تفتحين عليك أبواب جهنم والآن دعيني أكمل قراءة المقال فقد أثرت اهتمامي "

قال جملته وهو يعود للتركيز على الشاشة...

كانت قد وصلت إلى حافة تحملها، ذلك القرب يقتلها... ودون مقدمات أغلقت الحاسوب فتطلع إليها بحيرة قابلتها هي بلامبالاة مصطنعة، لتقف بعنف حاملة حاسوبها تنوي دخول غرفتها عندما أوقفها قبضته على رسغها وهو يقول

- " لم أكمل بعد القراءة... "

- " أكمله عندما يُنشر "

قالتها مغيضة إياه عندما جذبها بقوة لم يدرك حجمها إلا  
عندما وقعت جالسة على ساقيه تقريبا في حضنه...  
شهقت وهي ترى نفسها تتهاوى ليستقبلها حضنه الذي  
تمسكت به بعيون متسعة...

لم تكن هي الوحيدة التي كانت الصدمة حليفها فهو الآخر لم  
يتخيل أن يكون في ذلك الموقف ومعها هي بالذات... ألن  
ينتهي ذلك اليوم إلا بعد حدوث مصيبة؟

وكان جسدها شلّ لم تستطع الوقوف على قدميها... ولا هو  
استطاع دفعها رغم أن يديه كانتا على جانبي خصرها أي أنه  
يستطيع في أي لحظة رفعها وابعادها عنه لكن تلك الجاذبية  
المحيطة بهما صارت تكبله وتحتجزه ضمن مجالها...

تسارعت أنفاسها الحارة المرتجفة التي استقبلتها رنتيه  
معبقة برائحها فأغمض عينيه يعبئ منها كأنه لم يعد قادرا  
على الاكتفاء منها...

تململت في جلوسها وقد غزا الإحراج كل ملامحها التي  
اصطبغت بالأحمر الذي بدا شهيا بريئا وغريبا محاولة  
الانسلاخ من قبضته عندما أحست به يحكم امساكها أكثر  
مقربا إياها منه...

رفعت عيون ضائعة نحوه وكأنه شخص آخر لم تتعرفه  
لتسجنها نظراته وهو سارح هو الآخر فيها كأنه يحللها...  
يدرسها سعيا منه لفهم تلك القيود الخفية التي صارت تجذبه  
نحوها دون أن يكون قادرا على ردعها أو الفكك منها...

أبعد عينيه عن نظراتها المضطربة مكتشفا باقي ملامحها...  
وجنتيها الملتهبتين كثمار ناضجة... شفثيها المنفرجتين وقد  
ارتجفتا توترا وسعيا للحصول على الهواء الكافي الذي صار  
شحيحا نزولا إلى جيدها الطويل وهي تبتلع ريقها ببطء  
وخوف....

رفرفت بجفونها بسرعة وهي ترى المسافة بينهما تنحصر  
أكثر وأكثر حتى كادت أنفها تلامس أنفه عندما أحست برأسه  
تميل قليلا ملامسة جانب وجهها ليتحرك بهدوء كأنه يتعرف  
على أرضه التي يغزوها بتمهل محرق للأعصاب مقتربا عبر



وجنتها ووصولاً إلى ركن شفيتها ليتوقف هناك كأنه يطلب  
إذنا غير معن أو أنه يقمع نفسه...

أغمضت عينيها بقوة وهي تقترب منه تحتمي من هجومه في  
كنفه عندما سرت تلك الرعشة اللطيفة عبر عمودها الفقري  
وأصابع يده تجد طريقها عبر ذراعها العارية وصولاً إلى  
كتفها الذي انتفض للمستقر خلف رأسها تثبتها...  
وكان ذرات الهواء صارت مشبعة بمخدر يتلاعب بعقلها  
بتجبر...

لامست شفتيه شفيتها بخفة لتبتعد بسرعة تستدعي قوة  
سيطرة جبارة وتذكر نفسها بالنهاية التي ستلقاها لو  
انصاعت لتلك المشاعر عندما وجدت يده تقيدها من الخلف  
مقربة إياها منه من جديد لتهمس بأنفاس متقطعة مرتجفة  
- "لا.. لا تفعل..."

واختفت باقي جملتها بين شفتيه التي امتلكت شفيتها في قبلة  
حاولت صدها لكنها كانت كطوفان لا يمكن صده... كانت قبلة  
مستكشفة، ضائعة حملت حيرة قلب وخوف آخر، مندفعة  
بقوة الوجد الذي قاسياه...

غمامة أحاطت بهما لوقت لم يدركاه لكن كان لابد من التوقف  
 لالتقاط أنفاسه ليتطلع من بين تلك الغشاوة للتي كانت تتمسك  
 به كأنه الأمان الوحيد ليعود ذلك الصوت الذي أقصاه سابقا  
 لركن بعيد يردد "ما الذي دهاك؟ هل نسيت ورميت وراء  
 ظهرك ببساطة" وتقفز صورة ندى لمخيلته من جديد كأنها  
 تعاتبه...

أحست بصقيع يجتاحها... والخدر اللذيذ يزول.. إنه ينزوي  
 على نفسه من جديد ويبعدها.. فتحت عينيها وكلها رجاء أن  
 يكون تفكيرها وهم من خيالها لكن الواقع صدمها عندما رأت  
 نظرة الذنب في عينيه التي تهربت منها... ابتلعت غصة  
 تحجرت في حقلها وهي تشعر أنه يقتلعها بعيدا عن ذلك  
 الأمان ويسلبها إياه بقسوة...

مسدت جانب عنقها باحراج وشعرها ينساب على وجهها  
 مخفيا انكسارها هزيمتها ووجعها الذي خط أماراته على  
 ملامحها دون رحمة وهي تعتدل بصعوبة كأن كل قواها  
 خارت وتركتها للضعف ينهشها...

وكانه يهرب من المواجهة ما أن استقام واقفا حتى أدار ظهره لها لئبتعد من هناك عندما أحس بأصابعها المرتجفة تتمسك بذراعه لتقول برجاء تخلل حروفها المترددة، المتألّمة

- "لا تهرب أرجوك... ليس الآن..."

يعلم أنه أحدث شرخا لن يلتئم وجرحا سيؤلمها ولن تسامحه عليه لكنه لا يستطيع البقاء... يعرف نفسه جيدا سينتهي به الأمر بلومها وتفجير غيظه عليها... هو ببساطة يحتاج لمساحة لنفسه الآن حتى يحاسبها أو حتى يلملمها وقد بعثرت تلك القبلة المفاجئة كل دواخله ودمرت أسلحته وحصونه...

ودون أن يستدير سمعته يهمس بأسف وهو يخرج بسرعة من المكان تاركا إياها لتتهار أرضا تذرف دمعا وأشلاء قلب حطمه للمرة المليون....

## الخاتمة

وكانه ارتكب الخطيئة الكبرى... فر مبتعدا يشعر بقلبه مثقلا بالذنوب.. ذنب التي تركها خلفه محطمة وذنب التي ركض

إليها يجلد نفسه عند قبرها... وقف هناك يعتذر، يؤنب نفسه، يصرخ بفعلة يعتقد أنها جريمة في حقها... برر، ودافع كأنه أمام القاضي المتجبر... انتظر رداً يشفي ارتباكك، حكماً يؤكد براءته أو ذنبه... لكن لم يقابله سوى صدى صرخاته ولا من مجيب...

عاد يجر جسده المنهك لا يعرف إلى أين تقوده قدماه حتى وجد نفسه عند باب مكتب صديقه أحمد الذي ما أن رأى هياته حتى أيقن أن ما حدث له قد قلب كل الموازين...

جلس هناك يحكي عن ضعفه، عن خطئه دون التطرق للتفاصيل عندما هاجمه سؤال أحمد دون مواربة

- "وأين الخطأ فيما قمت به؟ المضي قدما هو شعور انساني طبيعي... غريزة بشرية... لا يمكنك سجن نفسك ومحاربة مشاعرك... ما حدث لم يكن ضعفاً ولا ذنباً.. ببساطة أنت انجذبت إليها.. انجذبت لمن لامست قلبك من جديد... لمن وقفت ضد السواد الذي أحاطك ليتسلل بعض النور لحياتك... لا تدع الفرصة تهرب من بين أصابعك فتندم... امنحها وامنح نفسك الفرصة لتعيشا... يكفي ما فقدتماه..."

نظرة استهجان رماه بها في بداية حديثه تحولت لشروء مفكر  
وكل كلمة ينطقها تلقى صدى في نفسه بمدى صحتها... لكن  
ماذا عن ندى؟ هو يخون ذكراها صحيح؟

وكأنه قرأ ما يجول في خاطره ليقول بتفهم وهدوء

- "لا تهول الموضوع... أنت لا تخون ندى.. فمكانتها لن  
يأخذها أحد..."

ودون إضافة تركه يدير حديثه في عقله وهو يخرج من عنده  
ليجوب الشوارع وحده يفكر فيما سيفعله...

\*\*\*\*\*

\*

بكت.. صرخت.. توجعت.. لعقت جروحها وكفكفت دموعها  
لتلمم بقايا روحها وتقف بتماسك... هذه هي نور سالمى...  
مهما كانت الموجة التي هزتها قوية إلا أنها تعود للوقوف  
من جديد...

لكن تلك الشهقات الغبية الخارجة عن سيطرتها تفسد  
مخططاتها فمصابها جل وجرحها لا يزال جديدا....

جمعت أغراضها في حقيبة سفرت وضعتها في منتصف غرفة المعيشة بينما انشغلت بمكالمة هاتفية لتقول بقلة صبر

- " لا يهمني كيف تحصل على تذكرة لي أسامة... أريد المغادرة بأسرع وقت... لا، لن أنتظر حتى تنهي أعمالك لتسافر معي... يجب أن أكون في لندن بحلول الغد... أقسم لك سأموت إن بقيت هنا لحظة أخرى... "

أحست بيد قوية تقبض على الهاتف تبعده من بين أصابعها بالغضب ليقول باقتضاب لمحدثها

- " ألغ الأمر أسامة... نور لن تخرج من هنا... "

لم يهتم بسماع ما تفوه به الآخر وهو يغلق الخط في وجهه ليرمي بالهاتف بعيدا غير عابئ بمصيره...

أخرجت نفسا حادا وعينيها بدأ تلتمع بدموع حبيسة قبل أن تصيح بانفعال وحنق

- " ماذا الآن؟ ماذا تريد من بقائي؟ هل عدت كي تنفذ العقوبة بعد أن تأكدت أنني مذنبه بجرك للخطيئة والخيانة العظمى "

- " لا ترحلي... "

قالها برجاء، بضعف تغلغل إلى قلبها الموجوع ليزيد معاناته  
واضطرابه...

مسحت وجهها بكفيها تجفف دموعها التي انسابت قبل أن  
تأخذ نفسا عميقا، لتقول بحشرجة

- " فات الأوان لطلبك حسام... لقد تأخرت كثيرا "

- " لو سمحت لا تسليبي هذه الفرصة... "

أغمضت عينيها بقهر ودموعها تنساب جمرات حارقة  
لكليهما قبل أن تقول بألم

- " أنا من ظللت أمد يدي لك وفي كل مرة كنت تبعدني حتى  
لم يعد لدي أي قوة... لم يعد لدي أي فرص.. فلا تسألني الآن  
لأنني أعلم جيدا أنك لا تحبني... ندى لا زالت هنا وأنت لن  
ترضى بدخول شخص إلى جانبها... "

- " لا يمكنني رمي ندى خلف ظهري... عندها سأكون  
خنتها... "

هزت رأسها بإنكار

- " لم أطلب منك نسيانها... لن تكون حسام الذي أعرفه إن فعلتها... أنا رضيت لنفسي حتى بمساحة صغيرة في قلبك لكنك من رفضت "

اقترب أكثر ويديه تقبض على كتفيها مجبرا إياها على التطلع إليه، ليقول بتوسل لامس شغاف قلبها

- " أنا أحتاجك نور... لا تتركيني الآن... "

شهقت بعنف ودموعها تتحرر من مقلتيها محطمة حصونا ارتفعت بينهما وهو يجذبها لحضنه الذي صار موطنها، يتمسك بها بقوة كأنها الضوء الأخير في حياته وإن تركه حلت العتمة إلى الأبد...

\*\*\*\*\*

\*\*

**\*\* بعد سنوات \*\***

جلست إلى الطاولة المستديرة التي تحتل وسط الحديقة الصغيرة لمنزلها الجديد... منزل صغير بعيد عن ضوضاء المدينة وصخبها... كان اليوم مميزا بزيارة ريمة وأحمد وابنتهما البكر المشاكس...



علت ضحكاتها وهي تستمع لريمة التي كانت تقول من بين ضحكاتها التي كادت تقطع أنفاسها

- " فقط لو رأيت شكلي يا نور.. لقد كدت أموت رعبا وأنا أستمع لحديثه مع حسام عن الطلاق وعن عدم قدرته على اصلاح الوضع لأنه لم يعد يتحمل فالمشكلة فاقت قدرته على حلها.. لقد جفت الدماء في عروقي خصوصا أننا يومها خضنا جدالا طويلا انتهى بخروجه غاضبا من البيت... اعتقدت أنها النهاية وأني فقدته للأبد.. وعندما عاد مساء كان يبحث عن قلم وهو يحمل بعض الأوراق، ظننت وقتها أنها أوراق الطلاق فأصابني الجنون وصرت أنتحب وأنا أقول له بأنني لن أسمح له بتركي وكدت أتوسل لولا أنه انفجر ضاحكا وهو يضمني إليه يهدئ من روعي ويخبرني أنه لا يستطيع العيش من دوني يوما واحدا فكيف يطلقني..."

خرجت بسمتها مهتزة ونخزة مؤلمة تعصرها... ليبتها فقط تسمع تلك الكلمات منه... فرغم مرور تلك السنوات لازالت نظراته تحمل ذنبا... لازالت لمساته واعترافاته مترددة... وتلقائيا تحسست بكفها بطنها المنتفخة... إنها في شهرها الأخير.. أول طفل لهما... ابنتهما فجر... معجزتها الصغيرة وفجرها الذي تخللت خيوطه ظلمة حياتها...

وفي الجهة الأخرى وقف حسام وأحمد يحاولان تحضير طبق شواء قابل للأكل خصوصا أن ذلك الموقد لا ينفك ينطفئ في كل مرة حتى يؤسا منه...

خطف حسام نظرة سريعة جهة نور يتفقدتها عندما سمع ضحكة أحمد المتفكحة قبل أن يقول

- " هل صرت لا تستطيع ابعاد عينيك عنها الآن من كان ليصدق؟ ... لقد مضى الوقت بسرعة رهيبة..."

شرد قليلا يفكر كيف كانت السنوات الماضية قاسية عليهما وتفننت في إذاقتهما من العذاب أنواع... لازالت الندوب التي تركتها ترسخ ذراها في قلوبهما... لكنها كانت قوية... أقوى منه ومن كل الظروف... لقد نجحت في إخراجها من ظلمته رغم ما عانتها هي شخصيا... مهما فعل فهو يظل مدينا لها بالكثير، ليته فقط يستطيع تعويضها قسوته وظلمه لها... خرج من شروده على سؤال أحمد المفاجئ وهو يقول بمكر - " ألم تعد تشعر بالذنب لقربك منها؟ هل نسيت من تكون ومن عائلتها؟ "

عاد للتطلع إليها من جديد قبل أن يقول بثقة

- " نور لا ذنب لها في ذلك الماضي البشع رغم أنها دفعت الثمن غاليا جدا... أظنها تستحق أكثر من مجرد مشاعر باهتة.. ندى لا تزال في قلبي... لقد كانت جزء مهما وغاليا من ماضي لكني لن أظلم نور بوضعها حاجزا بيننا... لا يمكنني رؤية الانكسار في عينيها بعد كل ما عشناه معا... هي كل حاضري ومستقبلي ولن يكون للحياة معنى إن لم تكن معي... "

ابتسم المقابل له بغبطة وهو يضغط كتفه قبل أن يقول  
 - " إذا يجدر بك على الأقل تحسيسها بذلك... أظنها تحملت بما فيه الكفاية.. يكفي فقط رؤيتها لخاتم زوجتك رحمها الله لا يزال يحتل اصبعك... لو كانت امرأة غيرها لما تحملت لدقيقة واحدة... "

ودون إضافة المزيد اتجه حيث تجلس زوجها ليجلس المقعد المجاور لريمة مقربا إياها منه بدفء و عاطفة جياشة... لمعة حسرة غافلتها لتخفيها بسرعة وهاتفها يعلو رنينه لتبتسم معتذرة وهي تجيب عليه بعيدا عنهما

- " أهلا، أهلا بمن نسي أصدقاءه... أخبرني ماذا فعلت بك تلك المسافرة التي سلبت عقلك... أرفع لها القبعة أوقعتك في حبها منذ أن جلست قربك في الطائرة. "

علت ضحكتها وهي تستمع لتأنيبه لها قبل أن تعلق الدهشة ملامحها لتقول بسعادة حقيقية

- " هذا خبر رائع أسامة، سعيدة من أجلك حقا.. أخيرا اطمأنت عليك... لييتي أستطيع حضور زفافكما لكن ولادتي اقتربت لو سافرت ستأتي فجر وأنا معلقة في السماء... "

أنهت المكالمة التي كانت قصيرة لتجول بعينيها في أرجاء الحديقة التي ملأتها ضحكات عائلة أحمد السعيدة لكنه لم يكن هناك.. عبست وهي لا تعرف أين اختفى قبل أن تقودها قدماها للداخل بالضبط إلى غرفة الصغيرة التي حضراها من قبل...

كانت تطل على الحديقة لذلك وقفت أمام النافذة تراقب كيف يعامل أحمد عائلته عندما أحست بيده تلتف حول خصرها مقربا إياها منه وهو يدفن رأسه قرب عنقها مبعدا خصلات شعرها للجهة للأخرى يستمتع برائحتها الخاصة... مزيج مهدئ ومثير في نفس الوقت...

ليهمس من بين أنفاسه

- " اشتقت لكما... لقد أهملتني اليوم كثيرا... "

ابتسامة هادئة شقت طريقها إلى شفتيها لترتفع يدها واضعة  
إياها على ظهر يده المبسوطة على بطنها وتحسستها بنعومة  
لتتوقف عند اصبعه الخالي من الخاتم... نزلت بنظرها  
مباشرة إلى هناك لتفاجأ بعدم وجوده فعلا... قبل أن تسمعه  
يهمس

- " أنا آسف لأنني أوذيك دائما... أنت حبيبتي ودوائي  
وروحى التي استعدتها ولا أريد فقدانها... "

انهمرت دموعها بصمت وهي تشعر باكتفاء غريب كأنها  
أخيرا وصلت إليه... أخيرا انتهت رحلتها المضنية...

ارتفعت يده الحرة إلى وجنتيها تمسح تلك الدموع بلطف قبل  
يقول برجاء

- " لا تبكي أرجوك... فكل دمعة من عينيك تعذبني في اللحظة  
ألف مرة "

أومات بموافقة عندما شعرت بيده تنزل إلى النزر الأعلى  
العلوي لقميصها يفتحه وعينه تشع بعث صارت تراه في  
كثير من الأحيان فضحكت بمرح قبل أن تأمره

\_ " تهذب لدينا ضيوف... "

ليقول بنشوة

- " دعيهما فهما غارقان في عالمهما الخاص... "

جارت عبثه وهي تمسك ياقة قميصه تجذبه إليها بينما التفتت  
برأسها لتقابل شفثيه في قبلة طويلة غابا فيها عما  
حولهما....

\*\*\*تمت بحمد الله\*\*\*